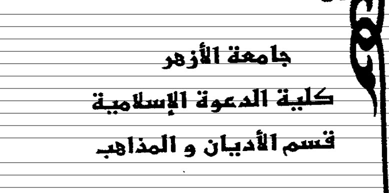


جامعة الأزهر

كلية الدعوة الإسلامية

قسم الأديان و المذاهب

رسالة لنيل درجة الماجستير

تحت عنوان

حركات الإصلاح بين المسيحية و الإسلام

دراسة مقارنة

مقدمة من الباحث

طارق عبد الحميد عبد الرءوف عبد الوهاب

إشراف الأستاذ الدكتور

علي محمد عبدالوهاب

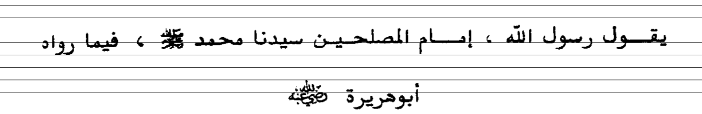
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م



يقول الله عزو و جل في كتابه الكريم على لسان نبيه شعيب عليه السلام مخاطبا قومه :

﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي و رزقني منه رزقا حسنا و ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت و ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب ﴾

سورة هود : ٨٨ .



يقـــول رسول الله ، إمـــام المصلحـيـن سيدنا محمد ﷺ ، فيما رواه أبوهريرة رضي الله عنه

(إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)

الحديث رواه أبو داوود فى سننه : كتاب الملاحم : باب من يذكر فى قرن المائة رقم "٤٢٩١" و رجاله ثقات ، و رواه الحاكم جـ٤ صـ٥٢٢ . و صححه الحافظ العراقى فى عون المعبود جـ١١ صـ٣٩٦ . و العلامة " السخاوى " فى " المقاصد الحسنة " صـ١٢٢ ، و الألبانى فى سلسلة الصحيح رقم " ٥٩٩ " و قد اعتمد الأئمة هذا الحديث .

و انظر فى ذلك إسماعيل العجلونى : كشف الخفا و مزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس جـ١ صـ٢٨٢ . دار التراث د/ت .



حركات الإصلاح بين المسيحية و الإسلام
دراسة مقارنة



مقدمة

و تشتمل على ما يلى :

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره
- منهج البحث .
- خطة البحث .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، حمداً يوافى نعمه ، و يكافئ مزيده ، و يدافع نِقَمه ،

و أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، أرسل رسله مبشرين و منذرين ،

و داعين إليه سبحانه بإذنه و هادين .

و أشهد أن محمداً عبده و رسوله إمامُ المصلحين ، و خاتمُ الأنبياء و المرسلين ، أرسله ربنا جل و علا بالهدى و دين الحق ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور . و يرسى به و بدعوته قواعد العدل و الإصلاح على أساس سليم ؛ فأقام به الملة العوجاء . و فتح به أعينا عميا . و آذانا صمّا و قلوبا غلفا . صلى الله عليه و على آله و صحبه أجمعين

و بعد

فلقد كان من حكمة الله الحكيم أن يُرسل إلى البشرية بين الحين و الحين رسولا من قِبَله سبحانه . ليُصلح ما فسد . و يُقوّم ما اعوج . و يُبيّن ما تصلح به الحياة . تلك كانت سنة الله عز و جل فى خلقه من لدن " آدم " "عليه السلام" إلى خاتم الأنبياء سيدنا " محمد " " عليه الصلاة و السلام" .

إلّا أن البشرية كانت تعتريها فترات من الضعف و البعد عن منهج الله حينما يفارقها رسولها .

فكان تاريخها يشهد قيام دعاة مصلحين . يدعون إلى العودة إلى دين الله عز و جل . و يأخذون بأيدى أممهم إلى الصراط المستقيم و المنهج القويم . يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر . يقول الله تعالى فى شأن أهل الكتاب :

[ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل و هم يسجدون يؤمنون بالله و اليوم الآخر و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يسارعون فى الخيرات و أولئك من الصالحين] [(١)] .

---

(١) سورة آل عمران : ١١٣ ، ١١٤ .

و يقول الله عزو و جل عن أمة " محمد " ﷺ الأمة الخاتمة [**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون با لله**] [٢].

و من هنا . فقد عرف تاريخ المسيحية و الإسلام قيام حركات إصلاحية توفّر لها رجال مخلصون فى كل جيل يهدفون إلى إصلاح ما فسد ، و إحياء ما اندثر ، و اشتهرت فى تاريخ المسيحية حركات دينية قامت لترد الناس إلى الدين الصحيح ، كما يراه و يعتقده زعماء تلك الحركات ، و ليكسروا تلك القيود التى وضعتها الكنيسة على كتابها المقدس ،حتى تتاح قراءته لكل مسيحى . و ليخلّصوا المجتمع من استبداد تلك المؤسسة الدينية و طغيانها الذى شمل الحياة و الأحياء منهم .

كما اشتهرت فى تاريخ الإسلام أيضا حركات إصلاح و تجديد ، قامت لتحيى مفاهيم الإسلام فى القلوب . و لترد الناس إلى العقيدة النقية الخالية من البدع . ولتصلح من أحوالهم الفاسدة التى تتنافى مع ماجاء به رسول الإسلام محمد ﷺ .

فرأيت أن أعقد مقارنة – من خلال هذا البحث – بين حركات الإصلاح التى تصدّت لإصلاح المسيحية . و محاولة إعادتها إلى أصولها التى يعتقدها أتباعها . و بين حركات الإصلاح التى تصدت لإصلاح أحوال المسلمين و أوضاعهم التى تخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . و لا أدّعى أننى سأتناول من خلال هذا البحث كل حركات الإصلاح – مسيحية كانت أم إسلامية – فذلك فوق طاقة طالب علم مثلى . لا يزال يحبو على طريق العلم . يحاول أن يضع قدمه على أوله .

و إنما قصدت أن أقدم –فقط– نماذج من الحركات الإصلاحية مسيحية كانت أم إسلامية . راعيتُ فى انتقائها أن تكون معبرةً عن قضية الإصلاح تعبيرا متكاملا . بل ربما كانت تلك الحركات قائدة و رائدة لكثير من الحركات الأخرى على الصعيدين المسيحى و الإسلامى . الأمر الذى يجعل هذه النماذج من حركات الإصلاح التى اقتصرت عليها معبرة تعبيرا صادقا عن جُل أفكار الحركات الإصلاحية الأخرى . التى لم تَرِد خلال هذا البحث .

---

(٢) سورة آل عمران : ١١٠ .

و لا يخفى ما فى عقد تلك المقارنة بين الإصلاح و حركاته فى المسيحية و الإسلام من أهمية و من نتائج مهمة فى مجال البحث حول الحركات الإصلاحية ، و ستتضح هذه النتائج فى خاتمة البحث إن شاء الله تعالى .

هذا و لا أدعى أننى صادفت مشكلة ما حين الإعداد لهذا البحث ، فقد كانت مراجعه كثيرة و متوفرة و الحمد لله ، و إن كنت صادفت قلة فى المراجع تكاد تصل إلى حد الندرة حين الحديث عن المقارنة بين الحركات الإصلاحية المسيحية ، و الحركات الإصلاحية الإسلامية من خلال الفصل الأخير من الرسالة ، و لم أجد صعوبة و الحمد لله فى عرض تاريخ الحركات الإصلاحية و أسباب قيامها و الأسس التى قامت عليها و مبادئها ، إلا حين الحديث عن أثر تلك الحركات الإصلاحية إذ وجدت تناقضا كبيرا بين من تناولوا تلك الحركات و نتائجها ، فبعضهم يرتفع بحركة من تلك الحركات إلى عنان السماء ، و آخرون يهبطون بها إلى ما تحت الأرض.!

فآليت على نفسى ألا أقلد أيا من الفريقين ، و أن أدع الواقع الفعلى ، و الأثر العملى يفصح عن أثر كل حركة من تلك الحركات ، إذ الشجرة تعرف بثمارها .

و أحسب أن هذه المسألة - أعنى المقارنة بين الإصلاحين و حركاتهما - لم تُستوف بحثا من قبل ، و لا أدعى أننى لم أدَع لأحد من بعدى مقالا فى هذه المسألة ، حاش لله .

و أحسب فقط أننى قد أشرت إلى أهمية عقد مثل تلك المقارنة ، فقد تفتح تلك الإشارة الباب لغيرى من الباحثين لاستكمال هذا الموضوع بالحديث عن حركات إصلاحية أخرى لم ترد فى هذا البحث من خلال بحوث أخرى .

أهمية الموضوع و أسباب اختياره .

و لقد كانت هناك عدة أسباب دفعتنى لاختيار هذا الموضوع ، من أهمها :

أولاً : أهمية الموضوع ، و كونه جديرا بالبحث و الدراسة .

ثانيا : ما زعمه بعض المستشرقين من أن هناك تطابقا تاما بين حركات الإصلاح الدينى فى المسيحية و حركات الإصلاح فى العالم الإسلامى ، ووصفهم أتباع حركة الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " – مثلا – بأنهم بروتستانت الإسلام .

ثالثا : متابعة بعض المهتمين بدراسة الحركات الإصلاحية – من المسلمين – لهؤلاء المستشرقين فى زعمهم سالف الذكر ، و اعتقادهم أن الإصلاح الذى حض عليه الإسلام نسخة أصلية من إصلاح المسيحية .

رابعا : محاولة إبراز الوجه الحقيقى للإصلاح الدينى المسيحى ، و حركاته ، و إزالة القناع الذى يخفى هذا الوجه ، أو يكسبه خصائص و ميزات لا يستحقها .

خامسا : إعطاء دعاة التوحيد من المصلحين المسيحيين حقهم من الذكر ، و إبراز جهدهم الهائل فى سبيل العودة إلى أصول المسيحية الأولى التى أرسل الله بها رسوله " عيسى " " عليه السلام " .

سادسا : إنصاف الحركات الإصلاحية الإسلامية ، و إنزالها المنزلة اللائقة بها و دفع شبهات أعدائها ، و رد محاولات المسخ و التشوية لزعمائها .

سابعا : حاجة الأمة الإسلامية فى هذه الفترة من عمرها للاستفادة من أفكار المصلحين المسلمين النظرية ، و خطواتهم و مناهجهم العملية ، و أخذ ما يتلاءم منها و ظروف العصر .

منهج البحث :

و يرتكز البحث فى هذا الموضوع على عدة ركائز منهجية تتمثل فيما يلى :

أولا : التزام الحيدة و الموضوعية فى عرض الحقائق و تناولها دون تحامل أو تعصب .

ثانيا : عزو الآيات القرآنية إلى سورها و ترقيمها .

ثالثا : تخريج الأحاديث النبوية الشريفة و بيان درجتها .

رابعا : الرجوع إلى المصادر الأصيلة المتصلة بموضوع البحث ، و استقاء كل حقيقة تاريخية من مظانها قدر الاستطاعة .

خامسا : و مما سبق يتضح أن منهجي فى هذا البحث منهج الاستدلال الشرعى والنقلى و التاريخى الاستردادى و الوثائقى و النقدى .

خطة البحث :

لقد بدأتُ الحديث عن حركات الإصلاح بين المسيحية و الإسلام مقسما الموضوع إلى مقدمة ، و بابين و خاتمة .

أما المقدمة : فقد اشتملت على ثلاثة أمور :

الأمر الأول : أسباب اختيار الموضوع .

الأمر الثانى : منهج البحث .

الأمر الثالث : خطة البحث .

و أما الباب الأول :

فتحت عنوان " **حركات الإصلاح فى المسيحية** " و قد اشتمل هذا الباب على أربعة فصول :

الفصل الأول :

و عنوانه " **حتمية الإصلاح المسيحى** " و قد خصصت هذا الفصل للحديث عن ثلاثة أمور :

الأمر الأول : " إطلالة على الحياة الدينية فى العصور الوسطى " و كانت تلك الإطلالة على ثلاثة جوانب ، جانب العقيدة ، جانب العبادة ، و مدى قيام رجال الكنيسة بواجبهم .

الأمر الثانى : " العوامل المباشرة للإصلاح "

و قد تناولت من خلاله التصور العقائدى للمسيحية فى العصور الوسطى ، و فساد المؤسسة الدينية . و انحراف رجالها ، و فقدان الأمل فى الإصلاح الهادئ .

الأمر الثالث : " العوامل غير المباشرة للإصلاح "

و قد تناولت من خلاله : نهضة أوربا الفكرية . و يقظتها العقلية ، و الحركة الإنسانية و دخول الإسلام أوربا . وصلته بحركات الإصلاح المسيحى ، و ظروف أوربا المتغيرة

و أما الفصل الثانى :

فعنوانه " إرهاصات الإصلاح المسيحى " و قد خصصت هذا الفصل للحديث عن ثلاثة أمور :

الأمر الأول : " الإصلاح الرهبانى "

و قد تناولت من خلاله إصلاح " الكلونيين" و " الفرنسيسكان" و " الدومينكان " أو " الإخوة الواعظين " .

الأمر الثانى : " الوالدونيون" و " الألبينيون " أو " الكاثريون "

و هما طائفتان من طوائف الإصلاح المسيحى .

الأمر الثالث : " فجر الإصلاح "

و قد تناولت من خلاله تاريخ المصلحين " جون ويكلف " و" جون هس" و " سافونا رولا " .

و أما الفصل الثالث :

فعنوانه " وقائع الإصلاح البروتستانتى و الإصلاح المضاد " و قد خصصت هذا الفصل للحديث عن أربعة أمور :

الأمر الأول : " مارتن لوثر " و الإصلاح البروتستانتى "

و قد تناولت من خلاله المراحل التى مرت بها حركة " لوثر " بدءا من الظروف التى هيأته لقيادة مسيرة الإصلاح ، و مرورا بمواجهته مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية . و أسباب صراعه معها . و انتهاء بظهور المشروع الإصلاحى " اللوثرى "

الأمر الثانى : " أولريخ زونجلى " و الإصلاح "

و قد تناولت من خلاله العوامل التى جعلت من " زونجلى " مصلحا . و أفكاره الإصلاحية التى نادى بها ، و موقف الكنيسة منه .

الأمر الثالث : " جون كلفن " و الإصلاح "

و قد تناولت من خلاله مراحل إعداد " كلفن " لقيادة المسيرة الإصلاحية . و مرحلة الكفاح من أجل الإصلاح . ثم المبادئ التى نادى بها . و دعا إليها .

الأمر الرابع : " الإصلاح المضاد "

و قد تناولت من خلاله . رد فعل الكنيسة تجاه هذه الحركات الإصلاحية " البروتستانتية " . إذ حَرَصت الكنيسة على وضْع الملامح الرئيسة للعقيدة المسيحية كما تصوَّرَتْها . و اتخذت كافة الوسائل التى أتيحت لها لتضمن الحفاظ على عقيدتها .

و أما الفصل الرابع :

فعنوانه " إصلاح الموحدين " و قد خصصت هذا الفصل للحديث عن أمرين :

الأمر الأول : " موحدون منذ عصر المسيح حتى القرن الخامس الميلادى "

و قد تناولتُ من خلاله بعض هؤلاء الموحدين مثل: " كيرنثوس " و " بيلاجيوس " و " نسطور " و بعض الفرق الموحدة كالفرقة " الأبيونية " و " البوليانية " و " الآريوسية "

الأمر الثانى : " موحدون فى القرون الأخيرة "

و قد تناولتُ من خلاله من دَعَوا إلى التوحيد من المصلحين المسيحيين أو على الأقل أظهروا شكوكهم فى عقيدة التثليث . مثل " ميشيل سرفيتوس " و طائفة " الصوصنية " و " الحركة المعادية للتثليث " .

وأما الباب الثاني :

فتحت عنوان " حركات الإصلاح فى العالم الإسلامى " و قد اشتمل هذا الباب على تمهيد و أربعة فصول :

أما التمهيد : فقد تحدثت فيه عن أمرين :

الأمر الأول : " ذاتية الإسلام تدعو إلى الإصلاح و التجديد " و قد تناولت من خلاله : مدى تأصيل الإسلام لفكرة الإصلاح و التجديد و جوهر الإصلاح الذى يحض عليه الإسلام . أو يرفضه .

الأمر الثانى : " إطلالة على الحالة السياسية و الفكرية للعالم الإسلامى قبل الإصلاح" و قد تناولت من خلاله إجمالاً لأحوال العالم الإسلامى سياسية كانت أو فكرية من خلال الفترة التى سبقت قيام الحركات الإصلاحية التى اقتصر عليها البحث.

وأما الفصل الأول :

فعنوانه " حركة الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " و أثرها فى الإصلاح " و قد خصصت هذا الفصل للحديث عن أربعة أمور :

الأمر الأول : " مؤسس الحركة و كيف أُعد ليكون مصلحا "

و قد تناولت من خلاله نبذة عن حياة الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " و الأسباب التى دعته للمطالبة بالإصلاح .

الأمر الثانى : " الأسس التى قامت عليها الحركة "

و قد تناولت من خلاله كيف اهتم الشيخ " محمد بن عبد الوهاب" بحماية عقيدة التوحيد و ردِّ البدع و الخرافات التى تتنافى معها .

الأمر الثالث : " المراحل و الأدوار التى مرت بها الحركة "

و قد تناولت من خلاله مرحلة الدعوة و مرحلة الدولة و مرحلة الجهاد لنشر الدعوة و تثبيت أركان الدولة .

الأمر الرابع : " أثر الحركة على العالم الإسلامى "

و قد تناولت من خلاله إيجابيات الحركة و سلبياتها و أثرها على الإصلاح في العالم الإسلامي .

وأما الفصل الثاني :

فعنوانه " حركة الشيخ " محمد بن علي السنوسي و أثرها في الإصلاح " و قد خصصت هذا الفصل للحديث عن ثلاثة أمور :

الأمر الأول : " مؤسس الحركة و دوافعه إلى الإصلاح "

و قد تناولت من خلاله نبذة عن حياة الشيخ " السنوسي " و دواعي قيامه بالإصلاح .

الأمر الثاني : " الأسس التي قامت عليها الحركة "

و قد تناولت من خلاله آراء الحركة و أفكارها التي نادت بها و دعت إليها .

الأمر الثالث : " أثر الحركة على العالم الإسلامي "

و قد تناولت من خلاله إيجابيات الحركة و المآخذ التي قد تؤخذ عليها . و أثرها على الإصلاح في العالم الإسلامي .

وأما الفصل الثالث :

فعنوانه " حركة الحكيمين " الأفغاني " و " محمد عبده " و أثرها في الإصلاح "

و قد خصصت هذا الفصل للحديث عن أربعة أمور :

الأمر الأول : " نبذة عن الحكيمين " الأفغاني " و " محمد عبده "

و قد تناولت من خلاله ترجمة ذاتية لشخصية " جمال الدين الأفغاني " و " محمد عبده " .

الأمر الثاني : " العصر الذي نشأ فيه الحكيمان و تحدياته "

و قد تناولت من خلاله حالة العالم الإسلامي وقتذاك و التحديات الداخلية و الخارجية التي واجهته .

الأمر الثالث : " الأسس التي قامت عليها الحركة "

و قد تناولت من خلاله ما نادت به حركة الحكيمين و ما دعت إليه حتى يصلح حال العالم الإسلامى ، و يسترد مكانته اللائقة به .

الأمر الرابع : " أثر الحركة على العالم الإسلامى "

و قدتناولت من خلاله إيجابيات الحركة ، و ما أخذه البعض عليها من مآخذ ، و مدى الأثر الذى أحدثته الحركة بشأن إصلاح أحوال الإسلامى .

و أما الفصل الرابع :

فعنوانه " مقارنة بين الإصلاح فى المسيحية و الإصلاح فى الإسلام " و قد خصصت هذا الفصل لعقد مقارنة بين الإصلاحين من خلال ثلاثة أمور:

الأمر الأول : " الإصلاح بين المسيحية و الإسلام ، الدواعى و الظروف التاريخية"

و قد تناولت من خلاله الدواعى و الأسباب و الظروف التاريخية لكل من الإصلاحين و مدى الفارق الشاسع بينهما .

الأمر الثانى : " الإصلاح بين المسيحية و الإسلام الحقيقة و الهدف "

و قد تناولت من خلاله مقصود كل من الإصلاحين . و مدى أوجه الاتفاق و الاختلاف بينهما .

الأمر الثالث : " الإصلاح بين المسيحية و الإسلام ، الثمرة و الأثر "

و قد تناولت من خلاله النتائج التى ترتبت على الإصلاحين و البون الهائل بينهما .

ثم اختتمت البحث بخاتمة ، ذكرت فيها أهم النتائج التى تضمنها البحث حول حركات الإصلاح المسيحية و الإسلامية . و ذيلتها ببعض المقترحات و التوصيات أتقدم بها لعلى أكون محقا فى إحداها . فتنفتح لها القلوب . وتنشرح لها الصدور . فتستفيد بها أمتنا فى مرحلتها الحاضرة من عمرها .

ثم ذكرت قائمة بالمصادر و المراجع التى استعنت بها فى هذا البحث و رتبتها هجائيا تبعا لاسم المؤلف .

ثم قمت بعمل فهرس للأعلام و البلدان .

ثم رتبت موضوعات البحث من خلال فهرس فى نهاية البحث ليسهل الرجوع إلى أى جزئية داخل البحث .

و قد حرصت جهدى ألا يطول البحث فيُمَل . و ألا يكون قصيرا قصرا يخل باستيفاء كل نقطة حقهامن البحث و الدراسة .

و قد كانت هذه الوسطية فى منهج البحث أعزّ مطلوب حيث أن المادة العلمية كانت من الكثرة بحيث يحتاج الإلمام بها و إيجازها - إيجازا يستوفى عناصر البحث و حاجاته - جهدا مستقلا عن جهد البحث و الدراسة .

و أخيرا أسأل الله عز و جل أن يتقبل منى هذا الجهد المتواضع . و أن يجعله فى ميزان حسناتى . و أن ينفعنى به و سائر المسلمين . كما أسأله سبحانه أن يرزقنى الإخلاص فى القول و العمل . و أن يجنبنى الزلل . إنه على ما يشاء قدير و بالإجابة جدير .



الباب الأول

حركات الإصلاح فى المسيحية

و يشتمل على أربعة فصول :

__الفصل الأول :__

حتمية الإصلاح المسيحى

__الفصل الثانى :__

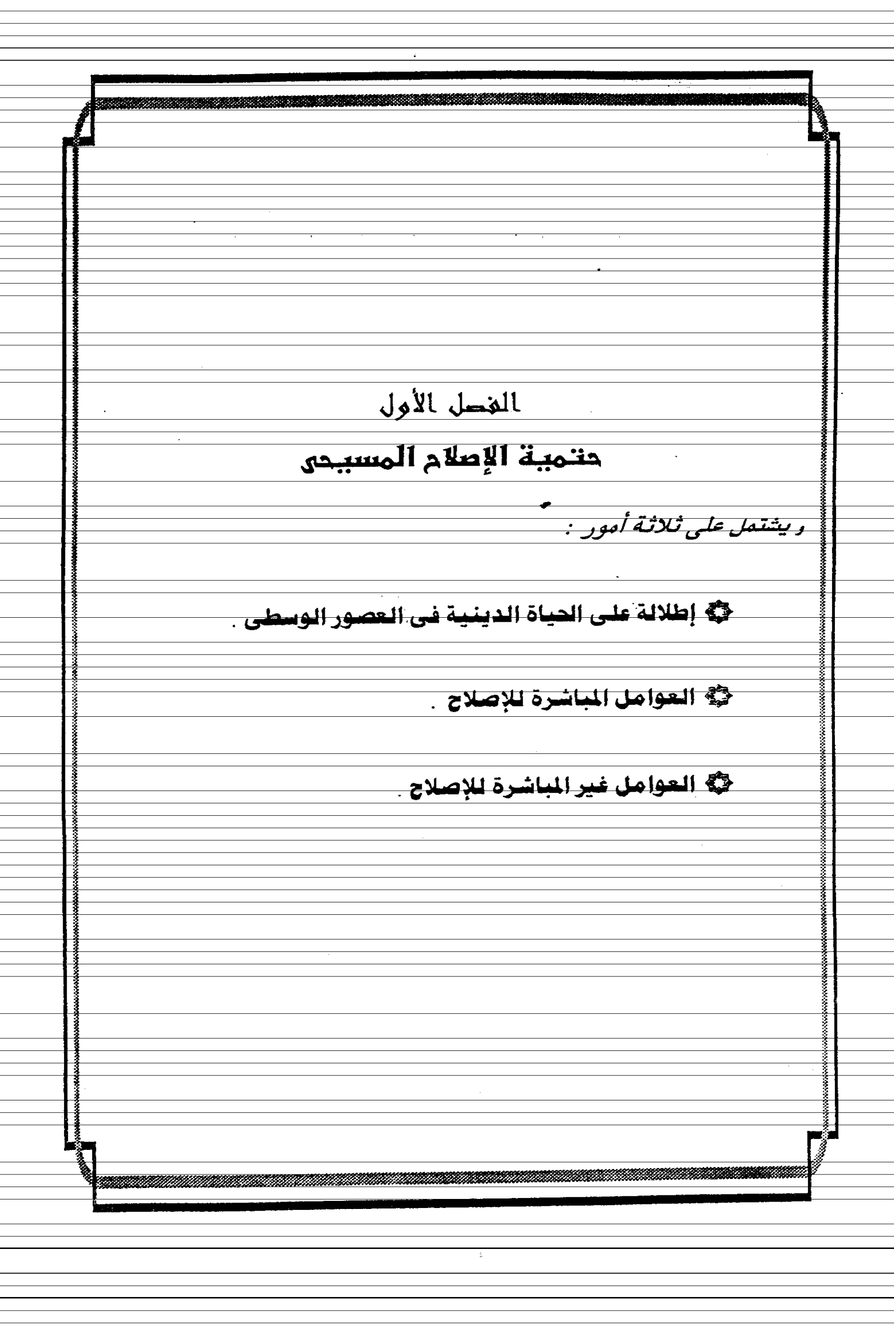
إرهاصات الإصلاح المسيحى

__الفصل الثالث :__

وقائع الإصلاح البروتستانتى و الإصلاح المضاد

__الفصل الرابع :__

إصـــلاح المـــوحـــدين



الفصل الأول

حتمية الإصلاح المسيحى

ويشتمل على ثلاثة أمور :

- **إطلالة على الحياة الدينية فى العصور الوسطى .**
- **العوامل المباشرة للإصلاح .**
- **العوامل غير المباشرة للإصلاح .**

الفصل الأول

" حتمية الإصلاح المسيحى "

تمهيد :

قبل الحديث عن مسيرة الإصلاح المسيحى . لا بد من الوقوف على الحياة الدينية خلال الحقبة التاريخية ، التى عرفت باسم " العصور الوسطى "✪ ، حتى يتسنى لنا تتبع مسيرة الإصلاح المسيحى .

و لعل الدافع إلى إبرازها هو ما عُرفت به تلك الفترة من اضطراب أحوال "الكنيسة الكاثوليكية" و"الإمبراطورية الرومانية". الأمر الذى أدى إلى شيوع الجهل . و تحجُّر العقول . مما حدا بالمفكرين أن يصفوا هذه الحقبة التاريخية بـ " العصور المظلمة " .

✪ " إطلالة على الحياة الدينية فى العصور الوسطى "

و نستطيع إلقاء الضوء على طبيعة الحياة الدينية فى هذه الفترة على النحو التالى :

أولا : جانب العقيدة :

إن العقيدة التى قدّمتها كنيسة "العصور الوسطى". لم تكن العقيدة التى بشّر بها "المسيح" "عليه السلام" . و لا حتى عقيدة " الكتاب المقدس " – رغم ما اعتراه من تحريف – و لم يكن ذلك جديدا أو دخيلا على العقيدة فى "العصور الوسطى". بل إن الانحراف العقدى قد رافق المسيحية من يوم أن قاد " بولس " الحركة الدينية . و صبغ المسيحية

✪ مصطلح " العصور الوسطى " مصطلح غربى أطلقه بعض مؤرخى الغرب للدلالة على فترة زمنية معينة (اختلف فى تحديدها فأطلقه بعضهم على القرون العشرة الواقعة بين سقوط الإمبراطورية الرومانية فى الغرب فى النصف الثانى من القرن الخامس . و ظهور حركة النهضة الإيطالية فى القرن الخامس عشر . و قصره البعض الآخر على القرون الأربعة التى سبقت النهضة الإيطالية مباشرة . و اعتبروا الفترة الواقعة بين القرنين الخامس و الحادى عشر بمثابة دور انتقال طويل من العصور القديمة إلى العصور الوسطى . و الحق أن التاريخ حركة مستمرة . و أن عصوره لا تبدأ فى سنة معينة . و لا تنتهى فى سنة محددة . و ما تقسيم التاريخ إلا أمرا اعتباريا بحتا لتسهيل دراسة فترة معينة من فتراته "

أ- انظر د/ " سعيد عبد الفتاح عاشور " : أوربا العصور الوسطى الجزء الأول . الطبعة الثانية . مكتبة الأنجلو المصرية " ١٩٦١م

ب- د/ " جلال يحيى " – تاريخ أوربا فى مطلع العصر الحديث صـ٧ . ٨ . مطبعة كرموز . الإسكندرية . بدون تاريخ .

بالصبغة الوثنية ، التي أخرجتها عن صورتها الإلهية .

و جعلتها مجرد فكر بشرى تتحكم فيه الأهواء ، و هذا ما يبدو من خلال تصور الكنيسة عن الله ، و بعض العقائد التي فرضتها الكنيسة - زورا - باسم المسيح و المسيحية .

لقد كان تصور الكنيسة عن الله تصورا فاسدا ؟

فالله في تصورها هو الإله الغاضب الذي يدين الناس و يعاقبهم ، و ليس هناك من وسيلة لاتقاء غضبه إلا بطاعة الكنيسة التي أعطاها سلطانه على الأرض . فهي نائبة عن "المسيح" و البابا خليفته . و لم لا و قد قال " المسيح " للقديس " بطرس " كما في النصوص الإنجيلية التي يؤمنون بها :(و أنا أقول لك أيضا أنت " بطرس " و على هذه الصخرة أبني كنيستي ، و أبواب الجحيم لن تقوى عليها ، و أعطيك مفاتيح ملكوت السموات . فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السموات . و كل ما تحله على الأرض يكون محلولا في السموات)[1] .

و استنادا إلى هذا النص فقد جعلت الكنيسة من نفسها إلها يأمر و ينهى . و يُحل و يُحرِّم (و فَرضت على الناس قبول ذلك ومنعتهم من مناقشتها . و إلا تعرضوا للطرد و الحرمان)[2] .

كما تبنّت الكنيسة عقيدة التثليث . و اعتبرتها العقيدة الرسمية التي يكفر جاحدها . و زعمت أن الخبز الذي يأكلونه يوم الفصح . يتحول إلى جسد المسيح!.والخمر الذي يشربونه . يتحول إلى دمه!. و ادّعت لنفسها كثيرا من الحقوق التي لا تنبغي إلا لله عز و جل! .

و خلاصة القول : لقد استطاعت الكنيسة أن تُضيف إلى العقيدة . ما يوافق غاياتها وتحذف منها ما يخالفها . أو يتعارض مع أطماعها و أهدافها .

و مما زاد الطين بلّة تفشي الجهل بين من اعتنقوا المسيحية ، و تأثرهم الشديد بعقائدهم الوثنية القديمة . في الوقت الذي لا يعرفون شيئا عن الديانة المسيحية . إذ أن

---

(١) إنجيل متى - الإصحاح السادس عشر ١٨ - ١٩ .

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة - محاضرات في النصرانية صـ١٥٦ . الطبعة الثالثة - دار الفكر العربي . بدون تاريخ .

الكنيسة لا تُطلع أحدا على شئ ، و لا تَسمح لأحد أن يقترب من الكتاب المقدس ! الأمر الذى أتاح الفرصة لمزج العقيدة المسيحية بكثير من الوثنيات و الخرافات ✿ .

ثانيا : جانب العبادة :

أما العبادة فقد امتزجت هي الأخرى بكثيرمن عبادات الوثنيين ، و إن لبست عباءة المسيحية ، إذ انتشرت عبادة الأشخاص ، و القديسين ، و قُدمت إليهم الصلوات والتوسُّلات ، و ازدهرت العبادة المريمية ، و زيارة الأماكن المقدسة ، و انتشرت كذلك عبادة رفات القديسين. حتى إنه كان يقال (إن مشاهدة مجموعة الذخائر المملوكة لـ" فردريك" ملك "ساكسونيا" – و التى بلغ عددها "٥٠٥" قطعة – و لو مرة واحدة كفيل بتخفيض المدة التى يقضيها المرء فى المطهر بحوالى ٢ مليون سنة) ! ![١] .

ثالثا : عجز الكنيسة و رجالها عن القيام بواجبهم الدينى

مما هو معلوم و مقرر أن مهمة الكنيسة الأساسية ، تتركز فى المحافظة على العقيدة ، و توجيه الناس ، و تقديم النموذج و القدوة ، هذا ما ينبغى أن تكون عليه الكنيسة كمؤسسة دينية ، إلا أن كنيسة "العصور الوسطى" لم تكن كذلك ، بل إنها غاصت فى الأمور السياسية و المطامع الدنيوية (حتى فقدت كل ما كان يقترن بها من النظام وسلامة العقائد ، و طهارة الحياة ، فانصرف البابوات إلى الشئون الدنيوية ، و تحايلوا على اصطياد المال بكل طريق غير مشروع)[٢] .

حتى أصبح مركز البابا مطمعا و موضع نزاع بين المتنافسين ، بل ربما قامت بسببه الحروب !! و لهذا (لم يلبث أن أصبح البلاط البابوى مركزا لجهاز ضخم مهمته تنفيذ أطماع البابوية و سياستها)[٣] .

✿ انظر " ميرل دويناد " تاريخ الإصلاح فى القرن السادس عشر – المجلد الأول صـ٤٠ مترجم . بيروت ١٨٧٨م .

(١) إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٣٢٤ من الترجمة العربية لعاطف سامى برنابا – دار نوبار للطباعة ١٩٩٢م .

(٢) د/ محمد قاسم . ود/ حسين حسنى – تاريخ أوربا الحديثة . صـ٤١ . الطبعة الأولى – لجنة التأليف و الترجمة و النشر ١٩٣٤م .

(٣) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى – الجزء الثانى صـ٢١٩ . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٩م .

و لم يقف الأمر عند حد الانحراف الوظيفي . بل تبعه انحراف أخلاقي ضارب بجذوره في قلب الكنيسة ، و قد طال الرأس و الأعضاء ! !

فلم يكن حال أساقفة الكنيسة و رهبانها أقل سوءا من حال بابواتها !

و غدا الأمر كما يقول " رسل" :(هكذا يبدو أن الكنيسة نفسها وقعت فريسة لنفس الفوضى التى أنشبت أظفارها فى المجتمع الدنيوى . فقد انطلقت الشهوات الخبيثة كلها بغير ضابط)[١] .

هذه إطلالة على الحياة الدينية بصفة عامة خلال"العصور الوسطى"، أردتُ من خلالها أن أُعطى صورة موجزة عن حالة الكنيسة آنذاك ، و أن أمهِّد لتفصيل مقبل يتناول العوامل التى أدت إلى تصدى المصلحين للإصلاح . و نستطيع أن نقسم هذه العوامل إلى قسمين :

– العوامل المباشرة للإصلاح .

– العوامل غير المباشرة للإصلاح .

---

(١) برتراند رسل – تاريخ الفلسفة الغربية . الكتاب الثاني ص١٥٢ . من الترجمة العربية لزكي نجيب محمود . طبعة لجنة التأليف و النشر ١٩٥٦م .

❁" العوامل المباشرة للإصلاح "

لم تكن حركة الإصلاح الدينى المسيحية إلا ثمرة للعديد من العوامل التى أدت إلى قيامها فى أوربا .

و هناك من المؤرخين من يعطى الاهتمام الأكبر فى تناول عوامل الإصلاح الدينى لعوامل ثانوية . أو يركّز على بعض العوامل الرئيسة . و يُغفل البعض الآخر . و من مجمل ما كتب عن الإصلاح الدينى المسيحى يتبين أنه لم يكن ثمرة لعامل واحد . بل كان نتيجة لعدة عوامل . و إن لم تكن جميعها على درجة واحدة من التأثير .

و أبدأ بذكر العوامل المباشرة للإصلاح . و ذلك لما لها من أثر عظيم على مسيرة الإصلاح المسيحى .

و يمكن إيرادها كما يلى :

١- التصور العقائدى للمسيحية فى العصور الوسطى .

٢- فساد المؤسسة الدينية و انحراف رجالها .

٣- فقدان الأمل فى الإصلاح الهادئ .

١- التصور العقائدى للمسيحية فى العصور الوسطى :

لقد حَرَصت الكنيسة على أن لا تسمح لأحد أن يزعم لنفسه حقا فى " فهم الكتاب المقدس " . أو تفسيره . و احتفظت لنفسها بهذا الحق . و فرضت تفسيرها على الجميع . رغم مخالفته العقول السليمة . فلتُلغ تلك العقول . أو تتهم بالتقصير .

و لكن لا يحاول أحد أن يشكك فى كلام الآباء الذين يُلهمون هذه التفاسير المدعومة من قبل "المجامع المقدسة" ❁ ! !

❁ المجامع المقدسة : " عبارة عن جماعات شورية سنها تلاميذ المسيح لدراسة ما يتعلق بالعقيدة و الشريعة . و تنقسم إلى قسمين : مجامع عامة أو مسكونية . أى تجمع رجال الكنائس المسيحية فى كل أنحاء المعمورة . و مجامع مكانية . و هى التى تعقدها كنائس مذهب أو أمة فى دوائرها الخاصة من أساقفتها و قساوستها . إما لإقرار عقيدة أو لفرض عقائد أخرى .

انظر فى شأن تلك المجامع : الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية صـ١١١ .

لقد فرضت الكنيسة ما شاءت من العقائد لا ما شاء الله ! . و ادعت لنفسها بعض الحقوق التي لا يملكها إلا الله ! . و تطرّفت في البعض الآخر الذى ربما كان حقا لها و سأتناول تلك الأمور فيما يلى :

أ- عقيدة التثليث :

إنها عقيدة الكنيسة التي لا يساندها نص إلهى قط :(فليست من تعاليم العهد القديم . و لا توجد في أي مكان بين ثناياه "[و إنما ابتدعها " بولس"] ليشارك بها الديانات الوثنية القديمة في لب عقائدها)[١] .

و رغم أن صيغة التثليث هذه (التى تتكلم عن الآب و الابن و الروح القدس غريبٌ ذِكْرُها على لسان المسيح . و لم يكن لها نفوذ في عصر الرسل)[٢] ؛

إلا أن الكنيسة تبنتها . و اعتبرتها العقيدة الرسمية . و رفضت في المقابل عقيدة التوحيد التى جاء بها " المسيح" "عليه السلام" . و ذلك من خلال مجمع " نيقية "✿ "٣٢٥ م" رغم المجادلات الكثيرة التي قامت بشأنها . و رغم تشكّك الكثيرين من المسيحيين فيها . كما يقول "جرين برنتن" [٣] :

(إن المسيحية الظافرة في مجلس " نيقية " – العقيدة الرسمية – في أعظم إمبراطورية في العالم مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحيين في" الجليل"و لو أن المرء اعتبر العهد الجديد التعبير النهائي عن العقيدة المسيحية لخرج من ذلك قطعا لا بأن مسيحية" القرن الرابع" تختلف عن المسيحية الأولى فحسب . بل بأن مسيحية" القرن الرابع" لم تكن مسيحية بتاتا) !

---

(١) انظر : أحمد عبد الوهاب : حقيقة التبشير بين الماضي و الحاضر صـ٨٢ . مكتبة وهبة . بدون تاريخ .

(٢) نفس المرجع صـ١٨ .

✿ عن مجمع " نيقية " انظر الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية صـ١١٢ – ١٢١ .

(٣) أفكار ورجال "قصة الفكر الغربي صـ٢٠٧ . من الترجمة العربية لمحمود محمود – طبعة مصر ١٩٦٥م .

ب – حق الغفران :

و هو أحد الحقوق التى ادّعتها الكنيسة لنفسها لتجنى من وراءه الثراء المادى . و لقد كان أساس فكرة غفران الذنوب:اعتقاد الكنيسة (أن المسيح و القديسين قد حققوا صلاحاً كثيرا فى حياتهم أكثر من حاجتهم . و أن هذا الصلاح الزائد مدّخر فى خزانة سماوية . يمكن للبابا أن يسحب منها لحساب الأمناء الأحياء . و حينئذ تُغفر الذنوب ما تقدم منها و ما تأخر)[١] !

و شيئاً فشيئا تطور أمر الغفران حتى أصبح يُباع بالمال ، عن طريق الصكوك التى عرفت بـ "صكوك الغفران " و أصبح فى مقدور أى أحد أن يشترى غفران الله ببعض المال !.
و تتفاوت أسعار تلك " الصكوك " من شخص إلى آخر حسب الحالة الاجتماعية .
و على قدر و حجم الذنب . و بموجب صك الغفران ، تغفر الخطايا مهما كانت . كما أخبرَت بذلك صيغةُ هذه الصكوك . إذ جاء فيها :
(أَلاَ فليرحمك الرب يسوع المسيح . و يغفر لك بفضل ما لقى من آلام مقدسة . و إنّا بتفويض منه . و من رسولية المباركين "بطرس " و " بولس " و من البابا المقدس .
أحلّك أولا من كل لوم دينى مهما كانت الطريقة التى تعرضت لها . ثم من كل خطاياك . و من كل تجاوز للحدود . و كل إفراط فى الملذات مهما بلغت من الجسامة !
"هكذا " !! ,..... و أعفيك من كل عقاب تستحقه فى المطهر بسبب هذه الآثام .
و أعيدك إلى القربان المقدس للكنيسة . و إلى البراءة و الطهر اللذين حزتهما فى العماد
و لهذا فإنك عندما تموت ستغلق أمامك أبواب العذاب . و تفتح لك أبواب جنة النعيم ...)[٢] !

و نظرا لما تحققه "صكوك الغفران" من ربح وفير . فقد كان (لا يُسمح ببيعها إلا بمرسوم

---

(١) انظر : إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٣٢ . و ما بعدها .

(٢) ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الثالث من المجلد السادس . الإصلاح الدينى . صـ٥ من الترجمة العربية للدكتور عبد الحميد يونس . و مراجعة د/ على أدهم . طبع لجنة التأليف و النشر . بدون تاريخ .

و انظر أيضا : صموئيل مشرقى . البروتستانتية عقيدة و نظاما صـ١٦ . و ما بعدها – القاهرة ١٩٧٧ .

بابوى . حتى يتأكد نصيب البابا فى الدخل)[١] !

و قد كان لمسألة صكوك الغفران هذه أثر كبير فى انطلاق مسيرة الإصلاح . فيما بعد . بل كانت القشّة التى قصمت ظهر البعير !

جـ- حق الحرمان :

و فى مقابل "صكوك الغفران"، كان هناك "حق الحرمان"، و هو عقوبة معنوية . و سلاح فى يد الكنيسة تستعمله وقتما تشاء (و قد أخذ المسيحيون هذه العقوبة عن قدماء الوثنيين)[٢] .

و ليس هذا غريبا على كنيسة استعارت كثيرا من أصول عقائدها و فروعها من الوثنيين كعقيدة التثليث . و التعميد . و المخلّص . و القيامة . و العشاء الربانى . والدينونه و غيرها من تلك الأصول التى ادعتها الكنيسة عقيدة لها ✲ .

و بمقتضى "حق الحرمان" الذى ادعته الكنيسة يُنبذ و يُطرد من وقع عليه "الحرمان". بل (و تُسلب حقوقه المدنية فى وظائف الدولة . و تُصادَر أملاكه . و يُحرم من الرتب و نحوها . و إذا مات يُدفن على غير الشعائر المسيحية !)[٣] .

و قد استخدمت الكنيسة هذا الحق المزعوم مع أشخاص كثيرين مثل " آريوس " الذى دعا إلى العودة إلى التوحيد فاعتُبر بذلك مذنبا مجرما !! و " مارتن لوثر " الذى ندّد بصكوك الغفران . و الإمبراطور الألمانى "هنرى الرابع" الذى استغل البابا "جريجورى السابع" خلافا بينه و بينه . فخلعه البابا . و حكم عليه بالحرمان! ✲✲

كما استخدمت الكنيسة "الحرمان" أيضا مع المجتمع بأكمله ! . و لعل أبرز صُوَرِه . ما

---

(١) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة . الجزء الرابع صـ٣٩ . من الترجمة العربية لعزرا مرجان . دار الثقافة . د/ت .

(٢) د/ توفيق الطويل : قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية و الإسلام صـ٨٩ . الطبعة الأولى . الزهراء للإعلام العربى ١٩٩١م.

✲ عن التشابه بين المسحية و الوثنية فى الأصول وا لفروع . انظر : أحمد عبد الوهاب - حقيقة التبشير بين الماضى و الحاضر صـ٧٥ : ٨٣ .

(٣) د/ توفيق الطويل : المرجع السابق صـ٩٠ .

✲✲ انظر هـ . ج - ويلز . معالم تاريخ الإنسانية . المجلد الثالث صـ٩١٠ . ٩١١ . من الترجمة العربية لعبد العزيز توفيق جاويد . الطبعة الرابعة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م.

حدث فى "بريطانيا" ، حينما نشب خلاف بين الملك "يوحنا" و البابا ، فأوقع البابا عقوبة الحرمان بالمجتمع كله ❁ .

د- حق التحلة :

و يُتيح هذا الحق للكنيسة ، أن تُحل ، و تُحرم كما تشاء ، و لو خالفت فى ذلك كتابها المقدس !! و بمقتضاه يستطيع البابا فى كثير من الأحيان (أن يهمل قوانين الكنيسة [بل و يخالفها] ... فتراه يأذن لأبناء العم و أبناء الخال أن يتزاوجوا ! ، و قد يُسمح لرجل بأن تكون له زوجتان ! ، و له أن يُحل أى إنسان من نذره !) [1] .

و يبدو أن الكنيسة أرادت - بادعائها هذا الحق - أن تتخلص من كل القيود التى قد تعوقها عن بسط سيطرتها التامة على المجتمع ، و لو كان ذلك على حساب العقيدة ذاتها !! ففى سبيل غايتها لا بأس (أن تتحلل من الأوامر الدينية كلها كما يقول "ديورانت") [2]

هـ- حق المحاكمة :

لقد استطاعت الكنيسة أن تُحكم قبضتها على رجال الكنيسة بواسطة محاكم خاصة تنظر فيها قضاياهم ، و لكن ماذا تصنع فى من هو خارج الكنيسة . حين يخالفها أو يخرج عليها ؟ لقد أنشأت ما عرف فى التاريخ باسم " محكمة التفتيش " و التى تعد بمثابة جهة قضائية كهنوتية ، تضمن الكنيسة من خلالها أن تحاكم و تعاقب المارقين من الدين و قد دعمت الكنيسة هذا الحق . بقول المسيح كما فى إنجيل "يوحنا" حسب زعمها :

(لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا ، إن كان أحد لا يثبت فىَّ يُطرح خارجا

❁ انظر سلامة موسى : حرية الفكر و أبطالها فى التاريخ صـ٤٦ ، ٤٧ . الهيئة المصرية العامة للكتاب د/ت .

(١) ويلز : معالم تاريخ الإنسانية ، المجلد الثالث صـ٨٩٦ .

(٢) قصة الحضارة : الجزء الأول من المجلد السادس الإصلاحى الدينى صـ٤٢ من الترجمة العربية لعبد الحميد يونس ، لجنة التأليف و النشر ، بدون تاريخ .

كالغصن فيجف و يجمعونه و يطرحونه فى النار فيحترق)[١] .

و بناء على ذلك شرعت الكنيسة فى (تصيد الهراطقة * فى كل مكان . و البحث عنهم كما تبحث العجائز الخائفات عن اللصوص تحت الأسرة ، و فى الدواليب قبل الهجوع فى فراشهن)[٢] .

و قد كان للكنيسة أسلوبها العجيب و الغريب فى محاكمة مخالفيها و من أسمتهم بالهراطقة . و كانت لها طريقتها الرهيبة فى انتزاع اعترافات المتهمين . و إنزال العقاب و العذاب بهم . الأمر الذى يقشعر من هوله وبشاعته البدن ، و يعجز عن وصفه القلم ** ! ! .

٣ - فساد المؤسسة الدينية و انحراف رجالها

تعتبر الكنيسة الرومانية نفسها الممثل الوحيد للمسيح على ظهر الأرض . و يفترض فيها أن تكون قدوة للمسيحى فى كل مكان . إلا أنها خيّبت آمال أتباعها الذين ينظرون إليها بتقديس و احترام و نتيجة لذلك وصفها " دوبيناه "[٣] قائلا : (إن الكنيسة كانت متزعزعة بالأحزاب و الهرطقات و الخطايا و الرذائل و الفساد و الضلال و شرور لا تحصى)

و ينطبق هذا الوصف بصورة كبيرة على" الكنيسة الرومانية". و خاصة خلال الفترة التى

---

(١) إنجيل يوحنا : الإصلاح الخامس عشر ٥ - ٦ .

* الهرطقة :كلمة يونانية الأصل . و معناها : الرأى المستقل أو الاجتهاد الفردى . إلا أنه ابتداء من مطلع القرن الرابع استعملت الكنيسة هذا اللفظ لدمغ من لا تتفق أراؤه مع قانون الإيمان الكنسى . و ما اتفق عليه فى المجامع الكنيسة المبكرة . انظر فى ذلك أ:اسحاق عبيد - محاكم التفتيش نشأتها و نشاطها صـ١٤ الطبعة الأولى . دار المعارف ١٩٧٨ م .

ب- د/ أحمد شلبى : مقارنة الأديان المسيحية صـ٢١ . الطبعة العاشرة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٣م .

(٢) ويلز : معالم تاريخ الإنسانية . المجلد الثالث صـ٩٠٣ .

** عن تلك المحاكمات انظر أ- د/ توفيق الطويل - قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية و الإسلام صـ٨٤ - ٨٧ .

ب-اسحق عبيد - محاكم التفتيش نشأتها و نشاطها صـ٤٩ - ٥١ .

جـ- سلامة موسى - حرية الفكر و أبطالها فى التاريخ صـ٥١ . و ما بعدها .

(٣) تاريخ الإصلاح فى القرن السادس عشر . المجلد الأول صـ٤٣ .

عُرفت بـ " السبى البابلى " * "١٣٠٥ م – ١٣٧٧م " و أثناءها دب النزاع و الشقاق بين بابواتها و انحط شأنها ، و اكتسبت سمعة سيئة لدى جموع المسيحيين حتى وصفها أحدهم بقوله :(بابل العاصية جحيم الأرض ، بالوعة الرذيلة ، و مستودع أقذار العالم لا تجد فيها إيمانا و لا إحسانا و لا دينا و لا خوفا من الله .

لقد تجمعت فيها أقذار العالم و خبائثه . ترى كبار السن من رجالها يندفعون غير مبالين بكبر سنهم أو كرامتهم أو مالهم أو سلطانهم إلى ارتكاب كل عار . كأن مجدهم كله لا يعتمد على صلب المسيح بل يقوم على المأكل و المشرب و السكر و الدعارة . فالفسق و مضاجعة المحارم ، و هتك الأعراض و الزنا هى أهم أعظم المباهج الشهوانية لمهازل رؤساء الكنيسة)[1] !

لقد تسلل الفساد إلى معظم فئات هذه المؤسسة الدينية تقريبا ، و أزكمت رائحته الأنوف و هذا ما يبدو من خلال موقف الكنيسة من المال و الأخلاق . و يتضح ذلك من خلال الآتى :

أ – الكنيسة و المال :

إن مقارنة بسيطة بين واقع الكنيسة حينئذ . و بين موقف المسيح من الدنيا . تكشف لنا عن مدى الجشع الرهيب الذى سيطر على رجال الكنيسة . حتى أصبح كنز المال شغلهم الشاغل ! . فقد ورد أن المسيح يقول :(مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله)[2] .

وورد أنه قال لتلاميذه :(لا تقتنوا ذهبا و لا فضة و لا نحاسا فى مناطقكم . و لا مزودا للطريق و لا ثوبين و لا أحذية و لا عصا)[3] .

---

* انظر هـ . م .ل فيشر – تاريخ أوربا العصور الوسطى . القسم الثانى صـ٣٥٨ و ما بعدها . من الترجمة العربية لـ محمد مصطفى زيادة . السيد الباز العرينى . إبراهيم أحمد العدوى . الطبعة الثالثة . دار المعارف ١٩٦٦م .

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة . الجزء الأول من المجلد الخامس . النهضة صـ١٠٠ . من الترجمة العربية للدكتور/محمد بدران . الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية . بدون تاريخ

(٢) إنجيل مرقس : الإصحاح العاشر ٢٥ .

(٣) إنجيل متى : الإصحاح العاشر ٩– ١٠ .

هذا هو موقف المسيح من الدنيا . كما ورد في كتابهم المقدس ، فماذا كان موقف الكنيسة؟!

لقد أصبح جل هم الكنيسة أن تكدّس الأموال . و تفننت في ابتكار وسائل تنمية الدخل (فكان كل شئ في كنيسة "روما" يباع بالمال ، لا شئ فيها يمكن الحصول عليه بغير المال) [١] .

فكانت الكنيسة تأخذ نصيبها من العشور التي يدفعها المسيحيون . و من الضرائب . و ما يتركه الأساقفة و رجال الكنيسة إذا ماتوا !

و كانت تضع أملاك المحاربين أثناء الحروب الصليبية ، تحت حراستها . و تضم إليها أملاك من يموت منهم ! هذا بالإضافة إلى الهبات و العطايا التي كانت تقدم إمّا تزلفا إلى البابا . و إما بدافع الإحسان و الصدقة !

(الأمر الذى جعل الكنيسة من أكبر مُلّاك الأراضي . بل من أكبر السادة الإقطاعيين في" أوربا") [٢] .

و قد أحدثت هذه الثروة الهائلة أثراً سيئا بين رجال الكنيسة . إذ انشغلوا بتنمية هذه الثروة . و أهملوا واجباتهم الدينية . و دبت بينهم روح التنافس – ليس في العبادة و الزهد – بل في جمع المال و تكثيره . الأمر الذى أثار حفيظة كل فئات المجتمع المسيحي نحو الكنيسة .

ب – الكنيسة و الأخلاق :

ماذا يرجى من رجال الكنيسة بعد أن كرسوا حواسهم لكنز المال ؟!!

لقد سعى البابوات لتثبيت أقدامهم في مناصبهم . و بسط سيطرتهم على كل شئ في

---

(١) ول ديورانت : المرجع السابق صـ٢٤ .

(٢) انظر أ- ميرل دوبيناه : تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر : المجلد الأول صـ٥٤ .

ب- إيرل كيرنز . المسيحية عبر العصور صـ٢٨ .

جـ- عزت زكي : تاريخ الكنيسة : المسيحية في عصر الإصلاح . دار التأليف و النشر للكنيسة الأسقفية د/ت .

د- محمود سعيد عمران : حضارة أوربا في العصور الوسطى صـ٣١٣ . دار النهضة العربية ١٩٩١م .

المجتمع . و على كل أحد ؟ و لو كان ذلك لا يتحقق إلا بالرشاوى ✿ !!.

بل إنهم لم يتورعوا عن اللجوء إلى التزوير ![نعم التزوير]، حتى يحتفظوا بمكانهم فى الكنيسة (ولا تزال "هبة قسطنطين " و " وثيقة الأحكام البابوية المزورة " لا تزال هاتان الوثيقتان خير شاهد على انحطاط أخلاق البابوات)[١] .

بل عُرف عن البابا " جريجورى السابع أنه (كانَ من أمهر مزورى الوثائق)[٢] !

و لقد كانت البابوية فى أمس الحاجة إلى مثل هذه الوثائق المزورة (لأن المفاهيم القانونية التى كانت سائدة فى العصور الوسطى . كانت تقيم اعتبارا كبيرا لكل ما هو قديم . و مرتبط بالعادات و التقاليد .

و إذا أخذنا فى اعتبارنا أيضا ما كان عليه غالبية المجتمع من جهل . لأصبح من السهل أن نفهم دوافع الكنيسة إلى تزوير هذه الوثائق)[٣] . يضاف إلى ذلك ما تمتع به معظم رجال الكنيسة و بابواتها حينئذ من سمعة سيئة . و فجور . و غرام بالنساء . و انتهاك للحرمات !

فها هو ذا البابا "يوحنا الثانى عشر " "٩٥٥م – ٩٦٤ م " (الذى ذاع صيته فى مطاردة النساء . و كان يعاشر أمه معاشرة الأزواج) ![٤] .

و ها هو البابا " بورجيا اسكندر السادس " "١٤٩٢م – ١٥٠٣م " الذى يأتى على رأس قائمة البابوات الذين لطخوا سيرة البابوية بالخزى و العار . قد اشتهر بالقسوة والفجور و كان يحيط نفسه بالراقصات . و كان له أبناء لقطاء كثيرون . و اشتهر عنه

✿ القس " بيتر دى ورزا " – التاريخ الأسود للكنيسة صـ٧٩ . من الترجمة العربية لآسر حطيبة . الطبعة الأولى . الدار المصرية للنشر و التوزيع ١٩٩٤م .

(١)عن هاتين الوثيقتين انظر د/ سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى . الجزء الأول صـ٣٤٠ . ٣٤١ .

(٢) القس بيتر دى روزا . المرجع السابق صـ٥٤ .

(٣) انظر : نورمان .ف.كانتور : التاريخ الوسيط و قصة حضارة . البداية و النهاية صـ٢٥٠ . من الترجمة العربية للدكتور قاسم عبده قاسم . الطبعة الثانية . دار المعارف ١٩٨١م .

(٤) القس بيتر دى روزا . المرجع السابق صـ٤٨ .

الولع بالغلمان) [١] !! .

و قد طال هذا الانحراف معظم رجال الكنيسة الرومانية . و ضارعوا البابوات فى سوء الأخلاق .

و قد عبر الشيخ " محمد أبو زهرة [٢] " عن الحالة الأخلاقية السيئة لرجال الكنيسة فى سِفْرِهِ القيم " محاضرات فى النصرانية " قائلا :

(لقد كانت حال رجال الدين تحوطها الريب من كل جانب ، و تأخذهم الأنظار المتعقبة من كل ناحية من نواحي الحياة . حرموا على أنفسهم الزواج ... و لكن ما أن تواردت عليهم الأموال و كثرت أمامهم أسباب النعيم . حتى فكهوا فيها مترفين .
و انغمسوا فى الملاذ ...... و اتصل بعضهم بالنساء اتصال سفاح . بعد أن حرموا على أنفسهم النكاح ، و لم تتمنّع النساء المتصلات بهم من أن يُعلنّ ذلك مفاخرات به ......
لقد كانت تلك الحياة اللاهية العابثة الفاسقة ميزة اختص بها بعض رجال الطبقة العالية الدينية أنفسهم !)

فقدان الأمل فى الإصلاح الهادئ :

و أعنى بالإصلاح الهادئ ، تلك المحاولات التى نبعت من قلب الكنيسة بقصد إصلاحها بالطريق السلمى . بعد أن بلغ الفساد منتهاه . و طال الرأس و الأعضاء .
و كان بعض رجال الكنيسة الذين لا تزال فيهم بقية من التمسك بالعقيدة المسيحية . قد سعوا لعقد مجْمع يتولى أمر الإصلاح . فعقدت لذلك ثلاثة مجامع ، أتناولها على النحو التالى :

---

(١) انظر أ- د/ إسحق عبيد . محاكم التفتيش نشأتها و نشاطها صـ٣٤ .

ب- رياض غبريال السنورسى : الدرة النفيسة فى مجمل تاريخ الكنيسة صـ٤٩ . الطبعة الأولى . مطبعة المحيط بالفجالة . ١٩٧٢م .

(٢) صـ١٥٩ . و انظر :

أ- د/ محمد رفعت . و د/ محمد أحمد حسونة . تاريخ العصور الوسطى صـ١٣٤ . و ما بعدها .

ب- أندريه كرسون . المشكلة الأخلاقية و الفلاسفة صـ١٦٧ . من الترجمة العربية للدكتور / عبد الحليم محمود . و الأستاذ أبو بكر زكرى . الطبعة الثانية . دار الكتب الحديثة . بدون تاريخ .

أ- مجمع بيزا :

و قد عقد هذا المجمع عام " ١٤٠٩م " للعمل على إنهاء الانشقاق في قيادة الكنيسة أثناء فترة "السبى البابلى للبابوية" و لوضع حد لهرطقة بعض رجال الكنيسة ، و قد تمخض هذا المجمع عن (قرار بعزل كل من البابا " بندكت الثالث عشر " الجالس على كرسى البابوية فى " فرنسا " و البابا " جريجورى الثانى عشر " الجالس على كرسى البابوية فى " روما " . و تعيين " الكسندر الخامس " و اعتباره " البابا الشرعى للكنيسة الرومانية ، إلا أن شاغلى الكرسى البابوى قد رفضوا الإعتراف بهذا القرار ، و تفاقم بذلك أمر الانشقاق) [1] .

و لئن كان هذا المجمع لم يحقق شيئا يذكر بشأن إصلاح الكنيسة ، إلا أنه نبه على ضرورة إصلاحها عن طريق المجامع . و لهذا عقد مجمع آخر .

ب- مجمع كونستانس :

عقد هذا المجمع عام " ١٤١٤م " و استمر منعقدا ثلاث سنوات . و يعتبر من أضخم مجامع العصور الوسطى . و فى هذا المجمع توحدت الكنيسة . و أصبح لها قيادة بابوية مطاعة . و ذلك بانتخاب البابا " مارتن الخامس "

و فى هذا المجمع أيضا تم (التأكيد على أهمية قرارات المجامع الكنسية . و أنها ملزمة للجميع حتى البابا نفسه . و فى هذا المجمع أدنيت آراء واحد من رجال الكنيسة الساعين لإصلاحها . و هو "جون ويكلف" الإنجليزى . و أعدم المصلح التشيكى " حنا هس ") [2] .

---

(١) انظر أ- فيشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى . القسم الثانى صـ٣٧٨ .

ب- إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٢٩٥ .

جـ- جون لوريمر : تاريخ الكنيسة . الجزء الرابع صـ٣٩ .

د- د/ محمد رفعت . د/ محمد أحمد حسونة . تاريخ العصور الوسطى صـ١٨٦ و ما بعدها .

(٢) عن مجمع كونستانس انظر :

أ- فيشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى . القسم الثانى صـ٣٧٨ .

ب- د/ محمد رفعت . د/ محمد أحمد حسونة . المرجع السابق صـ١٨٧ .

واكتفى المجمع بمناقشة عدة أمور ليست لها أهمية ولا تخدم قضية الإصلاح، وكان لا بد من ضرورة عقد مجمع آخر لمناقشة أمر إصلاح الكنيسة.

جـ- مجمع بازل:-

وقد عُقد هذا المجمع "بسويسرا – عام " ١٤٣١م" واستمر حتى عام "١٤٤٩م" وسعى إلى (توحيد الكنائس اليونانية مع الكنائس التابعة "لروما" إلا أن المحاولة باءت بالفشل، وفى هذا المجمع حددت "الأسرار السبعة المقدسة"* للكنيسة الكاثوليكية[1] ولم يتعرض المجمع لما تعج به الكنيسة من فساد على الرغم من الآمال الكبيرة التى كانت معلقة بهذا المجمع وأمثاله، بل إن هذه المجامع (أدانت من كانوا ينادون بتطهير الكنيسة وإصلاحها ولعل ذلك من أظهر الأدلة على فشل هذه المجامع فى محاولاتها الإصلاحية)[2].

وبسبب ذلك فقد ضاعت فرصة من أهم فرص الإصلاح الهادئ، وفُقد الامل فى إصلاح أحوال الكنيسة عن طريق المجامع الكنسية المقدسة.

---

*الأسرار السبعة المقدسة ١- سر المعمودية ٢- سر المسح بالميرون المقدس والميرون المقدس هو عبارة عن مزيج من العقاقير عليه بقايا تحدرت – كما يدعى رجال الكهنوت – من الدهن الذى صنعه الرسل ٣- سر التوبة والاعتراف ٤- سر الكهنوت وهو السر الذى يختار به رجال الدين ويعينون فى مناصبهم الكهنوتية ٥- سر العشاء الربانى ٦-سر المسح على المرضى ٧- سر الزواج.

انظر د./ أحمد شلبى – مقارنة الأديان (المسيحية صـ٢٠٣ ، ٢٠٤).

(١) إيرل كيرنز: المسيحية عبر العصور صـ٢٩٦.

(٢) انظر أ- فيشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، القسم الثانى صـ٣٧٩.

ب- د/ سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى ، الجزء الثانى صـ٢٢٦ ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٦م.

۞ "العوامل غير المباشرة للإصلاح"

سبق لنا أن أوضحنا العوامل المباشرة للإصلاح . و يجدر بنا أن نشير إلى العوامل غير المباشرة ، لأنها ساعدت على انطلاق الحركة الإصلاحية المسيحية ، و إن كانت أقل أثرا من سابقتها .

و يمكن إيراد هذه العوامل فيما يلي :

١- النهضة الفكرية و اليقظة العقلية .

٢- الحركة الإنسانية .

٣- دخول الإسلام أوربا ، وصلته بحركات الإصلاح المسيحي .

٤- الظروف المتغيرة في أوربا .

١- "النهضة الفكرية و اليقظة العقلية "

لئن عدت النهضة الفكرية أثرا من آثار الإصلاح . فقد كانت أيضا عاملا فاعلا فيه . فهي أثر و مؤثر في ذات الوقت .

(و قد بدأت في القرنين " الحادى عشر " و " الثاني عشر " الميلاديين . ثم أخذت في النمو و التقدم و الانتعاش خلال القرون اللاحقة . حتى القرن" السادس عشر الميلادي") [1] .

و لم تكن تلك النهضة إلا ثمرة لمجموعة من العوامل ۞ التي لاتُنكَر . و التي تحتل الحضارة الإسلامية مكان الصدارة فيها . يعاونها في ذلك موقف الكنيسة السئ من العلم و أهله . و محاولة فرض رقابة صارمة على العقول . كما فرضتها على القلوب . و هيمنتها على كل ميادين البحث العلمي تقريبا متذرعة بما ورد في " الكتاب المقدس"

---

(١) انظر د/ عبد الفتاح أبو عليه . د/ إسماعيل أحمد ياغي : تاريخ أوربا الحديث المعاصر صـ٢٠ . الطبعة الثالث . دار المريخ د/ت .

۞ عن هذه العوامل التي أثمرت النهضة الأوربية . انظر :

أ- د/ محمد قاسم . د/ حسين حسني . تاريخ أوربا الحديث صـ١١ .

ب- عمر الإسكندري . سليم حسن - تاريخ أوربا الحديثة و آثار حضارتها . الجزء الأول صـ٤ . الطبعة الثالثة . دار المعارف ١٩٢٣م .

مستغلة أمية الشعب التى بلغت نسبتها ٩٩٪ تقريبا) ✿ .

لقد أثمرت هذه العوامل مجتمعة نهضة فكرية هائلة كانت (تنبيها ذهنيا شمل جميع نواحى الحياة الأوربية و أثر فيها) [١] .

فتحرر المفكرون من القيود الثقيلة التى قيدتهم بها الكنيسة (وسلطوا نور العقل و المنطق علي جميع الأنظمة ، و فى مقدمتها : الأنظمة الدينية) [٢] .

كما أسهم ظهور الطباعة عام " ١٤٥٠م " بدور كبير فى تهيئة الناس للإصلاح ، إذ بظهور الطباعة (رخصت الكتب جدا ، و زادت عما كانت من قبل ..... و أضحت مطالعة الأسفار المقدسة ، و الكتب المشتملة على إصلاح أكيد أمراً ميسورا) [٣] .

٢- "الحركة الإنسانية"

كان ابتداء ظهور هذه الحركة فى القرن " الرابع عشر الميلادى " ، و عظُم أمرها فى القرن " الخامس عشر " ، و آتت أكلها فى القرن " السادس عشر " الميلادى .

و قد عُرف أتباع هذه الحركة "بالإنسانيين". و ذلك لأنهم (اتخذوا الإنسان و حياته موضعا لدراساتهم ، و عرفوا أيضا "بالمتأدبين". لاهتمامهم بالتنقيب عن الآثار و المخلّفات الأدبية "اليونانية" و "الرومانية" القديمة لإحياء العلوم و المعارف) [٤] .

✿ عن هيمنة الكنيسة و سيطرتها على ميادين البحث العلمى . انظر

أ- ويلز - معالم تاريخ الإنسانية - المجلد الثالث صـ٩٠٨ .

ب- د/ توفيق الطويل ، قصة النزاع بين الدين و الفلسفة صـ٣٦ ، الطبعة الثانية ، مكتبة مصر ، د/ت .

جـ- جون لوريمر - تاريخ الكنيسة ، الجزء الرابع صـ٨٤ .

(١) د/ محمد فؤاد شكرى ، و د/ محمد أنيس : أوربا فى العصور الحديثة ، الجزء الأول صـ٦

(٢) د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، الجزء الأول صـ٣٦٤ و ما بعدها ، الطبعة الخامسة ، الأنجلو المصرية ١٩٨٥م

(٣) انظر أ- هربرت فيشر : أصول التاريخ الأوربى الحديث صـ٩٦ ، من الترجمة العربية ، د/ زينب عصمت راشد . و د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى و مراجعة د/ أحمد عزت عبد الكريم ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، بدون تاريخ

ب- ذكرى البروتستانت : مجهول المؤلف صـ٤ و ما بعدها ، موجود بدار الكتب المصرية ، بدون تاريخ و مكان الطبع

(٤) د/ محمد فؤاد شكرى ، و د/ محمد أنيس : أوربا فى العصور الحديثة ، الجزء الأول صـ٦ .

و نستطيع أن نوجز آراء الإنسانيين في عدة نقاط :

أ- (المعرفة و التعليم لكل إنسان .

ب- الأخلاق العالية المبنية على حياة تكريسية عميقة .

جـ- إعادة فحص نصوص الكتاب المقدس من جديد في نور المعرفة لاكتشاف معناها الكامل .

د- تنزع من حياة الكنيسة و أنشطتها كل المعتقدات و الممارسات التى تنقضها سلطة الكتاب المقدس)[١] .

لا شك أن أفكارا كهذه لا بد أن تثير غضب" الكنيسة الرومانية" التى لاتسمح لأحد أن يفكر أو يناقش فضلا عن أن يعترض !

و هذه بعض النماذج لرواد الحركة الإنسانية ، الذين أسهموا فى تهيئة الطريق للإصلاح :

١- " جاك ليفيفر " " ١٤٥٥م - ١٥٣٦م "

و قد ظهر فى " فرنسا " و كانت له إنجازات مهمة فى سبيل الإصلاح الدينى . فقد (كتب تفسيرا للأناجيل . و نشر تفسيرات باللغة اللاتينية لرسائل " بولس " و علق عليها تعليقات أنكر فيها عقيدة الاستحالة " أى تحويل الجسد إلى خبز . و الدم إلى خمر . كما نشر كذلك ترجمة فرنسية للعهد الجديد)[٢] .

٢- " ديزدريوس أرزم " " ١٤٦٧م - ١٥٣٦م "

هو أحد الإنسانيين الذين ظهروا فى دولة" الأراضى المنخفضة ". تلك الدولة التى (تفرعت عن الإمبراطورية الرومانية المقدسة فى أواخر" العصور الوسطى" . و كانت تشتمل على جزء من " فرنسا " و جزء من " ألمانيا ")[٣] .

---

(١) انظر د/ محمد فؤاد شكرى . و د/ محمد أنيس . أوربا فى العصور الحديثة ، الجزء الأول صـ٦ .

(٢) جون لوريمر - تاريخ الكنيسة ، الجزء الرابع صـ٧٣ .

(٣) انظر د/ سعيد عبد الفتاح عاشور - أوربا العصور الوسطى ، الجزء الأول صـ٦٢٢ - ٦٢٤ .

و قد أسهم فى إثارة الرأى العام ضد البابوية و الكنيسة عندما (ترجم إلى اللاتينية العهد الجديد ، و قد أظهرت تلك الترجمة أن نسخة الكتاب المقدس التى اعتمدتها الكنيسة لم تكن الوثيقة الأصلية . و أنها ذات أخطاء فى بعض مواضعها)[١] .

" ٣ - " إيرازموس " " ١٤٦٦م - ١٥٣٦م "

هو عالم هولندى ، ولد فى " روتردام " و طبقت شهرته دول " أوربا" ، و يكاد يجمع المؤرخون على مكانة " إيرازموس " بين الإنسانيين ، فقد استطاع بأسلوبه الساخر الناقد أن يبرز الشرور التى ملأت حياة الكهنة و الرهبان ، و قد جعل جل همه أن يبرز الكتاب المقدس للجميع بهدف (معرفة الديانة المسيحية كما هى فى الكتاب المقدس)[٢] .

و هناك من رواد الحركة الإنسانية من كان له دور مؤثر فى مسيرة الإصلاح مثل " توماس مور " و "جون روكلين " و " لورينزوفالا" و " بيترارك " و " جون كوليت " و غيرهم ممن كان لهم أثر بارز و جهد لا يُجحد من أجل الإصلاح الدينى المسيحى .

و هكذا أسهم رواد"الحركة الإنسانية"فى التنبيه إلى ضرورة الإصلاح الدينى حينما أبرزوا الكتاب المقدس . و ترجموه . فأدرك الناس بذلك مدى الحاجة إلى إصلاح الدين و العقيدة .

٣ - " دخول الإسلام أوربا وصلته بحركات الإصلاح المسيحى "

لقد كانت " أوربا " قبل وصول الإسلام إليها تعيش فى ظلام دامس ؛

إذ كانت حياتهم الاجتماعية والفكرية . بل والدينية غافلة هامدة حتى القرن"الثالث عشر الميلادى" . حين أفاقت على صوت الاسلام يدق أبوابها ، فإذا هى أمام حضارة إسلامية متكاملة . ترعى شئون الحياة جميعها . فشُدهت " أوربا " . حينما رأت هذه

---

(١) انظر د/ محمد فؤاد شكرى . و د/ محمد أنيس . أوربا فى العصور الحديثة . الجزء الأول صـ٩١ .

(٢) انظر أ- ميرل دوبيناه - تاريخ الإصلاح فى القرن السادس عشر . المجلد الأول صـ٥٧ - ٦٠ .

ب- د/ عبد العزيز الشناوى " أوربا فى مطلع العصور الحديثة " الجزء الأول صـ٤٧ ، ٤٨ .

جـ- إيرل كيرنز - المسيحية عبر العصور صـ٣٠٤ .

الحضارة العريقة وهالها ما رأت من دين (يقوم على التوحيد و تحقيق العدل والخير للإنسان ، في وقت كان كل ما يعرف عن الكنيسة الغربية فيه شهرتها الواسعة في الظلم ، ونظامها الإقطاعي والرق والاستبداد والطغيان " [١]

وقد كانت هناك معابر عبرت عن طريقها حضارة الإسلام إلى " أوربا " كالحروب الصليبية (١٠٩٥م ـ ١٢٩١ م) وبعض الأعمال السلمية كالمصاهرة ، والتجارة ، والزيارات للتنزه أو التطبب وعن طريق المراكز الحضارية الإسلامية . المتمثلة في جامعات" الأندلس"وغيرها .

بل إن أوربا بذلت جهوداً حثيثة ، لنقل المعارف الإسلامية إليها ، منذ القرن "العاشر الميلادي" تقريباً حتى عرفت عن كثَب بعض فلاسفة الإسلام:كالكندي " ١٨٥هـ – ٢٥٢ هـ " الفارابي " ٢٥٩ هـ – ٣٣٥ هـ " ، ابن سينا " ٣٧٠ هـ – ٤٢٨ هـ " الغزالي " ٤٥٠هـ– ٥٠٥ هـ " ابن رشد " ٥٢٦هـ– ٥٩٥هـ " وغيرهم . ممن كان لهم أعظم الأثر على العقلية الأوربية) [٢]

هذا و لا ينكر فضل الحضارة الإسلامية على أوربا إلا من ينكر ضوء الشمس .

يقول " كريستوفردوس [٣] " (لا ريب أن ظهور الإسلام هو الحقيقة العظمى التي ملأت تاريخ القرنين السابع و الثامن . و أثرت في كل ما أعقب ذلك من تطور الحضارة في العصور الوسطى في الغرب و الشرق سواء) .

---

(١) ـ د عبد الغنى عبود (المسيح والمسيحية والاسلام صـ١٣١ومابعدها ط الأولى ـ دار الفكر العربى ١٩٨٤م .

(٢) انظر :

أ- امين الخولى : صلة الإسلام بإصلاح المسيحية من صـ١٩ – صـ٤٨ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م .

ب- د/ مختار القاضى : أثر المدنية الإسلامية فى الحضارة الغربية صـ١٧١ : ١٨٦ . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية د/ت

جـ- أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ١٧٤ : ١٨٣ . مكتبة السنة ١٩٩٠م .

د- د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة جـ صـ١٨ : ٢٠ .

(٣) تكوين أوربا صـ٤٨ . و ما بعدها من الترجمة العربية للدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور . و د/ محمد مصطفى زيادة . مطابع سجل العرب ١٩٦٧م .و انظر فى فضل الحضارة الإسلامية على أوربا :

أ- د/ عبد الغنى عبود : المسيح و المسيحية و الإسلام صـ١٣٥ .

ب- أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ١٨٣ .

جـ- د/ مختار القاضى : أثر المدنية الإسلامية فى الحضارة الغربية صـ١٩٩ – ٢٠٨ .

و يمكن لمن يطالع تاريخ أوربا الديني و الدنيوى أن يتلمّس أثر الإسلام على أوربا ، خاصة في الجانب الديني ، من خلال أفكار المصلحين و نداءات الموحدين من المسيحيين بعد ظهور الإسلام و قد أجمل الأستاذ " أمين الخولى ✲ " آثار الاتصال المادى و المعنوى بين الإسلام و المسيحية " و التى تجلت من خلال بعض الآراء التى نادت بها حركة الإصلاح البروتستانتى فى القرن " السادس عشر الميلادى " .

٤-" الظروف المتغيرة فى أوربا قبل عصر الإصلاح "

لقد كانت الظروف السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الجغرافية ، التى مرت بها " أوربا " خلال القرن " الخامس عشر " عاملا من العوامل التى هيأت أوربا للإصلاح و ذلك على النحو التالى :

أ- الظروف السياسية :

لقد حاولت الكنيسة دائما أن تنفرد بالسلطة الدنيوية ، كما انفردت بالسلطة الدينية ، و كثيرا ما نشبت الخلافات بين البابا و الإمبراطور لهذا الغرض ، الأمر الذى جعل الشعوب تتطلع إلى التحرر من نير الكنيسة و سطوتها .

فهبّت رياح التغيير السياسى ، و ظهرت الروح القومية و النزعة الاستقلالية ، يذْكيها الضعف الشديد الذى دب فى "الكنيسة الكاثوليكية ". و"الإمبراطورية الرومانية" فى تلك الفترة (و بدأ التعاون بين الملوك و الأمراء من جهة و الشعوب من جهة أخرى للعمل على إيجاد دول وطنية قومية لها أجهزة حكم مركزية ، و لها من القوة ما يساعدها على تحدى رغبات البابا ، بل و محاولة إخضاع الكنيسة للمصالح الوطنية .

✲ صلة الإسلام بإصلاح المسيحية صـ٣٥ - ٧٦ .

و انظر أيضا فى آثار هذا الاتصال :

أ- د/ محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى صـ١٥ ، الطبعة الثانية عشرة ، مكتبة وهبة ١٩٩١م

ب- الشيخ / محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية صـ١٩٠ .

جـ- الأستاذ / أنور الجندى : الإسلام و الغرب ١٠٨ و ما بعدها ، دار الاعتصام د/ت .

د- الأستاذ أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ١٨٠ .

و امتدت الأيدى إلى ثروة الكنيسة الطائلة التى كانت تجمع الأموال من الشعوب و تنفقها فى روما)[١]

و قد كان لانجلترا و فرنسا قصب السبق فى إيجاد هذه القوميات المناهضة للكنيسة و الإمبراطورية ، و خير شاهد على ذلك (ما دار فى " فرنسا " من صراع بين الملك " فيليب الرابع " و البابا " بونيفاس الثامن " و انتهى بانتصار الملك .

و كذلك ما حدث فى " إنجلترا صاحبة البرلمان القوى و " أسبانيا " التى غدت أمة واحدة بزواج الملكة " إيزابيل " و الملك " فرديناند " الأمر الذى مكنهما من مواجهة البابوية و لم تكن تلك الروح بعيدة عن " ألمانيا " التى كانت من أكثر البلاد تعرضا لوطأة البابوية)[٢] .

لقد أدرك الملوك و الأمراء و معهم شعوبهم أن استقلالهم مع خضوعهم للكنيسة . ما هو إلا استقلال ظاهرى ، و لهذا سعوا للاستقلال الحقيقى عن روما و الكنيسة . و هذا ما يكشف عن سر تشجيع بعض الأمراء لحركات الإصلاح الدينى فى أوربا .

ب – الظروف الاقتصادية و الاجتماعية :

بحلول عام "١٥٠٠م " تغيرت الظروف الاقتصادية و الاجتماعية التى كانت سائدة فى أوربا . فبعد أن كان الاقتصاد الأوربى (يعتمد على الزراعة . و كانت الأرض هى أساس الثروة . و كانت التجارة تتم بالمقايضة . ولا يملك النقود سوى النبلاء . و رجال الإكليروس . تغير الحال باكتشاف مصادر المواد الأولية فى الأراضى الجديدة التى تم اكتشافها . و بدأ عصر جديد للتجارة ، حل فيه تجار الطبقة الوسطى مكان نبلاء "العصور الوسطى" الإقطاعيين ، و ظهرت طوائف من الصناع المهرة الذين أنتجوا بضائع

---

(١) انظر : أ– إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٢٨٦ .

ب– د/ محمد فؤاد شكرى ، و د/ محمد أنيس : أوربا فى العصور الحديثة الجزء الأول صـ٨٩ .

(٢) انظر أ: فيشر: تاريخ أوربا العصور الوسطى ، القسم الثانى ، صـ٢٩١ ، ٣٥٥ .

ب– د/ محمد قاسم ، و د/ حسين حسنى : تاريخ أوربا الحديثة صـ٤٢ .

جـ– د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محاضرات فى معالم التاريخ الأوربى الحديث و المعاصر صـ٧٦ ، مطبعة الجبلاوى ١٩٧٧م ، ١٩٧٨م .

للأسواق . و شيدوا مباني جديدة . و برز اقتصاد يقدّر أهمية تحقيق الربح . و رفضت الطبقة الوسطى الجديدة استنزاف الرأسماليين لمواردهم بدعوى تمويل الكنيسة بقيادة بابا "روما" .

و استبدل النظام الاجتماعي الطبقي الذى ساد فى العصور الوسطى بنظام آخر يسمح فيه لأى إنسان أن يرتقي من طبقة أدنى فى المجتمع إلى أخرى أعلى منها ، و ارتفعت أصوات الاحتجاج على الظلم الاجتماعى . الذى عاناه الفلاحون على أيدى الأمراء و النبلاء و الإقطاعيين) [1] .

و تطلعت العيون إلى الأموال التى تذخر بها خزانة البابوية ، و أغضبهم ذهابها إلى أوربا فألقت هذه الفئة الجديدة بثقلها لدعم الإصلاح و تأييد المصلحين فى أوربا . و خاصة فى بلدان " شمال أوربا " .

جـ- الظروف الجغرافية :

مع نهاية القرن" الخامس عشر الميلادى" . شهدت أوربا انقلابا جغرافيا هائلا . غير وجه العالم و خلق عالما جديدا تزايدت فيه معرفة الإنسان بحجم العالم الذى يعيش فيه و كشف القناع عن الوجه الكاذب للكنيسة . فتهاوت الثقة المطلقة التى تنعم بها الكنيسة . لدى الشعوب المسيحية (و ذلك من خلال الاكتشافات الجغرافية التى بدأها أهل"جنوب أوربا". فاكتشف " فاسكو دى جاما " "١٤٦٩م - ١٥٢٤ م " طريق"رأس الرجاء الصالح" الموصلة إلى" الهند". و تبعه " كريستوف كولمبس " باكتشاف " أمريكا" و كذلك من خلال مساهمات " كوبرنيكوس" و " جاليليو) [2]

و كانت هذا الاكتشافات لطمة قوية"للكنيسة الكاثوليكية"التى قدمت لأوربا معلومات جغرافية خاطئة . ادعت أنها استقتها من كتابها المقدس . بالإضافة إلى أن هذه

---

(١) انظر : أ- إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٣١٦ . و ما بعدها .
ب- جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ٤ صـ٩٤ . و ما بعدها .
جـ- جاد المنفلوطى : تاريخ المسيحية " المسيحية فى العصور الوسطى صـ١٩١ . دار التأليف و النشر للكنيسة الأسقفية د/ت .

(٢) انظر د/ محمد قاسم . د/ حسين حسنى : تاريخ أوربا الحديثة صـ٢٩ : صـ٣٥ .

الاكتشافات الجغرافية (سهلت الوصول إلى بلاد الشرق ، مما زاد الاحتكاكات بين أهل أوربا و الإسلام ، كما تزعزعت قواعد المجتمع الأوربى بنشوء الطبقة الوسطى من التجار و الصناع)[١] .

و بذلك كانت تلك الظروف السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الجغرافية ، التى عصفت بأوربا قبل قيام إصلاح القرن " السادس عشر " الميلادى من العوامل التى قوت روح الإصلاح فى نفوس أهل أوربا على اختلاف فئاتهم و طبقاتهم .

(١)انظر د/ محمد قاسم ، د/ حسين حسنى : تاريخ أوربا الحديثة صـ٣٥ .



الفصل الثانى

إرهاصات الإصلاح المسيحى

و يشتمل على ثلاثة أمور :

- **الإصلاح الرهبانى**
- **الوالدونيون و الألبينيون**
- **فجر الإصلاح**

الفصل الثانى

" إرهاصات الإصلاح المسيحى "

تمهيد

لقد بات المسيحيون فى أوربا يتحدثون عن ضرورة إصلاح الكنيسة الكاثوليكية ، و ذلك لما بدا من اهتزاز أساسها الروحى و الأخلاقى الذى بنت عليه هيمنتها خلال العصور الوسطى ، و رفضها التام لمحاولات البعض إصلاح الكنيسة .

فبالإضافة إلى أتباع مذهب النزعة الإنسانية الذين دعوا إلى الإصلاح ، قامت بعض الطوائف المنادية بالإصلاح لتمهد الطريق لحركة الإصلاح الدينى الكبرى ، فى القرن "السادس عشر" ، و لم يكن هدفهم الخروج على الكنيسة الرومانية ، بل ظلوا خاضعين لها . كما هو واضح من تاريخهم . و تعد هذه الطوائف التى نادت بالإصلاح فى تلك الفترة بمثابة " الإرهاص " الذى سبق ميلاد أكبر الحركات الإصلاحية المسيحية فى القرن " السادس عشر " الميلادى .

و سأتناول تلك الطوائف على النحو التالى :

١- الإصلاح الرهبانى .

٢- " الوالدونيون و الألبينيون "

٣- فجر الإصلاح .

" الإصلاح الرهباني "

لا ريب أن الفساد الذى عم "الكنيسة الكاثوليكية"، قد أثار كل فئات المجتمع المسيحى إلا أن انحراف الرهبان – الذين قصدوا بدخول الأديرة الانعزال عن الشرور و التفرغ للعبادة – كان له أثر عظيم على بعض إخوانهم المحافظين على رسالتهم ، فنحى بعضهم المنحى السلبى ، وراح يتطلع إلى المدينة الفاضلة التى تعبر عن حياة المسيح ، . و رفع البعض الآخر صوته للتعبير عن عدم رضاهم عن أحوال الكنيسة و رجالها ، و سأتناولهم على النحو التالى :

أ- " الكلونيون " .

ب- " الفرنسيسكان " .

جـ- " الدومينكان " أو الإخوة الواعظون .

أ- الكلونيون :-

و هم الذين ينسبون إلى دير "كلونى" الذى تأسس بفرنسا عام "٩١٠م" على يد "وليم التقى" ليكون رأسا لحركة إصلاحية ديرية شاملة .

و قد بنى " الكلونيون " نظامهم على أساس مهم هو : (الطاعة المطلقة و التفانى فى خدمة الجموع . فالفرد لا شئ . و المجموع هو كل شئ) [١] .

و أدركوا أن الفساد الذى لحق بالكنيسة . إنما كان بسبب ارتباطها بالدولة . و تدخل كل من السلطتين فى شئون الآخر . ولهذا (حرصوا على أن يكون نظامهم الديرى تابعا للبابوية مباشرة ، دون أن يكون للحكام العلمانيين أو حتى الأساقفة المحليين إشراف على أديرتهم) [٢] .

و تطور هدف " الكلونيين " من إصلاح الحياة الديرية إلى محاولة إصلاح الكنيسة بأكملها مستغلين الانتشار العظيم لأديرتهم فى " غرب أوربا " و ارتكز منهجهم الإصلاحى على ما يلى :

---

(١) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى جـ١ صـ٣٤٣ .

(٢) نفس المرجع صـ٣٤٤ .

أولا : (إصلاح حياة الإكليروس ، و لهذا قاوموا مسألة بيع و شراء المناصب الكنسية ، و محاباة الأقارب فى التعيينات للوظائف الهامة فى الكنيسة .

ثانيا : الحفاظ على العفة و الطهارة ، فلم يسمحوا لرجال الإكليروس بالزواج ، ولا باتخاذ محظيات .

ثالثا : تحرر الكنيسة من تحكم السطات المدنية ، سواء من الملك أو الإمبراطور أو الأمير)[1]

ب- الفرنسيسكان :

و هى طائفة تُنسب إلى الإيطالى القديس " فرنسيس " "١١٨٢م – ١٢٢٦م " الذى كان قد نذر نفسه لحياة الفقر ، و خدمة الفقراء و المرضى . وقد باركه البابا " أنوسنت الثالث" و نصبه ممثلا للتبشير بالمسيحية ، و سمى أتباعة بـ " الفرنسيسكان " نسبة إليه ، و إلى تلاميذه من أهل منطقة "سيزى " الإيطالية ، و قد أرسى ذلك القديس لنفسه ، و لمن اتبعه أساسا لنظام يرتكز على الطاعة و العفة و الفقر و احترام البابا . و هاله أن يرى المؤسسات الديرية العظيمة راضية بالانغماس فى إدارة ممتلكاتها . و بيع أصواف الأغنام ، و القيام بالمسئوليات الناجمة عن امتلاك الأراضى . فانطلق هو و أتباعه يبشرون بالمسيحية فى كل مكان ، و يدعون إلى (التزام نهج المسيح فى الزهد و الفقر و التواضع و هجر الترف . و لم يصوب الفرنسيسكان سهام نقدهم نحو الكنيسة أو البابوية . كما دعوا إلى العيش حسب الكتاب المقدس)[2] .

---

(١) انظر : أ- د/ محمد رفعت ، و د/ محمد أحمد حسونة : تاريخ العصور الوسطى صـ١٠٦ و ما بعدها .
ب- إسحق عبيد : محاكم التفتيش نشأتها نشاطها صـ١٥ .
جـ- إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٢٣١ .
د- إسحق مسعد : نشأة الطوائف المسيحية صـ٦٦ .

(٢) عن الفرنسيسكان انظر :
أ- ويلز : معالم تاريخ الإنسانية ، مجلد ٣ صـ٩٠٦ و ما بعدها .
ب- د/ محمد رفعت ، و د/ محمد أحمد حسونة : تاريخ العصور الوسطى صـ١٠٧ و ما بعدها .
جـ- جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ٤ ،صـ٤٥ .
د- محمود سعيد عمران : حضارة أوربا فى العصور الوسطى صـ١١ و ما بعدها .

جـ- " الدومينكان " أو " الإخوة الواعظون " :

و هى طائفة تنسب إلى الأسبانى القديس" دومنيك " "١١٧٠م - ١٢٢١م " ، و كان "دومنيك" تقليدى العقيدة ، إلا أنه كان مولعا بمجادلة الهراطقة ، و كان قد التقى بالقديس " فرنسيس " بـ " إيطاليا " و تأثر به و بأسلوبه الوعظى ، فعقد عزمه على تأسيس هيئة للوعظ و الإرشاد ، يكون الفقر عروتها الوثقى .

و قد انتشر النظام " الدومينكانى " انتشارا هائلا بعد وفاة " دومنيك " و تسلل إلى المدن المتحضرة فأفرز أشخاصا كان لهم أثر عظيم فيما بعد مثل (" توما الإكوينى" و" إيكهارت" و " جون تاولر" و " سافونا رولا " .

ذلك لأن " الدومينكان " جعلوا وسيلتهم فى و عظهم الإقناع ، و مخاطبة العقل)[1]

و لم يقتصر الإصلاح الرهبانى على تلك الطوائف الثلاث فحسب . بل هناك من شاركهم ذلك الجهد مثل طائفة " الفرير " و غيرهم .

و إذا كانت هذه الطوائف لم تحقق شيئا عظيما على طريق الإصلاح المنشود . إلا أنهم مهدوا بدعوتهم و منهجهم للإصلاح . وأبانوا عن ضرورته و أهميته .

---

(١) انظر أ- ويلز : معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٣ صـ ٩٠٧ و ما بعدها .

ب- إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٢٥٩ .

جـ- جاد المنفلوطي : المسيحية في العصور الوسطى صـ١١٢ و ما بعدها .

د- د/ محمد رفعت ، و د/ محمد أحمد حسونة : تاريخ العصور الوسطى صـ١٠٨ و ما بعدها .

"الوالدونيون و الألبينيون"

أصبح من الضرورى أنه لا بد من أناس يعملون على تطهير الكنيسة مما أصابها فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى ، قبل أن تزداد الأمور سوءا ، و قد حمل لواء الإصلاح حينئذ طائفتان من الطوائف التى نادت بالإصلاح ، فكان لها أثر لا ينكر على مسيرة الإصلاح ، و سأتناولهما على النحو التالى :

أ- الوالدونيون :

إنهم أتباع حركة بدأت فى الربع الأخير من القرن "الثانى عشر" الميلادى ، و تنسب إلى مؤسسها "بيتروالدو" "١١٦٠م - ١٢١٧م" من مدينة " ليون " بجنوب " فرنسا " .

و كان " والدو " رجلا غنيا . إلا أن نزعته الإيمانية قادته لأن يطبق تعاليم المسيح (إذا أردت أن تكون كاملا . فاذهب و بع أملاكك و أعط الفقراء . فيكون لك كنز فى السماء و تعال اتبعنى) [١] .

(فتخلى "والدو" عن معظم ممتلكاته فيما عدا ما يكفى لسد احتياجات أسرته . و أخذ يتجول واعظا الناس بضرورة العودة إلى سنن القديسين و الرسل الأوائل . و انضم إليه عدد كبير . حتى عرفوا بـ"فقراء ليون ") [٢]

و حزن " والدو " لحال الكنيسة . فجعل أكبر همه قراءة الإنجيل . و ساعده بعض الدارسين فى إعداد ترجمة له بلغة الشعب . و راح هو و رفاقه يجوبون الشوارع يدعون الناس إلى العودة إلى الحياة المسيحية . و قد تمثلت مبادئ " الوالدونيين " فيما يلى :-

أولا : (من حق كل إنسان أن يحصل على كتاب مقدس . خاص به . وباللغة التى يفهمها

ثانيا : الكتاب المقدس ينبغى أن يكون السلطة العليا و الرأى الفاصل فى أمور الحياة و الإيمان) [٣]

---

(١) إنجيل متى . الإصحاح التاسع عشر ٢١ .

(٢) انظر : إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٢٦١ .

(٣) إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٢٦١ .

ثالثا : (لا فائدة و لامقتضى للاستغاثة بالقديسين و الاستشفاع بهم فى نوال النجاة .
و يجب هدم رئاسة البابا و استئصالها لأنها مضادة لتعاليم الإنجيل) [١].
رابعا : (إن صكوك الغفران و المطهر اختراع غايته الحصول على الأموال) [٢].
و إزاء هذه المبادئ التى تمس قداسة الكنيسة و البابوية لم يكن من البابا " اسكندر الثالث " "١١٥٩م–١١٨١م " إلا أن أصدر قرار الحرمان ضد " الوالدونيين " و طردوا من منطقة " ليون " و مع هذا فقد استمروا فى دعوتهم بمناطق أخرى حتى مات "والدو" .

ب – "الألبينيون" أو " الكاثريون" :
و هم أتباع الحركة الدينية التى ظهرت " بجنوب فرنسا " و بالتحديد فى بلدة "ألبى" التى نسبوا إليها . و يعرفون أيضا " بالكاثريين " أى الأطهار . ربما لأنهم سعوا إلى تطهير الكنيسة (وكانت تعاليمهم ذات أصل شرقى . و ربما كانوا متأثرين بالمذهب الآريوسى) [٣].
إذ كانوا (يرفضون العشاء الربانى و القداس . و تعظيم الصور . بل و التثليث .
و لايؤمنون بأن السيد المسيح ولد من مريم العذراء . و يعتقدون أن المسيح ملاك و ليس الله) [٤].

و من تعاليم الألبينيين :
أولا : (الكنيسة ليست كنيسة المسيح . و القديس " بطرس " لم يأت إلى مدينة " روما" و لم يؤسس فكرة البابوية .
ثانيا : رجال الدين ما هم إلا زنادقة . و من زمرة الشياطين . و البابا هو المسيح الدجال .

---

(١) أمين الخولى : صلة الإسلام بإصلاح المسيحية صـ٥٨ .
(٢) محمود سعيد عمران : حضارة أوربا فى العصور الوسطى صـ٣١ .
(٣) د/سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى جـ١ صـ٢٦٣ .
(٤) محمود سعيد عمران : المرجع السابق صـ٣١٦ .

ثالثا : سخروا من الأسرار المقدسة . و لا سيما " العشاء الربانى " و اعتبروا أن قول المسيح : "هذا هو جسدى " إنما هو على المجاز لا الحقيقة .) [١].

رابعا : (الخلاص فى نظرهم يشمل التوبة . و الامتناع عن الزواج و عن الذهاب إلى الحرب .

خامسا : العهد الجديد هو دستور الإيمان الملزم) [٢].

و كان رد الكنيسة على تلك الحركة . هو الاضطهاد و الحملات التى مولها البابا " أنوسنت الثالث" فى عام "١٢٠٨م" لقمع " الألبينيين " .

و لا يـ فى ما كان من أثر عظيم لهاتين الحركتين اللتين نبهتا الأذهان إلى ضرورة إصلاح الـ ياة و العقيدة المسيحية .

(و هناك أيضا طائفة " البوجميل " و التى ظهرت فى " بلغاريا " على إثر الحركات الصليبية . و انتشر أتباعها في" البوسنة ". ولم يكتفوا بالهجوم على المسيحية وعقائدها فحسب بل إنهم تركوها و اعتنقوا الإسلام) [٣]

---

(١) محمود سعيد عمران : حضارة أوربا فى العصور الوسطى صـ ٣١٧ .

(٢) إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٢٦١ .

(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة الجزء الخامس من المجلد الرابع صـ٧ .

❁ " فجر الإصلاح "

لئن كانت تعاليم " الوالدونيين " و " الألبينيين " قد مهدت الطريق للإصلاح الديني في أوربا ، فإن مسيرة الإصلاح قد تقوت بثلاثة من رواد الإصلاح هم :

أ- " جون ويكلف " الإنجليزى .

ب- "حنا هس" التشيكى .

جـ- "سافونا رولا " الإيطالى . و سأتناولهم على النحو التالى :

أ- " جون ويكلف " الإنجليزى " ١٣٢٨م - ١٣٨٤م "

ولد "ويكلف" فى إحدى القرى الإنجليزية . و تلقى تعليمه فى جامعة " إكسفورد " وتعمق فى الدراسات الدينية . الأمر الذى أكسبه شهرة واسعة جدا بين اللاهوتيين (مما حدا بالملك "إدوارد الثالث" أن يختاره عام " ١٣٧٤م " عضوا فى البعثة الملكية التى أوفدها لمفاوضة مندوبى البابا "جريجورى الحادى عشر " فى بعض المسائل الدينية)[١]

و عكف " ويكلف " على وضع عدة بحوث تتناول العلاقة بين السلطة الدينية و الدنيوية و انتهى إلى أن أساس إصلاح الكنيسة يكون (بتجريدها من أملاكها . و التى رأى أنها أصل الفساد فيها)[٢]

فشرع يوجه سهام نقده إلى ثراء الكنيسة الفاحش و أنه شغل رجال الكنيسة عن واجباتهم الدينية . و طالب الكنيسة بالتخلى عن كثيرمن أراضيها و ممتلكاتها . و الاحتفاظ بجزء يسير من هذه الممتلكات❁ و قد تناول "ويكلف " فى نقده فضائح الكنيسة الكاثوليكية و عقيدتها . و صاغ ذلك النقد فى هذه الآراء التى أعلنها و دافع عنها :-

---

(١) انظر د/ سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى جـ١ صـ٥٣٨ .

(٢) إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٢٩٠ .

❁ انظر أ- فيشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى صـ٣٦ و ما بعدها .

ب- د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة جـ١ صـ٣٥٨ .

١- أعلن "ويكلف" أنه (لا شئ يجب الإيمان به ، ما لم يكن مؤسسا على الكتاب المقدس)[١] و قام بترجمة العهد الجديد إلى اللغة الإنجليزية .

٢- استخف بالعادات الدينية المتأصلة (كالاعترافات الإجبارية ، و الصلوات على أرواح الأموات تكفيرا عن ذنوبهم ، و الحج إلى الأماكن المقدسة . و التقديس للمخلفات الأثرية الدينية)[٢] .

٣- أنكر معجزة التحول المادى فى العشاء الربانى ، و قال : (إن المسيح يحل روحيا فى الممارسة المقدسة ، و أن المؤمن يدرك ذلك بالإيمان)[٣] . بل إنه وصف اعتقاد الكنيسة الكاثو كية بأنه (خداع و حماقة كافرة)[٤] .

٤- قال " ويكلف " (إن الكنيسة و رجالها مؤسسة منافقة لا يوجد مبرر لوجودها فى وجود الكتاب المقدس)[٥] .

٥- هاجم سلطة البابا حين أعلن أن المسيح . وليس البابا هو رأس الكنيسة (بل إنه وصف البابا بأنه عدو المسيح)[٦] .

٦- و أباح "ويكلف " للسلطة الزمنية (الاستيلاء على ممتلكات الكنيسة إذا أساءت إدراتها)[٧] .

٧- واعتقد "ويكلف " عقيدة القدر فرأى أن (البعض قدر لهم الخلاص . و البعض الآخر كتبت عليهم التهلكة)[٨] .

---

(١) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ٤ صـ٥٣ .

(٢) فيشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى صـ٣٦٦ .

(٣) انظر ويلز : معالم تاريخ الإنسانية جـ٣ صـ٩٧٧ .

(٤) برتراند رسل : تاريخ الفلسفة الغربية . الكتاب الثانى . صـ٢٨٣ .

(٥) إسحق عبيد : محاكم التفتيش صـ٧٩ .

(٦) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ٤ صـ٥٢ .

(٧) د/ محمد رفعت . و د/ محمد أحمد حسونة : تاريخ العصور الوسطى صـ١٨٥ .

(٨) إسحق عبيد : محاكم التفتيش صـ٧٩ .

و أما هذه الآراء التي تقضي على سلطان الكنيسة و البابا . لم تجد الكنيسة بُداً من إدانة "ويكلف" و طرده من "إكسفورد" فرحل إلى الريف ، و بقي هناك حتى وافته المنية .

إلا أن أفكاره كُتب لها البقاء من بعده (من خلال جماعة " اللولارد" التي اعتنقت أفكاره . و روجت لها ، حتى أصدرت الكنيسة أمرها بإعدام كل من يروج أفكار " ويكلف " بل إنها – و بمقتضى قرار "مجمع كونسانس " عام "١٤١٥م " نبشت قبره و أحرقت عظامه ، حتى يكون عبرة لأتباعه ، و معتنقي آرائه)[١] .

ب – "حنا هس" التشيكي " ١٣٧٣م – ١٤١٥م "

ولد " هس " في إحدى قرى " بوهيميا " "تشيكوسلوفاكيا " حاليا .

تلقى تعليمه في جامعة "براج" و حصل على درجة الليسانس عام "١٣٩٣م "

و الماجستير عام"١٣٩٦م" ، و أصبح القسيس المسئول عن جامعة "براج" عام "١٤٠٩م "

و قد عرف "هس " بفصاحته و تحمسه للإصلاح الديني . كما كان واعظا دينيا مفوها .

و قد اطلع على آراء سلفه "ويكلف " و تأثر بها جدا . حتى اعتبر من تلامذته و أحد أتباعه . و قد بدأت المواجهة بين " هس " و الكنيسة . حينما نشب خلاف بين البابا "حنا الثالث و العشرون " و ملك " نابلي " "لادسلاس " فأعلن البابا حملة صليبية ضد الملك . و حينئذ (أقدمت البابوية على بدعة خطيرة في تاريخ الكنيسة . ألا و هي بيع صكوك الغفران)[٢]

و ذلك لتمويل حملة البابا ضد الملك . و حينئذ أعلن " هس " (أن مسألة صكوك الغفران بدعة ليست من الدين في شئ)[٣]

---

(١) انظر :–

أ– ويلز : معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث صـ٩١٠ .

ب– ميرل دوبيناه : تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر . المجلد الأول صـ٤١ .

جـ– د/ عبد العزيز الرفاعى : الحضارة الأوربية الحديثة صـ٦٥ . و ما بعدها . الطبعة الأولى ١٩٥٩ م .

(٢) إسحق عبيد : محاكم التفتيش صـ٨٢ .

(٣) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى جـ١ صـ٥٤٣ .

ثم طور "هس " هجومه على الكنيسة و عقيدتها . فأعلن هذه المبادئ :

١- أعلن أن أوامر البابا (ليست لها صفة القداسة . و ليس لها طابع الإلزام . و أنها تعتبر ملغاة ، ولا قيمة لها إذا كانت تتعارض مع تعاليم المسيح)[١].

٢- (و أعلن أن الكتاب المقدس هو المرجع النهائي للعقائد)[٢].

٣- (أن قربان و خمر التناول لا يتحولان إلى جسد و دم السيد المسيح .

٤- أن الكاهن الآثم لا حق له في أن يقود الصلاة أو يؤدى مراسم التناول)[٣].

و قد تزامنت هذه الآراء مع (تزايد المشاعر الوطنية في "بوهيميا" ضد سيطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة على بلادهم)[٤]. الأمر الذى جعل الكنيسة تنظر إلى " هس " على أنه عدو لدود لها .

و حينئذ أشهر البابا السلاح التقليدى ضد " هس " فحكم بحرمانه . و عُزل عن منصبه و طرد من المدينة عام "١٤١٢ م .

ثم استدعى "هس " للمثول أمام مجمع "كونستانس " لمناقشته في آرائه تلك . و قد حصل على وعد بالأمان من الإمبراطور الروماني "سجسموند"

و كانت المفاجأة (فحينما وصل "هس" إلى مدينة "كونستانس" ألقى القبض عليه و زُجّ به في غياهب السجن . و صدر قرار بإدانته بتهمة الهرطقة . و حكم عليه بالإعدام حرقا و هو حي . و كان ذلك عام " ١٤١٥م " و بعده بعام أعدم واحد من مساعديه و تلامذته ; هو "جيروم البراغي"[٥] " إلا أن موته لم يمنع انتشار آرائه . فتكونت بعض الجماعات التي اعتنقت فكره . و كثيرا ما نشبت المعارك بينهم و بين الكنيسة . حتى

---

(١) د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا في مطلع العصور الحديثة . الجزء الأول : ٣٥٩ .

(٢) فيشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى . القسم الثاني صـ٣٧٢ .

(٣) إسحق عبيد : محاكم التفتيش صـ٨٠ .

(٤) إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٢٩٢ .

(٥) انظر : أ- فيشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى . القسم الثاني صـ٣٧٢ .

ب- ميرل دوبيناه : تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر . المجلد الأول صـ٤١ .

جـ- ذكرى البروتستانت " مجهول المؤلف " صـ٨ .

انتهى الأمربالاعتراف بأفكارهم و عقيدتهم (غير أن أمرهم لم يدم طويلا . إذ انشقوا على بعضهم و استمال الإمبراطور بعضهم بالوعود الكاذبة ، حتى خارت عزيمتهم ، و بقيت الجيوش تطارد الغلاة منهم ، حتى أفنتهم عن آخرهم)[١].

جـ- "سافونا رولا" الإيطالي "١٤٥٣م - ١٤٩٨م"

ولد بمدينة "فرار" و كان واحدا من أبرز من أفرزهم النظام الدومينكاني ❁.

عرف بزهده . و فصاحته ، و ساءه ما وصل إليه حال المجتمع من انحطاط في الأخلاق و فساد يعم الكنيسة ، فترك أسرته و التحق بأحد الأديرة ، و لكنه ما لبث أن هجره لأنه يعج بالرذائل ، فعزم "سافونا رولا" على إصلاح أحوال المجتمع الإيطالي إصلاحا شاملا فماذا صنع ؟

أولا : دعا " سافونا رولا" إلى إصلاح أحوال الكنيسة الرومانية . و أرجع انهيارها إلى الثراء الفاحش الذي تنعم به الكنيسة . و تعارض ذلك مع مهمتها الروحية . فقال : (إنه قد أصبحت للكنيسة ثروة دنيوية . و إن امتلاكها كان ضروريا و نافعا في بعض الأوقات . و لكنها انحطت الآن إلى عبء خبيث . لقد أفسدت الثروة الكنيسة . إننا نرى جميعا أنه بسبب الثروة انقادت الكنيسة إلى عمل الشر)[٢].

و اتهم "سافوناروللا" البابا " اسكندر السادس " الذي اشتهر بالفسق و الفجور . اتهمه (بالانصراف عن واجبه الأول كرئيس أعلى للكنيسة . و أنه زج بنفسه في غمار الحياة السياسية وصولا إلى الحكم و السيطرة)[٣].

ثانيا : دعا إلى الإصلاح الاجتماعي حين (هاجم الربا . و تحدث عن عدم العدالة في جمع الضرائب . و ظلم الفقراء و محاباة الأغنياء)[٤].

ثالثا : نادى بإصلاح الجانب الخلقي . و كون فرقا (و عهد إليها بمراقبة الآداب

---

(١) د/ عمر الإسكندري . و د/ سليم حسن : تاريخ أوربا الحديثة و آثار حضارتها . جـ١ صـ٥٨ .

❁ عن النظام الدومينكاني انظر صـ ٤٤ من الرسالة .

(٢) د/ حسن عثمان : سافونا رولا الراهب الثائر صـ١٨٣ . دار الكاتب المصري ١٩٤٧م .

(٣) د/ عبد العزيز الشناوي : أوربا في مطلع العصور الحديثة . الجزء الأول صـ٤٧ .

(٤) د/ حسن عثمان : المرجع السابق صـ٧٧ .

العامة فى الشوارع ، و منع المقامرة . و تسكع السكارى فى الشوارع ، و إحراق الصور الخليعة)[١] .

و نتيجة لتطاول "سافونا رولا" على الكنيسة و البابا ، استدعاه البابا إلى "روما" و أمره بالكف عن الوعظ ، إلا أنه لم يستجب لأمر البابا ، فأصدر البابا قرارا بحرمانه عام "١٤٩٧م" و لكنه تحداه أيضا فتآمر عليه بعض الكارهين فى "فلورنسا" و حرّضوا عليه السلطات هناك ، حتى اتهم (بالهرطقة و النبوءة الكاذبة و الخيانة السياسية !! و حينئذ صدر حكم عام "١٤٩٨م" بإعدامه و اثنين من رفاقه)[٢] .

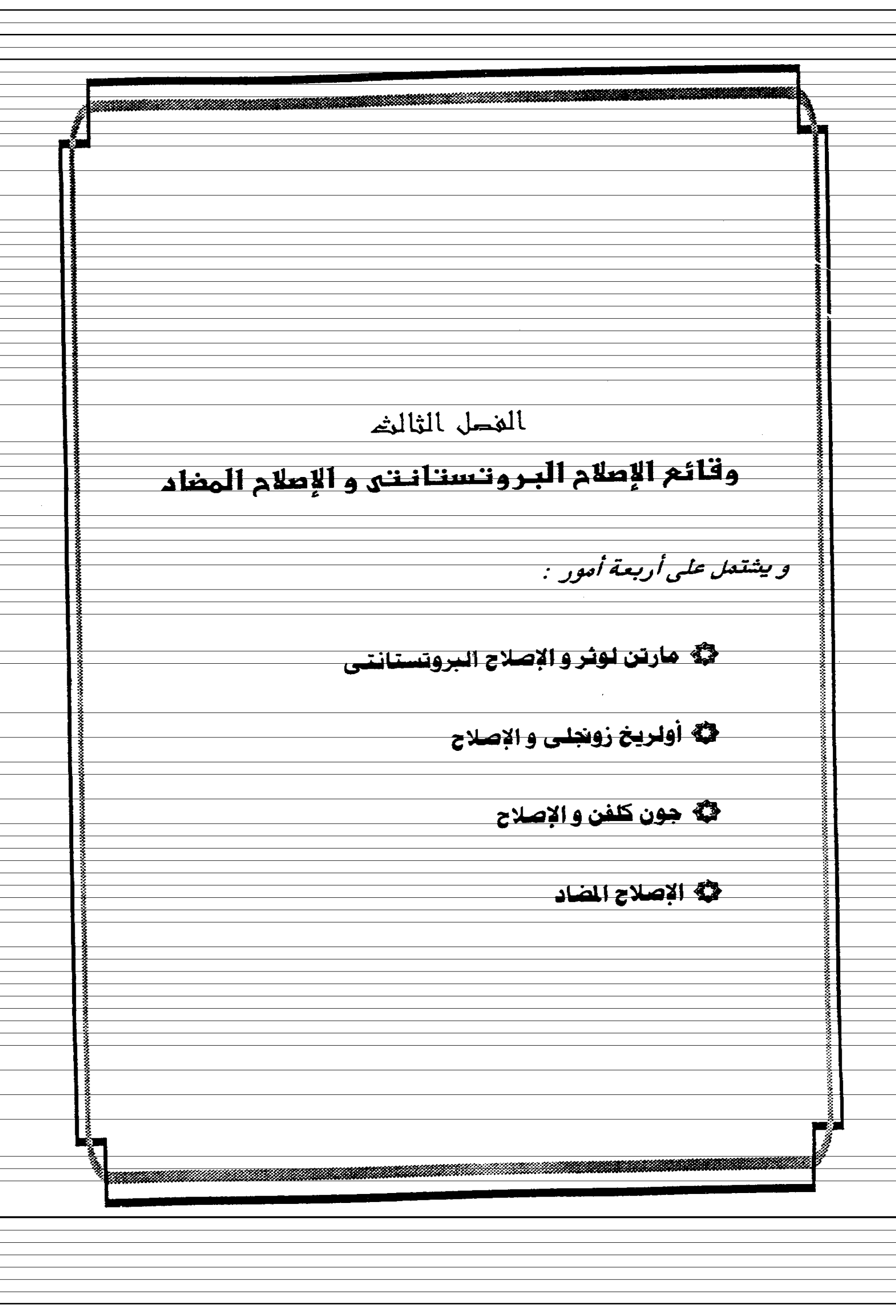
و بهذا طويت صفحة واحد من الذين مهدوا للإصلاح فى" أوربا". و تعتبر آراء "ويكلف" و "هس" و "سافونا رولا" علامات على طريق الإصلاح المسيحى .

و نستطيع أن نقول إن أفكار هؤلاء المصلحين قد هيأت التربة لمصلحى القرن " السادس عشر الميلادى" . فكانت بمثابة الأرض الخصبة التى أثمرت الإصلاح البروتستانتى .

---

(١) د/ جلال يحيى : تاريخ أوربا فى مطلع العصر الحديث صـ٢٩٦ .

(٢) إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٢٩٣ .



الفصل الثالث

وقائع الإصلاح البروتستانتي و الإصلاح المضاد

و يشتمل على أربعة أمور :

- **مارتن لوثر و الإصلاح البروتستانتي**
- **أولريخ زونجلي و الإصلاح**
- **جون كلفن و الإصلاح**
- **الإصلاح المضاد**

الفصل الثالث

"وقائع الإصلاح البروتستانتي و الإصلاح المضاد"

تمهيد :

لا يستطيع باحث أن يقلل من قيمة المحاولات الإصلاحية التي قام بها بعض الغيورين قبل القرن" السادس عشر الميلادي"، إلا أن هذه المحاولات لم تصل إلى المستوى المنشود و لم تحقق الهدف المرجو من الإصلاح . أعني إصلاح العقيدة المسيحية و الكنيسة الرومانية و ربما لم تكن الظروف مهيئة لذلك في تلك الفترة ، أما الآن فإن" أوربا" على مشارف القرن" السادس عشر الميلادي"، و قد غدت مهيئة تماما من جميع النواحي لتلقي أمر الإصلاح بالقبول ، إلا أنها تنتظر من يقودها للإصلاح في هذه المرحلة المناسبة و قد تولى ذلك ثلاثة من رواد الإصلاح الديني البروتستانتي ، و سأتناولهم على النحو التالي :

- " مارتن لوثر " و الإصلاح البروتستانتي .
- " أولريخ زونجلي " و الإصلاح .
- " جون كلفن " و الإصلاح .

❁ " مارتن لوثر " و الإصلاح البروتستانتى "١٤٨٣م – ١٥٤٦م "

إن الإصلاح فى القرن" السادس عشر" مدين بالفضل لذلك المصلح "مارتن لوثر " الذى قاد مسيرته ، و انتشر بفضله و ازدهر فى الأقطار المسيحية .

و يمكن تناول حياة هذا المصلح على النحو التالى :

١– كيف أعد " لوثر " ليكون مصلحا .

٢– المواجهة بين "لوثر" و الكنيسة الرومانية .

٣– تبلور المشروع اللوثرى الإصلاحي و موقف الكنيسة منه .

١– كيف أُعد " لوثر " ليكون مصلحا :

ولد " مارتن لوثر " عام ١٤٨٣م فى بلدة " آيزليبن " بمقاطعة "سكسونيا" الألمانية فى أسرة فقيرة ، و فى بيئة انتشرت فيها الخرافات الدينية .

و قد كانت تربية " لوثر " قاسية خشنة ، مما جلب عليه التعاسة الدائمة .

فكثيرا ما عوقب بالضرب ، و هدد بغضب الرب ، يقول " لوثر " نفسه عن ذلك :

(فى أيام طفولتي تعودت أن أقشعر و أرتعب و أشعر برعشة غريبة تسرى فى بدنى و يصفر وجهى خوفا فى كل مناسبة يشارك فيها "يسوع المسيح" ، لأنى تعلمت أن أنظر إليه قاضيا مخيفا مرعبا ، قاسي الحكم ، شديد التعذيب و الانتقام)[1]

و حينما بلغ " لوثر " سن الرابعة عشرة ، أرسله أبوه إلى مدرسة " إخوة الحياة المشتركة " و فيها تأثر بحياة الرهبان ، و اطّلع على نسخة من "الكتاب المقدس" .

و كل ذلك بلا شك له أثر كبير فى حياة " لوثر " ثم التحق بجامعة " إرفورت " وهناك درس (فلسفة " أرسطو" و لاهوت العصر الوسيط لـ" وليم أوكهام")[2] وقد نال " لوثر " درجة الباكالوريوس في الآداب عام "١٥٠٣ م " ثم حصل على الماجستير عام"١٥٠٥م

(١) انظر أ– أ.موريسون : حياة لوثر صـ٩ من الترجمة العربية للقس باقي صدقة ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة د/ت .

ب– ول ديورانت : قصة الحضارة ، الجزء الثالث من المجلد السادس صـ١٠ .

جـ– القس : حنا جرجس الخضرى : المصلح مارتن لوثر حياته و تعاليمه صـ١٤ ، دار الثقافة د/ت .

(٢) جون لوريمر : تايخ الكنيسة جـ٤ صـ١٠٢ .

أ- تحول مفاجئ و مؤثر :

يبدو أن جو الخوف و القسوة الذى تربى فيه " لوثر " قد بدأ يلقى بظلاله عليه حين بلغ أشده، فبالإضافة إلى ظروف نشأته سالفة الذكر ، فقد ازداد خوف " لوثر " من الله حينما تعمق فى قراءة الكتاب المقدس . و مما زاد قلقه و خوفه (تعرضه لمرض شديد خشى معه الموت ، و حين مات أحد أصدقائه نتيجة مرض خطير ، ثم كان ثالثة الأثافى حين تعرض لحادث أثناء سروره بإحدى الغابات تمثل فى اشتداد الزوابع والعواصف حتى ظن " لوثر " أنه هالك . و حينئذ طلب النجاة من القديسة " حنة " قائلا : يا قديسة " حنة" إذا أنقذتنى سأكون راهبا بقية حياتى) [١]

و على إثر هذه الأحداث التحق " لوثر " بأحد الأديرة طمعا فى التخلص من خطاياه بشدة العبادة و تعذيب النفس ، و الزهد وا لتقشف .

وفى الدير التقى " لوثر " بالأسقف العام للأديرة " ستوبيتز " الذى أزال قلقه و خوفه . ووجهه إلى دراسة الأسفار المقدسة . فكان لهذا الرجل أثر كبير فى بناء شخصية المصلح "مارتن لوثر " .

ب- زيارة لوثر لروما و أثرها :

اختير " مارتن لوثر " للذهاب إلى " روما " عام " ١٥١١م " لعرض إحدى القضايا على البابا . و سُرَّ بذلك سروراً بالغا . لعله يتخلص من مشكلاته الروحية الشخصية .

و لكن جاء الأمر على غير ما توقع . إذ رأى (حياة البذخ التى يحياها رهبان "روما" و كهنتها و بابواتها . و رأى التبذل و الفساد . و انهيار القيم الأخلاقية بين رجال الكنيسة) [٢]

و رأى أيضا عدم كفاءة الكهنة لإقامة القداس . و السرعة العجيبة التى اتصفوا بها فى أدائهم له . (و حينما صعد " لوثر " على السلم المقدس أمام كنيسة " روما " . انتابه الشك فى جدوى صعود هذا السلم لنيل الرحمة له أو لغيره . و عاد من " روما " و قلبه

---

(١) أ.موريسون : حياة لوثر صـ٢٤ .

(٢) القس حنا جرجس الخضرى : المصلح مارتن لوثر صـ٤٩ .

مفعم بالسخط و الحزن على حال الكنيسة و رجالها ، و عبر عن ذلك بقوله (إن أسس " روما " مبنية في الجحيم) [١].

جـ- عقيدة التبرير بالإيمان :

بعد عودته من " روما " عين " لوثر " أستاذا في جامعة " وتنبرج " لتدريس علوم الكتاب المقدس ، و عكف على دراسة اللغات الأصلية التي كتب بها الكتاب المقدس ، و ألقى محاضرات حول بعض الأسفار ، ثم انتقل إلى شرح رسالة " رومية " ، و فيها استوقفته عبارة وردت في الإصحاح الأول و هي (لأنه فيه معلن بر الله) [٢]. و كره " لوثر " هذه العبارة (لأنه فهم من كلمة "بار" أن الله يعاقب الخطاة و الأثمة . و قال : ألم يكتف الله بأن يحكم علينا بالموت بسبب خطيئة آبائنا ؟ ألم يعذبنا بناموسه القاسي علينا حتى يضيف إلى آلامنا آلاما أخرى بإنجيله الذي يعلن لنا فيه بره و غضبه و ثورته ؟!) [٣].

و ظل لوثر يخشى هذه العبارة و يكرهها . حتى اهتدى إلى مفهوم رحمة الله في نفس العبارة . ففهم أن التبرير أو الخلاص من الخطيئة (لا يتوقف على أعمال الإنسان الصالحة كثيرة كانت أم قليلة لكن بإيمانه) [٤].

٢- المواجهة بين " لوثر " و الكنيسة الرومانية :

على الرغم من الخطوات التي خطاها " لوثر " على طريق الإصلاح . إلا أنه بقي على ولائه للكنيسة الرومانية . و البابوية . بل ظل يمارس عمله في الوعظ و التدريس إلى أن تجلت أهم مبادئه في الثورة على التنظيم الكنسي من خلال مسألة صكوك الغفران . و حينئذ بدأت المواجهة بين " لوثر " و كنيسته .

---

(١) أ.موريسون : حياة لوثر صـ٣٠ .

(٢) رومية : ١ : ١٧ .

(٣) القس حنا جرجس الخضري : المصلح مارتن لوثر صـ٥٤ و ما بعدها .

(٤) فيشر : أصول التاريخ الأوربي الحديث صـ١٠٠ و ما بعدها .

ثورة " لوثر " على صكوك الغفران :

كانت الكنيسة الرومانية كلما احتاجت إلى قدر من المال ابتدعت عبادة من العبادات لتحقيق هدفها ، كما حدث حين باعت الكنيسة ذخائر القديسين ، أى بقايا أمتعتهم بل ربما باعت بقايا أجسادهم نظرا لحاجتها الماسة إلى الأموال !

و خلال عصر البابا " ليون العاشر " " ١٥١٣م - ١٥٢١م " احتاج البابا كثيرا من الأموال لإصلاح بعض المبانى فى كنيسة القديس " بطرس " و حينئذ قرر البابا أن يبيع الغفران للناس من خلال الصكوك التى عرفت بـ " صكوك الغفران "

و انطلق الراهب " حنا تتزل " يروج لبيع الصكوك ، و يفتخر بأنه (خلص بواسطة صكوكه أكثر ممن خلصهم " بطرس " بإنذاره و بشراه ! ! ، و يؤكد للذين يشترونها أنها تغفر خطاياهم مهما كانت جسيمة) [1] بل إنه تجاوز حد الأدب حين قال :(إنه إن حدث المستحيل و اغتصب رجل أم الرب . فإن " صك الغفران " كفيل بأن يمحو عنه هذا الإثم) ! ! [2] !!

و قد أثار هذا الأسلوب الفج غضب " لوثر " فلم يطق صبرا على ذلك . و فى يوم "٣١ أكتوبر " عام " ١٥١٧ م " و هو يوم الاحتفال بعيد الشهداء . علق " لوثر " وثيقة على باب كنيسة " وتنبرج " و قد ضمنها "خمسة و تسعين" اعتراضا على عقيدة الغفران و صكوكه .

ب- من بنود الوثيقة " اللوثرية " :

و كان مما ذكره " لوثر " فى وثيقته الاحتجاجية :

١- (إن ربنا يسوع المسيح فى قوله " توبوا " يطالب المؤمنين أن تكون توبتهم حقيقية و سيرتهم مقدسة طاهرة بقية حياتهم .

٢- إن البابا لا يستطيع أن يرفع عن الإنسان قصاص الخطيئة أو يغفرها له و إنما - فقط - يعلن أن خطاياه مغفورة من الله .

---

(١) ذكرى البروتستانت : مجهول المؤلف صـ١٠ .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة ، الجزء الثالث من المجلد السادس صـ٦ .

٣- أولئك الذين يعتقدون بخلاصهم من العذاب فى الجحيم لحصولهم على الوعود البابوية سيقضون أبدية تعيسة فى جهنم برفقة الذين علموهم هذه الأمور .

٤- إن الكنز الحقيقى للكنيسة هو الإنجيل المقدس لنعمة الله و مجده)[1] .

و حين أعلن " لوثر " هذه الاعتراضات لم يكن يفكر فى الخروج على الكنيسة أو البابا بدليل (دعوته العلماء لمناقشة هذه الاعتراضات)[2] ولكن الذى صعد أمر هذه الوثيقة و أمر صاحبها ، هو ترجمة هذه الاعتراضات إلى اللغة الألمانية ، و طبعها و نشرها من قبل بعض الساخطين على الكنيسة .

و بدأت المواجهة بين " لوثر " و الكنيسة . حينما أصر " لوثر " على موقفه متمسكا بالكتاب المقدس ، باعتباره المرجع الوحيد ، الذى يرضى به لحسم الخلاف بينه و بين الكنيسة . مما اضطر البابا لأن يصدر قرارا بحرمان " لوثر " و بأنه يستحق كل عقوبات الهراطقة .

٣- تبلور المشروع اللوثرى الإصلاحى و موقف الكنيسة منه

حينما أعلن " لوثر " اعتراضاته على صكوك الغفران ، و أن الكتاب المقدس هو المرجع الوحيد الذى يرضى به لحسم الخلاف ، لم يكن يريد استعداء الكنيسة ، بل كان عازماً على إرغامها على قبول الإصلاح .

و شرع " لوثر " فى تحديد أسس مشروعه الإصلاحى حين أعلن هذه البنود التى تتمثل فيما يلى :

أولا : (إخضاع رجال الدين للسلطة المدنية .

ثانيا : ليس للبابا الحق فى احتكار تفسير الإنجيل .

ثالثا : إباحة الزواج للقسس . و قد تزوج " لوثر " فيما بعد بإحدى الراهبات .

رابعا : إباحة الطلاق للمسيحين .

---

(١) انظر أ: ميرل دوميناه : تاريخ الإصلاح فى القرن السادس عشر . المجلد الأول صـ١٨٤ – ١٨٩ .

ب- أ. موريسون : حياة لوثر صـ٤٠ : صـ٤٤ .

جـ- القس حنا جرجس الخضرى : المصلح مارتن لوثر : صـ٦٩ و ما بعدها .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة . الجزء الثالث من المجلد السادس صـ٨ .

خامسا : عدم إنشاء أديرة جديدة ،و إلغاء عدد من الأديرة القائمة .... ثم أعلن إلغاء الرهبنة و الحج إلى "روما " .

سادسا : ليس فى استطاعة القس تحويل العشاء الربانى) [١] .

كتابات المصلح العظمى :

لقد أكد " لوثر " على أهمية الإصلاح . و زاد فى الإفصاح عن دعوته الإصلاحية حين ألف ثلاث رسائل عرفت بـ" كتابات المصلح العظمى " ضمنها أفكاره . و مبادئه .

و سأتناول تلك الرسائل الثلاث على النحو التالى :

أ- الرسالة الأولى :

و قد جعل " لوثر " عنوان هذه الرسالة : " إلى هيئة النبلاء المسيحيين من الأمة الألمانية بصدد إصلاح العالم المسيحى " و فى هذه الرسالة (دعا " لوثر " الأمة الألمانية كلها و خاصة قادة الفكر من رجال الدين إلى القيام بواجبهم نحو إصلاح الكنيسة دون الاعتماد على رجالها الذين عجزوا عن القيام بهذا الواجب) [٢] .

ب- الرسالة الثانية :

كانت هذه الرسالة بعنوان " مقدمة عن الأسر البابلى للكنيسة " و قد وجهها إلى رجال الفقه و العلماء اللاهوتيين . و فيها هاجم نظام الأسرار المقدسة للكنيسة الرومانية .

و التى بموجبها أحكمت قبضتها على حياة المسيحيين من المهد إلى اللحد .

(ولم يقبل " لوثر " من هذه الأسرار إلا سر " العشاء الربانى " و " المعمودية " .

و كان له رأى مخالف للكنيسة فى فريضة العشاء الربانى . إذ اعتقد " لوثر " بأن حلول المسيح فى الخبز و الخمر حلول ازدواجى لا بدلى . و كان يرى أن فريضة العشاء

---

(١) انظر أ- د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة . الجزء الأول صـ٣٧٨ .

ب- أ . موريسون : حياة لوثر صـ٦٣ : ٦٦ .

(٢) انظر أ: القس حنا جرجس الخضرى : المصلح مارتن لوثر صـ١٠١ و ما بعدها .

ب- جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ٤ صـ١٢٣ .

الرباني و المعمودية لا يمنحان الخلاص بل إن من يشترك فيهما يُفترض فيه الحصول على الخلاص عن طريق الإيمان قبل أن يشترك فيهما ، و طالب أيضا بأن يشترك الشعب في تناول الخبز و الكأس معا ، لا أن يحرم من الكأس كما تعتقد" الكنيسة الكاثوليكية") [١] .

جـ-الرسالة الثالثة :

و كان عنوان هذه الرسالة :(حرية الإنسان المسيحي " و في هذه الرسالة أكد " لوثر" على أن المسيحي إنسان حر و سيد لكل الأشياء (إذ أن المسيح حرره من كل خطاياه و آثامه . إذا فقد أصبح حرا من الخطية . و أصبح حرا من القلق و الاضطرابات و من الموت و من الجحيم) [٢] و كأن " لوثر " يريد أن يرفع الوصاية التي فرضتها الكنيسة على المسيحيين و كبلتهم بها . و قد كتب " لوثر " مع هذه الرسالة خطابا وجهه إلى البابا و استهله ببضع كلمات رقيقة . ثم صب جام غضبه على الكنيسة قائلا :(كنيسة " روما " أصبحت مغارة لأعتى اللصوص الخارجين على القانون . أكثر وقاحة من كل بيوت الدعارة . و المملكة الفعلية للخطية و الموت و الجحيم . حتى أن عدو المسيح لو قدر له أن يأتي ما كان يمكنه أن يبتكر أي إضافة إلى شرها) !! [٣]

و حينئذ صدر القرار بطرد " لوثر " من الكنيسة و إحراق كتبه . و تم ذلك فعلا في بعض المدن و القرى (إلا أن " لوثر " قابل ذلك بجرأة متناهية . إذ أقدم على حرق كتب الكنيسة و منشور البابا الذي تضمن حرمانه و طرده من الكنيسة) [٤]

و بهذا صار " لوثر " منفصلا عن الكنيسة الرومانية خارجا عليها بعد أن رفضت آرائه الإصلاحية يوم أن كان واحدا من أتباعها المخلصين لها .

---

(١) انظر أ: القس حنا جرجس الخضرى : المرجع السابق صـ١٠٣ و ما بعدها .

ب- جون لوريمر : المرجع السابق صـ١٢ .

(٢) القس حنا جرجس الخضرى : المصلح مارتن لوثر : صـ١٠ .

(٣) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ٤ صـ١٢ و ما بعدها .

(٤) القس حنا جرجس الخضرى : المرجع السابق صـ١٠٦ .

موقف الكنيسة من " لوثر " :

لقد أصر البابا على أن ينفذ" قرار الحرمان" ضد " لوثر " و لكن – و بمساعدة الأمير " فردريك" – عقدت محاكمة " لمارتن لوثر " أمام مجمع " ورمز" عام " ١٥٢١ " و خلال جلسات ذلك المجمع تمسك " لوثر " بآرائه ، و لم يتزحزح عنها ، مما جعل الإمبراطور يُصدر بيانا يصف فيه " لوثر " بأنه (راهب غدا شريرا يبغى أن يزعزع إيمان المسيحيين بدينهم) [١] .

و تحت حماية الأمير " فردريك " استطاع " لوثر " خلال مكثه فى قلعة " ورتبرج " (أن يترجم العهد الجديد إلى اللغة الألمانية ، و شرع فى ترجمة العهد القديم أيضا) [٢]

لقد انتشرت تعاليم " لوثر " بين جموع المسيحيين إلا أن بعضهم أراد أن يحقق بعض المنافع من ورائها مستغلا الظروف الاقتصادية و الاجتماعية السيئة حينئذ . الأمر الذى أدى إلى وقوع مصادمات بين أتباع " لوثر " و الكنيسة الرومانية . كما حدث من "المطالبين بإعادة التعميد "✿ (و ظهرت كذلك " حركة الفرسان " و التى ظن أتباعها أن الفرصة سانحة لاسترداد نفوذهم و ثرواتهم) [٣]

ثم كانت ثورة الفلاحين ✿✿ و التى كانت أعنف هذه الثورات . و قد وقف منها "لوثر" موقفا لا زال يحسب عليه . و إن كان بعض المؤرخين يلتمس له العذر فى موقفه من هذه الثورة . و قد كان موقف " لوثر " من ثورة الفلاحين سببا فى انفضاض كثيرين من مؤيديه من حوله (و على رأسهم " إيرازموس ") [٤]

و بعد أن تم قمع هذه الثورات عقدت بعض المجالس للنظر فى أمر عقيدة " لوثر " الجديدة . و سمح للعقيدة اللوثرية أن تنتشر بين المسيحيين (و سُمح لكل أمير أن يختار المذهب الذى يُفضله . و بعد فترة وجيزة من هذه الهدنة المؤقتة . و قد استردت

---

(١) د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة . الجزء الأول صـ٣٨٤ .

(٢) أ.موريسون : حياة لوثر صـ٩٩ .

✿ انظر عن أفكار هذه الحركة : جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ٤ صـ١٥٠ .

(٣) د/ جلال يحيى : تاريخ أوربا فى مطلع العصر الحديث صـ٤٤٤ .

✿✿ د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة الجزء الأول صـ٣٩٣ .

(٤) انظر إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٣٣٩ .

الكنيسة عافيتها . قامت بإلغاء ما سبق أن قررته . و أعلن الإمبراطور ضرورة القضاء على هذه العقيدة المخالفة لعقيدة الكنيسة الكاثوليكية ، مما أدى إلى تفاقم الأحداث مرة أخرى ، و تكوين الأحلاف العسكرية . و الاستعداد للصدام المسلح بين اللوثريين الذين أصبحوا يُعر فون "بالبروتستانت" . أى المحتجين) [(١)]

و رغم ذلك فإن حركة الإصلاح البروتستانتى بزعامة " لوثر " قد حققت تقدما سريعا فى (" أوربا الشمالية " و " شمال ألمانيا و جنوبها " و كذلك فى " إنجلترا " و غيرها) [(٢)] على الرغم من المقاومة الشديدة التى لقيتها سواء من الإمبراطور أو الأمراء الكاثوليك . و كانت وفاة " لوثر " عام "١٥٤٦ م " إلا أن آراءه و أفكاره ظلت باقية . و تسلم راية الإصلاح من بعده مصلح آخر .

---

(١) انظر : أ- إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٣٤٠ .

ب- د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة الجزء الأول صـ٤١٠ و ما بعدها .

جـ- ذكرى البروتستانت ، مجهول المؤلف صـ١٤ : ١٧ .

(٢) إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٣٤٣ و ما بعدها .

❁ " أولريخ زونجلى " و الإصلاح "١٤٨٤م – ١٥٣١م "

و لد "زونجلى " فى قرية مغمورة بمدينة " زيورخ " بـ " سويسرا " فى أسرة ميسورة الحال و تلقى تعليمه فى مدارس و جامعات " برن " و " فيينا " و " بال " حيث حصل على درجة البكالوريوس عام "١٥٠٤م " و درجة الماجستير عام "١٥٠٦ "

(و خلال دراسته ألمّ " زونجلى " بفلسفة القرون الوسطى ، بالإضافة إلى العلوم اللاهوتية كما تأثر بالمعاصرين له من أساتذة مذهب النزعة الإنسانية)[١] .

ثم انخرط " زونجلى" فى سلك رجال الإكليروس و عين قسيسا بإحدى المدن السويسرية

أ – العوامل التى جعلت من " زونجلى مصلحا " :

يبدو أن " زونجلى " فى إصلاحه لم يكن متأثرا " بمارتن لوثر " أو مقلدا له ، لأن التاريخ يذكر أن الإصلاح فى " ألمانيا " و " سويسرا " بدأ تقريبا فى نفس الوقت . بل إن " زونجلى " ربما صدع بآرائه قبل " لوثر " .

يقول : " زونجلى " :(بدأت أكرز بالإنجيل عام " ١٥١٦م " أى فى وقت لم يكن فيه اسم " لوثر " معروفا أو مسموعا عنه فى هذه الدولة . إنى لم أتعلم إنجيل المسيح من "لوثر" بل من كلمة الله مباشرة)[٢] .

و أول هذه العوامل : التى جعلت من " زونجلى " مصلحا . هو خروج " زونجلى " برفقة الجنود و المرتزقة من السويسريين لمساندة البابا فى حربه ضد الجيوش الفرنسية فى "إيطاليا" عام " ١٥١٦م " و قد كان للسويسريين باع طويل فى هذا الشأن . حتى وصفوا بأنهم " حماة الكنيسة " .

و هناك أتيح له أن يرى أهل وطنه . و هم يتساقطون صرعى كالخراف . فآلمه ذلك

---

(١) انظر أ- عزت زكى : تاريخ المسيحية "المسيحية فى عصر الإصلاح" صـ٨٧ .

ب- إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٣٤٨ .

(٢) عزت زكى المرجع السابق صـ٨٧ .

(و أيقن " زونجلى " أن الكنيسة تستغل السويسريين أسوأ استغلال . و حينئذ صرّح بمعارضته التجنيد الإلزامى للسويسريين ، و هناك أيضا رأى " زونجلى " عن كثب فساد الأساقفة ، و جهل الكهنة و تبذل الرهبان)[1] .

و ثانى هذه العوامل : ما اطّلع عليه " زونجلى " من فساد فى العقيدة حين كان واعظا لكنيسة "الدير" "بسويسرا" (إذ لاحظ أن جموع المسيحيين يستشفعون بالسيدة " مريم " لنيل الغفران)[2] .

فما كان منه إلا أن هاجم تلك المعتقدات كما هاجم الخرافات و الأساطير ، و عبادة الصور و التماثيل .

و ثالث هذه العوامل : تكرُّر مهزلة صكوك الغفران . إذ حل بمدينة " زيورخ " راهب إيطالى يسمى " سامسون " يعرض على سكان المدينة شراء صكوك الغفران . و حينئذ تعرض له " زونجلى " (و أمام المجلس السويسرى أكد أنه لم يعثر إطلاقا على نص فى الكتب المقدسة يجيز بيع صكوك الغفران . و قال : إن الله أعلن عن غفرانه بالمجان . و ليس بحاجة إلى بيع أو شراء . لأن الثمن قد دفعه المسيح بالكامل على الصليب)[3] .

يضاف إلى تلك العوامل الثلاثة عامل رابع ألا و هو : استياء جميع الإمبراطوريات الخاضعة" للكنيسة الكاثوليكية" من الكنيسة و البابا نظراً للفساد الرهيب المستشرى فى جنبات الكنيسة و بين رجالها .

ب - مبادئ الإصلاح الزونجلى :

لقد أجمل " زونجلى " المبادئ التى دعا إليها فى وثيقة ضمنها "سبعة و ستين" بندا أعلن خلالها ما يلى :

---

(١) د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة . الجزء الأول صـ٤٦١ .

(٢) عزت زكى : المسيحية فى عصر الإصلاح صـ٩٠ .

(٣) نفس المرجع صـ٩٣ .

١- (أن السلطان المطلق للكتاب المقدس دون تعاليم الكنيسة . و أن المسيح هو رأس الكنيسة و ليس البابا .

٢- هاجم استعمال اللاتينية فى الصلوات الكنسية ، كما هاجم "خدمة القداس" و"عهود الرهبنة" و"المطهر".

٣- ندد بتحريم الزواج ، و أعلن أن زواج الكهنة من الصواب و بحسب الكتاب المقدس

٤- حرم استخدام الصور و التماثيل و آثار القديسين ، و قال : إن النصارى غير مكلفين بأية أعمال لم يأمر بها المسيح ، و يمكنهم أن يأكلوا فى جميع الأوقات كل أنواع الطعام لأنه لم يجد نصا يحرم اللحم فى الصوم الكبير .

٥- كما أعلن أن السلطة النهائية تكمن فى المجتمع المسيحى ككل . و ذلك من خلال حكومة مدنية منتخبة . تمارس أعمالها على أساس الكتاب المقدس .

٦- هاجم " زونجلى " فريضة "العشاء الربانى" . و قال إنه ليس سوى تذكاراً لموت المسيح . و أنكر أن يكون هناك حلول لدم المسيح أو جسده فى الخبز و الخمر)[1] مخالفا بذلك رأى " لوثر " الذى يؤمن بالحلول المزدوج . و قد جرت مناظرة بينه و بين " لوثر " بشأن تصور كل منهما لهذه العقيدة . و أصر كل منهما على رأيه . و لم يتفقا فى هذه المسألة .

جـ- موقف الكنيسة من حركة " زونجلى " :

لقد سعى " زونجلى " لإقامة تكتلات دينية مع البروتستانت أتباع " لوثر " حتى يضمن انتشاراً أكبر للحركة . و فى مقابل ذلك ناصبته الكنيسة العداء . و أحرقت واحداً من أتباعه كان يبشر فى منطقة كاثوليكية . (و حينئذ ثار " زونجلى " و خرج

---

(١) عن هذه المبادئ انظر :

أ- فيشر : أصول التاريخ الأوربى الحديث صـ١٠٦ .

ب-إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٣٤٨ و ما بعدها .

جـ-جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ٤ صـ١٦٦ و ما بعدها .

د- عزت زكى : تاريخ المسيحية فى عصر الإصلاح صـ٩٧ .

على رأس جيش لحرب "الكاثوليك". إلا أنه بذلت مساعٍ للصلح و تم عقد معاهدة بمقتضاها يحترم كل جانب أقاليم الجانب الآخر) [١].

إلا أن هذا الأمر لم يدم طويلا ، إذ نشب الخلاف بينهما لنفس السبب (و كانت معركة عام " ١٥٣١م " و فيها قتل " زونجلى " و أُحرق و ذُرى فى الهواء ، و فقدت مقاطعة "زيورخ " بمصرعه زعامة الإصلاح فى "سويسرا ") [٢].

و فى أعقاب ذلك عقد صلح بين الطرفين لتهدئة الوضع ، و سارت أفكار الإصلاح سيرا هادئا فى مقاطعات " سويسرا " (بفضل ما تتمتع به من استقلال و حرية . و بفضل أصحاب مذهب النزعة الإنسانية فيها) [٣].

إلى أن جاء الوقت الذى انتقلت فيه زعامة الحركة من مقاطعة " زيورخ " إلى مقاطعة "برن" ثم من " سويسرا " إلى " جنيف " على يد واحد من رواد الإصلاح البروتستانتى .

---

(١) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ٤ صـ١٧٨ و ما بعدها .

(٢) د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة . الجزء الأول صـ٤٨٣ .

(٣) انظر :

أ- إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٣٤٧ .

ب- فيشر : أصول التاريخ الأوربى الحديث صـ١٠٦ و ما بعدها .

جـ- د/ محمد فؤاد شكرى . و د/ محمد أنيس : أوربا فى العصور الحديثة . الجزء الأول صـ١١٠ .

❁" جون كلفن " و الإصلاح " ١٥٠٩م – ١٥٦٤م "

ولد " كلفن " عام ١٥٠٩ م " ببلدة " نويون " فى مقاطعة " بيكارى " بفرنسا " و أخذ منذ حداثة سنه يعمل فى وظيفة دينية اختارها له أبوه .

(و درس " كلفن " فى جامعة " باريس " و " أورليانز " و " بورجز " و كان والده قد شجعه على دراسة القانون ، إلا أنه شُغل بالمسائل الدينية . التى شُغل بها المفكرون فى عصره .

فدرس آراء المصلحين الألمان ، و تأثر بآرائهم و بآراء أصحاب مذهب النزعة الإنسانية)[١] .

أ – مرحلة الإعداد للإصلاح :

يذكر المؤرخون أن هناك عدة عوامل هيأت " كلفن " لأن يكون زعيم الإصلاح فى تلك الفترة (إذ كان موضوع الإصلاح وقتئذ هو الشغل الشاغل لكثير من المفكرين)[٢] .

إضافة إلى أن " كلفن " كان يشغل إحدى الوظائف الكنسية مما أتاح له أن يطلع على أحوال الكنيسة و رجالها . و ربما كان من الدوافع لذلك (ما فعلته الكنيسة تجاه أبيه الذى اختلف مع الرهبان مما أدى إلى طرده من الكنيسة . و قد لقى أخوه الأكبر نفس المصير)[٣] .

ثم إن الفترة التى قضاها " كلفن " فى " باريس " . و احتكاكه بأتباع المذهب اللوثرى – و على رأسهم " جاك ليفيفر " الذى يعد أبا للبروتستانتية الفرنسية – قد زادت من قناعة " كلفن " بضرورة العمل على إصلاح الكنيسة .

و هذا ما يتجلى من خلال حادثة رئيس جامعة " السوربون " " نقولا كوب" الذى كان قد ألقى عظة فى جامعة " باريس " ندد فيها بأسلوب الكنيسة الخاطئ فى مواجهة

---

(١) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ٤ صـ١٩٩ و ما بعدها .

(٢) د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة . الجزء الأول صـ٤٩٦ .

(٣) القس لبيب مشرقى : حديث مع جون كلفن صـ٤٢ . دار نوبار للطباعة . د/ت .

اللوثريين (و نادى بضرورة قيام حوار بين الكنيسة و بين الخارجين عليها . يكون الكتاب المقدس الفيصل فى هذا الحوار)[١].

و حينئذ سعت الكنيسة للقبض على " نقولاكوب " لمحاكمته ، إلا أنه سارع بالفرار و تبعه " كلفن " مما يؤكد تأثره الشديد بآرائه و متابعته له .

و قيل (إن " كلفن " كان كاتب هذه العظة التى ألقاها " نقولاكوب" و لذا لاذ بالفرار أيضا)[٢].

و حينما غادر " كلفن " " فرنسا " لم يستقر فى مدينة بعينها ، و لكنه تنقل بين مدن "بال" بـ"سويسرا" و " فرارة " بـ"إيطاليا" و " استراسبورج " بـ " ألمانيا " .

(و أثناء إقامته فى " سويسرا " وضع " كلفن " أعظم مؤلفاته و هو كتاب " أسس الديانة المسيحية " و كان قد كتبه باللغة اللاتينية يرد به على اضطهاد الملك " فرانسوا الأول " للوثريين الفرنسيين .

و قد أودع " كلفن " كتابه هذا الخطوط الرئيسة لمبادئه التى يدعو إليها . و كان هذا الكتاب سبب شهرة " كلفن " العريضة فى أوساط المهتمين بحركات الإصلاح الدينى)[٣]

ب- مبادئ كلفن الإصلاحية :

من مجموع ما كتبه المصلح " كلفن " نستطيع أن نستخلص المبادئ التى دعا إليها و جعلها أساس الإصلاح . و قد ضمنها كتابه الشهير " أسس الديانة المسيحية " فجاءت كما يلى :

أولا : (الكتاب المقدس هو وحده الذىيعتمد عليه في المسائل الدينية)[٤]

---

(١) المرجع السابق صـ٢١ .

(٢) القس حنا جرجس الخضرى : جون كلفن حياته و تعاليمه صـ٤٢ .

(٣) انظر :أ- القس حنا جرجس الخضرى : جون كلفن حياته و تعاليمه صـ٥٥ و ما بعدها .

ب- د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة . الجزء الأول صـ٤٩٧ .

جـ- إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٣٥٧ .

(٤) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ٤ صـ٢٥١ .

ثانيا : السيد المسيح هو الذى يشفع وحده لدى الله)[١] .

ثالثا : (أكد على أن الخلاص بالإيمان و ليس بالأعمال)[٢] و قد اتفق " كلفن " مع " لوثر " فى هذه المبادئ الثلاثة .

رابعا : (اعتبر " كلفن " الغفران من الأمور القدرية ، و اعتقد أن الخلاص أمر يتعلق بالاختيار المبنى على إرادة الله المطلقة . و هو تعيين سابق مزدوج . أى أن البعض كتب له الخلاص ، و للبعض الآخر الهلاك)[٣] .

خامسا : قصر " كلفن " العبادة على الصلاة و الوعظ ، و حرم ما عدا ذلك من الطقوس الدينية . و حرم تزيين الكنائس و تجميلها بالصور و التماثيل)[٤] .

سادسا : (اعترف " كلفن " بسرين فقط من أسرار الكنيسة السبعة . "بسر المعمودية" و "العشاء الربانى")[٥] .

سابعا : يعتقد " كلفن " أن حضور المسيح فى العشاء الربانى . إنما هو حضور روحى بالإيمان فى قلوب المشاركين . إلا أنه ضرورى لإسداء الحمد و الشكر لله)[٦]

ويلاحظ أنه فى اعتقاده هذا يخالف " لوثر " ✿ و ربما يقترب من اعتقاد " زونجلى " ✿✿

ثامنا : (يرى " كلفن " أنه لا بد من الفصل بين الكنيسة و الدولة . فلا تتدخل الدولة فى شئون الكنيسة . فمهمة الكنيسة مهمة روحية . و هى تحتاج إلى إدارة

---

(١) د/ محمد فؤاد شكرى . و د/ محمد أنيس : أوربا فى العصور الحديثة . جـ١ صـ١١١ .

(٢) د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة . الجزء الأول صـ٤٩٨ .

(٣) إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٣٥٨ .

(٤) د/ محمد قاسم . د/ حسين حسنى : تاريخ أوربا الحديثة صـ٥١ .

(٥) د/ محمد فؤاد شكرى ، و د/ محمد أنيس : أوربا فى العصور الحديثة جـ١ صـ١١٢ .

(٦) القس حنا جرجس الخضرى : جون كلفن صـ٢٥١ .

✿ انظر رأى لوثر فى مسألة العشاء الربانى صـ(٦١) من الرسالة .

✿✿ انظر رأى زونجلى فى مسألة العشاء الربانى فى صـ ٦٧ من الرسالة .

خاصة بها تختلف عن الإدارة العلمانية للدولة . و لها ميدان روحى لا شأن له بالمسائل الدنيوية المجردة) [1] .

و فى الوقت الذى وضع فيه " كلفن "هذه المبادئ ، فإنه قد سعى إلى تطهير المجتمع وتنقيته من الرذائل " فحارب الإباحية . والدعارة ، ولعب الميسر ، وتناول المسكرات وكل ما يتنافى مع الدين والآداب . ووضع الجزاء الرادع لمن يقدم على شئ من هذه المفاسد) [2] .

و قد طبقت هذه الأمور فعليا فى مدينة " جنيف " من خلال مجلسها العام الذى حظى "كلفن " فيه بالاحترام و التقدير .

إلى أن حدثت مأساة الطبيب " ميشيل سرفيتوس" ذلك الرجل المسيحى (الذى رفض عقيدة الثالوث المسيحية ، و رفض الخطية الأصلية ، و ألوهية المسيح و عماد الأطفال) [3]

فقبض عليه فى " جنيف " و ناظره " كلفن " و حاول أن يثنيه عن هذه المبادئ .

و لكن الرجل تمسك بها (و بموافقة " كلفن " و بباركته صدر الحكم بإعدام " سرفيتوس" حرقا لآرائه الهرطوقية) [4] .

و لا شك أن وقوف "كلفن " هذا الموقف قد أثار موجة عارمة من السخط فى " جنيف" ليس حزنا على " سرفيتوس " و لكن للأسلوب الذى عامله به " كلفن " الأمر الذى ذكّرهم بمواقف الكنيسة الكاثوليكية مع مخالفيها . فكان ذلك سببا لاهتزاز مركزه فى " جنيف " بقوة .

---

(١) انظر : أ- د/ محمد فؤاد شكرى . و د/ محمد أنيس : أوربا فى العصور الحديثة جـ١ صـ١١٢ .

ب- د/ جلال يحيى : تاريخ أوربا فى مطلع العصر الحديث صـ٤٨ .

(٢) فيشر : أصول التاريخ الأوربى الحديث صـ١٥٣ و ما بعدها .

(٣) انظر القس حنا جرجس الخضرى : جون كلفن صـ١٠٨ .

(٤) القس لبيب مشرقى : حديث مع جون كلفن صـ٦٩ .

لقد أمد " كلفن " البروتستانتية (بمزيد من التأصيل و التقعيد و الترتيب و الانتشار و بفضل جهوده انتشرت البروتستانتية في " فرنسا " و " هولندا " و " بلجيكا " و " ألمانيا " و "أوربا الشرقية " و " بولندا " و " المجر " و " اسكتلندا")[1] . و غيرها من الدول .

(بل إن " شبه الجزيرة الإيطالية " لم تخل من أنصار يؤيدون "البروتستانتية" .... و فى خلال عشرين سنة كان نصف العالم المسيحى فى" أوربا الغربية" قد خرج على كنيسة " روما " و نبذ ولاءه للبابا)[2] .

فهل تقف الكنيسة مكتوفة الأيدى حتى يضيع سلطانها بعد أن زُيفت عقيدتها و حرفت؟!

---

(١) انظر أ- إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٣٦٣ .

ب- جون لوريمر : تاريخ الكنيسة ، الجزء الرابع صـ٢٦٤ .

(٢) انظر : د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، الجزء الأول صـ٥١٧ .

✲ " الإصلاح المضاد "

لقد شعرت الكنيسة الكاثوليكية بالخطر على كيانهـا ، إن لم تصنـع شيئا يوقـف المد البروتستانتي ، الذى زحف حتى على " إيطاليا " نفسـها .

و بالإضافة إلى ذلك ، فإن عصر النهضة كان قد فتـح الأذهـان ، و أنـار العقـول و سـلط الأضواء على الكتاب المقدس ، و هذا – طبعا – ليس فى صالح الكنيسة .

ثم إن حياة عدد كبير من بابوات عصر النهضة و الأساقفة و الرهبـان أبـانت عـن مـدى تفشى الفسـاد و الانحراف داخل المؤسسة الدينية .

فكان لا بد من أن تنتبه الكنيسة و تُصلح مـن أحوالهـا لتجمـع المؤمنـين بهـا حولهـا . خاصة و أنه كان هناك خطر آخر يهدد أمنها و سيادتها إذ (وصل المسلمون إلى قلب " أوربا" و استولوا على جزيرة " رودس" و غيرها من القواعد العسكرية)[1]

لكل هذه الأمور . انتعشت" الكنيسة الكاثوليكية ". و أفاقت لتتدارك الأمر قبل أن يفلت الزمام من يدها . فماذا فعلت ؟؟!.

أ– الكنيسة تضع الملامح الرئيسة لعقيدتها :

لقد دعا البابا " بول الثالث " لإصلاح أحوال الكنيسة (حين أصدر قـراراً بعقـد مجمـع فى " ترنت " " بألمانيا " و كان ذلك عام "١٥٤٢م " . و لكنه اضطـر لتأجيلـه بسـبب الخلافات الناشئة بين أهل الحكم . ثم عُقد المجمع أخيرا بعد أن تأجل عدة مرات . و كان انعقاده عام " ١٥٦٣م ")[2] و فى مجمع " ترنـت " وضعـت الملامـح الرئيسـة للعقيدة الكاثوليكية و نظام الكنيسة على النحو التالى :

أولا : (رفض ما كان يدعو إليه " لوثر" و " كلفن " مـن حيـث الاعتمـاد علـى الكتـاب المقدس وحده فى تفسير العقيدة . و قرر المجمع أن عقائد الكنيسة تستند إلى الكتاب

---

(١) انظر أ– د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة . الجزء الأول صـ٥١٨ و ما بعدها .

ب– عزت زكى : تاريخ المسيحية . المسيحية فى عصر الإصلاح صـ١٥٤ .

(٢) انظر د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا فى مطلع العصورالحديثة . جـ١ صـ٥٢٥ : صـ٥٤٢ .

المقدس ثم إلى التعاليم الكنسية القديمة) [١].

ثانيا : (اعتبار النسخة اللاتينية من الكتاب المقدس هي وحدها النسخة المعتمدة .

ثالثا : رفض المجمع لعقيدة "التبرير بالإيمان" التي نادى بها " لوثر " .

رابعا : رفض المجمع لمذهب القدرية الذى قال به " كلفن ") [٢].

خامسا : (الإبقاء على أسرار الكنيسة السبعة . كما كانت و رفض الرأى البروتستانتى مع التأكيد على فريضة العشاء الربانى) [٣]. و التعليم بأن الخبز و الخمر يتحولان إلى جسد المسيح و دمه على سبيل الحقيقة .

و أما ما يتعلق بنظام الكنيسة . فقد قرر المجمع (استعمال اللغة اللاتينية فى الصلاة . و حرّم زواج القساوسة . و حدّد سن من يشغل منصب الأسقف بما لا يقل عن "ثلاثين عاما" و من يشغل منصب قسيس بما لا يقل عن "خمسة و عشرين" عاما .

كما تقرر منع الكتب البروتستانتية من التداول فى الممالك الكاثوليكية . و فتح المدارس لتعليم رجال الدين واجباتهم الدينية .

و أخيرا قرر المجلس : أن البابا هو خليفة " السيد المسيح " و الرسل : و له السلطة العليا فى " الكنيسة الكاثوليكية ") [٤].

و بهذه القرارات الكنسية أكدت " الكنيسة الكاثوليكية " على تمسكها بعقيدتها . و رفضها لعقيدة " البروتستانت " . كما أكدت على إصرارها على بسط سيطرتها و نفوذها حينما قرر المجمع بأن البابا خليفة " السيد المسيح " . و لم تكتف بذلك بل إنها اتخذت من الوسائل ما يحقق لها هذه الأهداف .

---

(١) انظر أ- جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ٤ صـ٣٢٨ .

ب- إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٤٠٧ .

(٢) انظر د/ محمد فؤاد شكرى . و د/ محمد أنيس : أوربا فى العصور الحديثة جـ١ صـ١٧ .

(٣) انظر د/ محمد قاسم . و د/ حسين حسنى : تاريخ أوربا الحديثة صـ٥٥ .

(٤) انظر أ- د/ محمد فؤاد شكرى . و د/ محمد أنيس : أوربا فى العصور الحديثة جـ١ صـ١١٧ .

ب- د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة جـ١ صـ٥٤٤ .

ب – الوسائل الكنسية لنشر الكاثوليكية و دعم البابوية :

لقد سعت الكنيسة لنشر عقيدتها المخالفة "للبروتستانتية"، و تدعيم نفوذ البابوية متخذة في ذلك عدة وسائل ، تضمن لها النجاح في الحفاظ على كيانها و عقيدتها :

الوسيلة الأولى : عملت الكنيسة على تشجيع المنظمات الدينية القديمة كطائفة "الفرنسيسكان " و " الكارمليت " و دفعهم إلى ممارسة الوعظ و الاهتمام بالتعليم والعناية بالمرضى ، كما سعت الكنيسة إلى إنشاء منظمات أخرى لتدعيم الجبهة الكاثوليكية .

و كانت جمعية اليسوعيين أو " الجزويت " أقوى هذه المنظمات أثرا و أوسعها انتشارا و هي جمعية دينية أسسها الأسباني " إجناس لويولا " " ١٤٩١م – ١٥٥٦م " (و كانت في بداية إنشائها تهدف إلى انتزاع بيت المقدس من أيدى المسلمين) [١]

و قد أعجب البابا " بول الثالث " بأفكارها و نشاطها . فأصدر قرارا بالموافقة على نشاطها و نظامها . و حينئذ أعلن " الجزويت " الطاعة و الولاء للبابا . و تكريس حياة أفرادها لخدمة الكنيسة . فكانت هذه الجمعية بمثابة الند القوى للبروتستانت .

و ذلك لأن " الجزويت " ركّزوا على ميدان التربية و التعليم بالنسبة لرجال الكنيسة (ظنا منهم أن البروتستانت إنما نجحوا نتيجة لجهل رجال الدين و فسادهم) [٢] .

و إلى جهود هذه الجمعية يرجع الفضل في إصابة "البروتستانتية "بنكسة في " فرنسا " و " ألمانيا " و " بولندا " . و اهتزازمركزها في " إنجلترا " و " اسكتلندا " و استئصال شأفتها من " إيطاليا " و " أسبانيا ") [٣]

و عادت "الكاثوليكية "من جديد تطل برأسها . و تغمر أنحاء كبيرة من العالم بعد أن رسخت أقدامها في أوربا .

---

(١) د/ محمد فؤاد شكرى . و د/ محمد أنيس : أوربا في العصور الحديثة جـ١ صـ١١٩ .

(٢) د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا في مطلع العصور الحديثة جـ١ صـ٥٥٩ .

(٣) انظر أ- نفس المرجع صـ٥٦٠ .

ب- د/ جلال يحيى : تاريخ أوربا في مطلع العصر الحديث صـ٥٩٤ و ما بعدها .

جـ- د/ محمد قاسم . و د/ حسين حسنى : تاريخ أوربا الحديثة صـ٥٣ .

الوسيلة الثانية :حرصت الكنيسة على أن تمنع الأفكار الدينية المخالفة لها من الظهور (فأصدرت قائمة بالكتب و المطبوعات التى يحرم على المؤمنين قراءتها ، ووضع البابا "بول الرابع " عام "١٥٥٩ م " فهرسا للكتب المحرمة ، و كان من بينها رسائل "مارتن لوثر " و " زونجلى " و " كلفن " و غيرهم من رواد الإصلاح الدينى ، و أنذر البابا كل فرد يضبط لديه كتاب منها بقرار الحرمان البابوى)[١] .

الوسيلة الثالثة :و حتى تحكم الكنيسة قبضتها أكثر فأكثر . أحيت ما عرف تاريخيا باسم "محكمة التفتيش " و خولتها سلطات واسعة فى تعقب المخالفين للعقيدة الكاثوليكية و تعريضهم لأقسى أنواع التعذيب .

(و أفلحت محاكم التفتيش فى القضاء على البروتستانتية فى كل من " إيطاليا " و " أسبانيا" ربما لقلة أعداد المنتمين للبروتستانتية هناك .

إلا أنها أثارت بإجراءاتها الشاذة . و أحكامها القاسية مزيدا من الضغائن و العداوة فى نفوس البروتستانت فى "شمال أوربا " و"غربها ". و جعلتهم يُصرّون على الابتعاد عن كنيسة "روما " و يرفضون محاولات إعادتهم إليها)[٢]

و لا شك أن الكنيسة باتباعها هذا الأسلوب قد قضت على الذين يريدون الإصلاح الدينى على أساس من التسامح مع المخالفين إضافة إلى تضييق الخناق على البروتستانت فى بعض البلاد و القضاء عليهم فى بلاد أخرى .

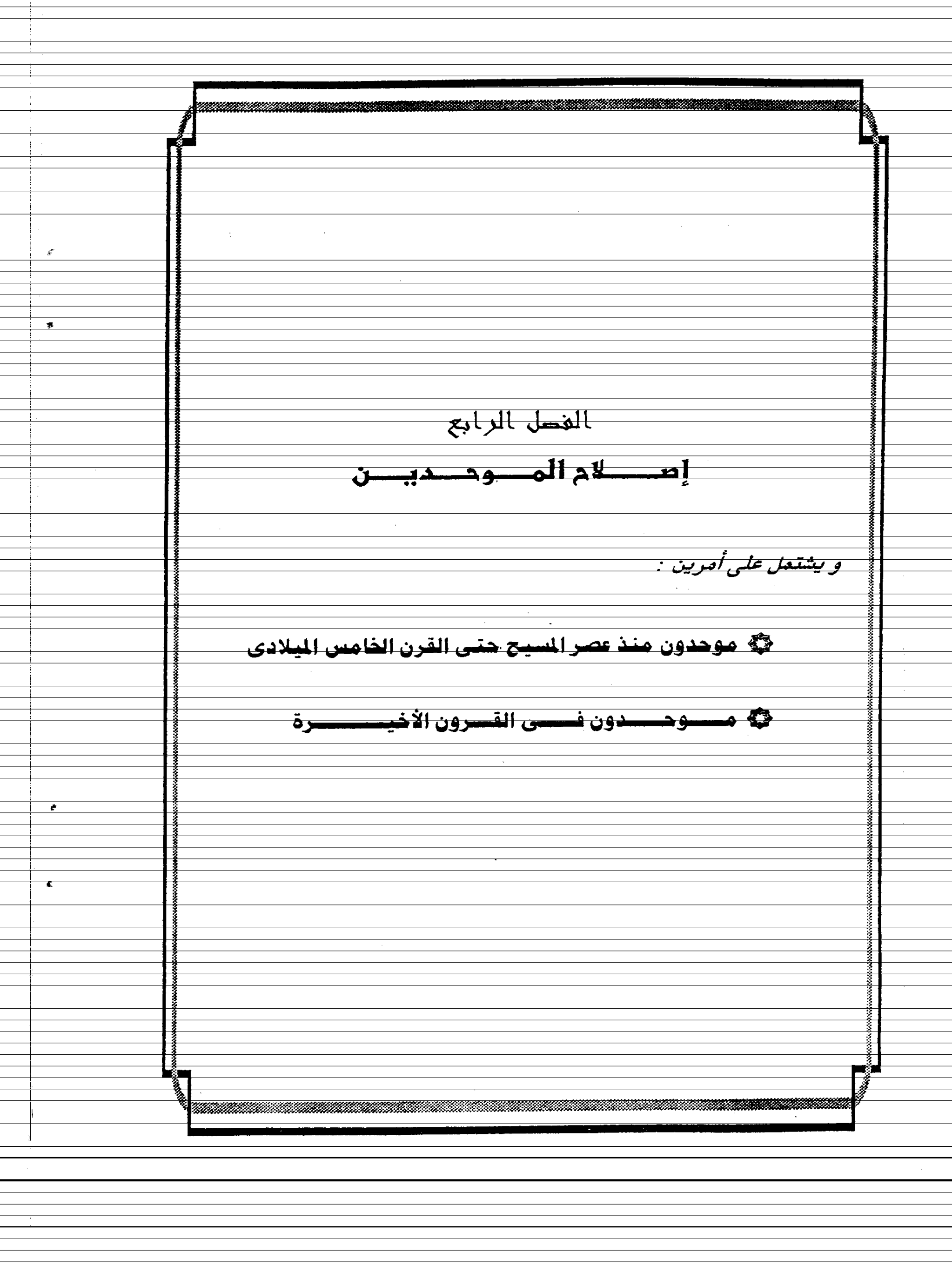
---

(١) انظر أ- إيرل كيرنز : المسيحية عبر العصور صـ٤٠٦ .

ب- د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، جـ١ صـ٥٦٨ .

(٢) انظر أ- د/ عبد العزيز الشناوى : أوربا فى مطلع العصور الحديثة جـ١ صـ٥٨٤ .

ب- جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ٤ صـ٣٢٨ .



الفصل الرابع

إصـــلاح المـــوحـــديـــن

و يشتمل على أمرين :

- موحدون منذ عصر المسيح حتى القرن الخامس الميلادى
- مـــوحـــدون فـــى القـــرون الأخيـــرة

الفصل الرابع

"إصلاح الموحدين"

تمهيد :

لا تكتمل الصورة عن الإصلاح المسيحى إلا بالحديث عن أولئك الذين ظهروا فى سماء المسيحية ينادون بضرورة العودة إلى تعاليم المسيح ، و نبذ تلك العقائد التى أرساها "بولس" و هؤلاء هم الذين عرفوا بـ" الموحدين " لأن دعوتهم كانت ترتكز على العودة بالمسيحية إلى التوحيد ، و إنكار ألوهية المسيح .

و قد ينسب لبعض هؤلاء الموحدين بعض الآراء التى قد لا تتفق و التوحيد ، و ليس لها دليل حتى فى كتابهم المقدس ، إلا أن ذلك راجع إلى أحد أمرين :

الأول : أن هذا البعض ربما انحرف إلى آراء و خرافات كانت شائعة و رائجة .

الثانى : أن تاريخ هؤلاء الموحدين مأخوذ من كتابات خصومهم عنهم ، و احتمال الافتراء و الكذب عليهم وارد .

إلا أن ما أهتم بإبرازه فى آرائهم و أفكارهم هو أنهم نادوا بالتوحيد و رفضوا القول بألوهية المسيح .

و أرانى مضطرا لأن أخالف التسلسل التاريخى فى تتبع سيرة الإصلاح المسيحى فأعود إلى الوراء تاريخيا لأذكر ما عرف عن تاريخ هؤلاء الموحدين ، منذ عصر "المسيح" أى قبل ظهور أى نوع من أنواع الإصلاح الدينى المسيحى . و رأيت أن أجعل ذلك كله من خلال هذا الفصل مجتمعا مع حركات التوحيد التى ظهرت فيما بعد فى القرون الأخيرة . و ذلك حتى يشملهم هذا العنوان " إصلاح الموحدين " ذلك الإصلاح الذى يحرص بعض المسيحيين على تشويه صورته ، و النيل منه أو على الأقل عدم إدراجه ضمن محاولات الإصلاح الدينى المسيحى أو اعتباره من الهرطقات و الخروج على الدين

وسأتناول إصلاح الموحدين على النحو التالى :

- موحدون منذ عصر المسيح حتى القرن الخامس الميلادى
- موحدون فى القرون الأخيرة

"موحدون منذ عصر المسيح حتى القرن الخامس الميلادى"

لقد ظهر الموحدون قبل الإصلاح البروتستانتى ، و عرف الموحدون فى تاريخ المسيحية قبل المثلثين ، تقول " دائرة المعارف الأمريكية " : (لقد بدأت عقيدة ـ التوحيد كحركة لاهوتية ـ بداية مبكرة جدا فى التاريخ ، و فى حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين) [1].

أما التوحيد ـ كعقيدة و ديانة ـ فإن الله عز وجل أرسل به جميع أنبيائه و منهم "عيسى عليه السلام" يقول سبحانه :

[و ما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون] [2].

و لابد من التعرف على الجذور التاريخية للحركات الموحدة التى عرفها التاريخ حتى يتسنى لنا الإحاطة بحقيقة هذا الإصلاح . و إن كان ذلك سينقلنا من "الغرب" إلى "الشرق" أو من " الكنيسة الرومانية الكاثوليكية" إلى" الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية ".

و لكن الحديث سيتركز فقط حول آراء هؤلاء الموحدين باعتبارهم من دعاة الإصلاح المسيحيى الذين لاينبغى أن تغفل جهودهم فى سبيل إصلاح المسيحية وسأتناولهم على النحو التالى :

١- كيرنثوس :

(عاش " كيرنثوس" فى " القرن الأول " . و عاصر تلاميذ المسيح . و نادى بمذهبه عام "٧٣م" .

و من آرائه التى نادى بها :

١- أن المسيح لم يكن سوى إنسان بارز حل عليه"المسيح"فى صورة حمامة عند عماده آتيا من الإله الأعلى .

٢- رفض " كيرنثوس" الإيمان بالقيامة التى قامها المسيح . و قال : إنها لم تأت بعد

---

(١) أحمد عبد الوهاب : طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون صـ٩ ، الطبعة الأولى _ مكتبة وهبة ١٩٨٠ .

(٢) سورة الأنبياء : ٢٥ .

٣- تمسك بالختان ، و السبت ، و كان يعلم أن يسوع ولد من " يوسف و"مريم "

٤- رفض جميع الأناجيل ما عدا إنجيل متى) [١] .

٢- بيلاجيوس :

(هو الراهب الأيرلندى الذى ظهر فى " روما " عام " ٤٠٠م ") [٢] . و قد تنقل فى بلاد كثيرة يبشر بمذهبه الذى نادى من خلاله بأنه (ليس هناك شئ اسمه الخطيئة الأصلية الموروثة عن " آدم " و إنما خطيئة كل إنسان تخصه وحده و تقع عليه وحده . و نادى أيضا بإمكان أن تنصلح الطبيعة البشرية و تتحسن . إذ أن إرادة الإنسان حرة فى صنع الاختيارات الأخلاقية الأدبية .

فكل من يؤمن يمكنه أن يتبرر بإيمانه من غير حاجة إلى فداء من أحد) [٣] .

و هذه المبادئ - كما يبدو - تنفى كل ما قيل عن منزلة و مكانة "الفادى" و"المخلص" فى عقيدة "الكنيسة الكاثوليكية".

٣- نسطور :

هو الراهب الذى اعتلى كرسى بطريرك القسطنطينية عام ٤٢٨ م .

(و كان ينادى بأنه لا يحق أن نطلق على "العذراء" وصف أم الله بل هى والدة "المسيح" الإنسان إذ الجزء اللاهوتى من طبيعة "المسيح" لم يولد منها .....و ما يولد من الجسد ليس إلا جسدا . و ما يولد من الروح فهو روح . إن الخليقة لم تلد الخالق . بل ولدت إنسانا هو آلة للاهوت .

و كان " نسطور " شديد الإصرار على تجريد "المسيح" من الألوهية . إذ قال : إن "المسيح"

---

(١) لا شك أن إنجيل متى الحالى ليس هو الذى كان موجودا أيام "كيرنثوس" بل اعتراه التحريف . كما أثبت ذلك أ: رحمة الله خليل الرحمن الهندى : إظهار الحق . الجزء الأول صـ١٩٦ . مكتبة الثقافة د / ت .

وانظر ايضا د/ حسنى يوسف الأطير : عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام و المسيحية صـ٢٨- ٣٠ . الطبعة الأولى ، دار الأنصار ١٩٨٥م . و عنه نقلت تاريخ " كيرنثوس و آراءه التى نادى بها .

(٢) انظر جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ٣ صـ٢٠٦ .

(٣) انظر أ- المرجع السابق نفسه .

ب- د/ حسنى يوسف الأطير : عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام و المسيحية صـ٣٣ .

إنسان فقط و إنه نبى لا غير)[١]

٤- الفرقة الأبيونية :

(ويرجع أصل نشأة هذه الفرقة إلى ما جرى من خلاف بين أتباع المسيح من اليهود إذ انقسموا إلى حزبين :"حزب المتنصرين" من يهود" فلسطين" ، حزب" المتنصرين" من" الوثنيين" و كانت " الأبيونية " معبرة عن آراء الحزب الأول)[٢] .

(إذ تمسك " الأبيونيون" بالتوحيد المجرد ، و أنكروا دعوى تأليه المسيح ، واعتبروه مجرد إنسان مولود من لذة إنسانية . و اجتماع" يوسف" و" مريم" .

و قد التزموا في عقيدتهم بالتوراة ، و كانوا يرون أن يوم السبت أحق بالتوقير من يوم الأحد ، و لهذا عرفوا أيضا " بالسبتية " .

و قد اتسع نفوذهم حتى شمل " فلسطين " و " سوريا " و " آسيا الصغرى " بل و امتد إلى " روما ")[٣] .

٥- الفرقة البوليانية :

و هم أتباع " بولس السميساطي " الذى اختير أسقفا لكنيسة " إنطاكية " كبرى كنائس الشرق آنذاك عام "٢٦٠م" .

(و قد كان " البوليانيون " يؤمنون بأن الله إله واحد . جوهر واحد . أقنوم واحد . و يقولون بأن" المسيح" إنسان خلق من اللاهوت مثل خلق " آدم " و كمثل واحد منا فى جوهره ...و أن ابتداء الابن من " مريم ")[٤] .

---

(١) انظر أ- الشيخ / محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية صـ١٤.

ب- د/ حسنى يوسف الأطير : المرجع السابق صـ٣٤ - ٣٦ .

(٢) انظر المرجع السابق صـ٣٩ .

(٣) انظر د/ حسنى يوسف الأطير : عقائد النصارى الموحدين صـ٥٣ .

(٤) انظر أ- المرجع السابق صـ٦٠ .

ب- جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ٢ صـ١٠١ و ما بعدها .

جـ- الشيخ / محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية صـ١٣٩ .

٦- فرقة الآريوسية :

و هم أتباع " آريوس " أشهر و أقوى داعية إلى التوحيد فى تاريخ المسيحية .

و كان " آريوس " قسيسا لكنيسة " الإسكندرية " عام "٣١٠م " ، و يذكر أن بداية المجادلات بين " آريوس " و مخالفيه كانت حينما اختلف مع الأسقف " اسكندر " الذى تولى الأسقفية عام ٣١٣م ، و حينئذ طرد " آريوس " من الكنيسة ، إلا أنه عاد إليها مرة أخرى مدعوما من كل أساقفة الشرق ، و تطورت المواقف بين " آريوس" و"اسكندر" مما خشى معه الإمبراطور " قسطنطين " على نفسه ، فدعا إلى عقد مجمع عام فى " نيقية " عام "٣٢٥م" (و فيه تم ترجيح رأى القائلين بألوهية المسيح ، و أنه من جوهر الله ، و أنه قديم بقدمه) ![1] بل و أدينت آراء آريوس (و أمر الإمبراطور بإحراق كتبه . و وضع أتباعه فى أدنى مستوى بين أعداء المسيح)[2]

و يتلخص المذهب الآريوسي في أنه (ليس للمسيح وجود أزلى لأنه له بداية وجود إذ خلقه الله فى أول خليقته . و أنه من طبيعة مغايرة لطبيعة الآب . و من جوهر خلاف جوهره)[3] .

و قد انتشرت العقيدة الآريوسية بعد وفاة " آريوس" عام "٣٣٦ م " و أوشكت أن تعم العالم المسيحى شرقه و غربه لولا محاولات الأباطرة المستمرة للقضاء عليها . و قد تم لهم ذلك عن طريق المجامع المقدسة ※ .

و رغم ما يشوب عقيدة " آريوس " من شوائب - ربما تكون دخيلة على عقيدته - ، و رغم ما علق بتوحيد" الآريوسية "من مآخذ . (فإن إيمانهم بالله الواحد الأحد . و بأن "المسيح"مخلوق مجرد من اللاهوت يكفى لاعتبار" الآريوسية "من جملة الفرق المسيحية الموحدة)[4]

---

(١) انظر الشيخ / محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية صـ١١٢ .

(٢) انظر أ- د/ حسنى يوسف الأطير : عقائد النصارى الموحدين صـ٦٩ .

ب- جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ٣ صـ٤٢ : ٥٠ .

(٣) د/ حسنى يوسف الأطير : المرجع السابق صـ٧٨ .

※ ثم القضاء على الآريوسية من خلال مجمع القسطنطينية الأول عام " ٣٨١م " و مجمع " خلقيدونيه " عام "٥٤١م " .

(٤) انظر أحمد عبد الوهاب : طائفة الموحدين صـ١١ .

"موحدون فى القرون الأخيرة "

لقد أفل نجم الحركات الموحدة لمّا أحكمت الكنيسة قبضتها على أتباعها ، و هدّدت بعقاب من ينادى بآراء "الأريوسيين" أو غيرهم من الموحدين ، إلى أن جاء الإسلام ، و طرقت مبادؤه أسماع الأوربيين . فظهر المصلحون الذين تأثروا بمبادئ الإسلام . و بدا ذلك من خلال رفضهم عقيدة التثليث أو على الأقل إظهار الشك فيها و عدم الاقتناع الكامل بها ، و هذه بعض النماذج الدالة على ذلك :

١- (ها هو ذا " إيرازموس " حين طبع العهد الجديد عام "١٥١٦م " قد حذف منه أقوى نص للتثليث كما فى " يوحنا " (فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة : الآب و الكلمة و الروح القدس و هؤلاء الثلاثة هم واحد) [1] .

٢- و أشار " لوثر " إلى التثليث على أنه:تعبير يفتقد القوة . و لم يُعثر عليه فى الأسفار

٣- و هذا " كلفن " يعلن أن قانون الإيمان الذى صدر عن مجمع "نيقية" كان يناسبه أكثر أن يُغنّى كأغنية بدلا من أن يُحفظ كبيان عن العقيدة ...و من النادر جدا أن نجد ذكرا للثالوث فى كتابه " أسس الديانة المسيحية " و لو كان لهذه العقيدة أهمية لكان " كلفن" قد ركز عليها) [2] .

٤- و هذا الأسبانى " ميشيل سرفيتوس " الذى ألف كتابا بعنوان " إصلاح المسيحية " و فيه (رفض أزلية الابن و لاهوته . و رفض عقيدة التثليث لأنه لم يجد لها أى أساس فى الكتاب المقدس ، كما رفض الخطيئة الأصلية . و عماد الأطفال) [3]

هؤلاء بعض الأفراد الذين عبّروا عن رفضهم لعقيدة التثليث أو على الأقل أظهروا شكوكهم فيها . و هناك أيضا طوائف و فرق أبدَوا نفس الاعتراض على عقيدة التثليث

---

(١) رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٧ .

(٢) انظر أحمد عبد الوهاب : المرجع السابق صـ٣٤ و ما بعدها .

(٣) انظر أ- القس حنا جرجس الخضرى : جون كلفن صـ١٠٨ .

ب- أحمدعبد الوهاب : طائفة الموحدين صـ٣٦ .

جـ- جون لوريمر : تاريخ الكنيسة ، الجزء الخامس صـ٦٠ .

و دعوا إلى التوحيد (فهناك فى " إيطاليا " طائفة " الصوصنية " التى انشقت على الكنيسة الرومانية إبان القرن "السادس عشر" الميلادى ، و أنكرأتباعها عقيدة التثليث و أقاموا مبدأ التوحيد فى المسيحية ، و رفضوا ألوهية المسيح)[١].

و فى " بولندا " نمت الحركة" المعادية للتثليث"فى منتصف "القرن السادس عشر" الميلادى و قويت حتى أصبح دعاتها أغلبية . و قد عبّروا عن عقيدتهم . من خلال إعلان عام "١٦٠٥ م " و فيه أعلنوا أن الله واحد فى ذاته ، و أن"المسيح"إنسان حقيقى و لكنه ليس مجرد إنسان ، و أن الروح القدس ليس أقنوما ، لكنه قدرة الله ، ثم هى تنكر الخطيئة الأصلية .

و فى " المجر " قويت شوكة الموحدين . ووصل بهم الأمر إلى أن أصبحت المجر تحت حكم ملك موحد هو " جون سجسموند " " ١٥٤٠م – ١٥٧١م ")[٢].
(وفى " إنجلترا" اشتهر " جون بيدل" فى القرن "السابع عشر" الميلادى بأنه أبو التوحيد الإنجليزى . و كا ن قد أبدى تشككه فى عقيدة التثليث بعد دراسة الكتاب المقدس)[٣].

" و كان الفكر الإنجليزى قد تشكل من خلال كتابات " جون لوك" و الدكتور " صموئيل كلارك " الذى كان قد ألف كتاباً تحت عنوان " عقيدة التثليث من الأسفار" و فيه جمع كل نصوص العهد الجديد التى تتحدث فى هذا الموضوع . و انتهى إلى أن الآب وحده هو الإله الأسمى . و أن المسيح أقل منه رتبة)[٤].

---

(١) انظر أ- د/ توفيق الطويل : قصة النزاع بين الدين و الفلسفة صـ٤٩ . ٥٠ .

ب- الشيخ / محمد الغزالى : التعصب و التسامح بين المسيحية و الإسلام صـ١٠٢ . و ١٠٣ . الطبعة الثانية . دار التوزيع و النشر الإسلامية ١٩٩٣م .

(٢) انظر أحمد عبد الوهاب : طائفة الموحدين صـ٤٠ – ٤٢ .

(٣) انظر أ- أحمد عبد الوهاب : طائفة الموحدين صـ٤٨ .

ب- جون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ٥ صـ٦٠ .

(٤) أحمد عبد الوهاب : طائفة الموحدين صـ٤٨ و ما بعدها .

(و فى " الولايات المتحدة الأمريكية " كان" الليبراليون" فى القرن" الثامن عشر" آريوسيين " و منهم الدكتور " تشارلز شاونس " "١٧٠٥م – ١٧٨٧م " و قد اجتذبت هذه العقيدة أيضا "وليم إيليرى شانينج " " ١٧٨٠م – ١٨٤٢م " الذى أنكر عقيدة الثالوث ، و الخطيئة الأصلية ، و عقيدة سبق التعيين ، و نادى بأن الخلاص يعتمد على خُلق المؤمن أكثر منه على النعمة)[١].

هذه صورة موجزة لبعض المصلحين الذين نادوا بالتوحيد فى بعض بلاد " أوربا " و" أمريكا " فى القرون الأخيرة . و بالحديث عن إصلاح الموحدين ينتهى الحديث عن الإصلاح المسيحى و حركاته .

و لست أدعى أننى أحطت ذكراً بالحركات الإصلاحية فى المسيحية . إذ أن ذلك بعيد المنال . و إنما قصدت أن أعطى صورة عامة عن ذلك الإصلاح ور واده من خلال أبرز الحركات التى قادت مسيرة الإصلاح المسيحى .

---

(١) أنظر :

أ- جون لوريمر : المرجع السابق صـ٦١ .

ب- أحمد عبد الوهاب : المرجع السابق صـ٥١ .



الباب الثانى

حركات الإصلاح فى العالم الإسلامى

و يشتمل على تمهيد و أربعة فصول :

الفصل الأول :

حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب و أثرها فى الإصلاح

الفصل الثانى :

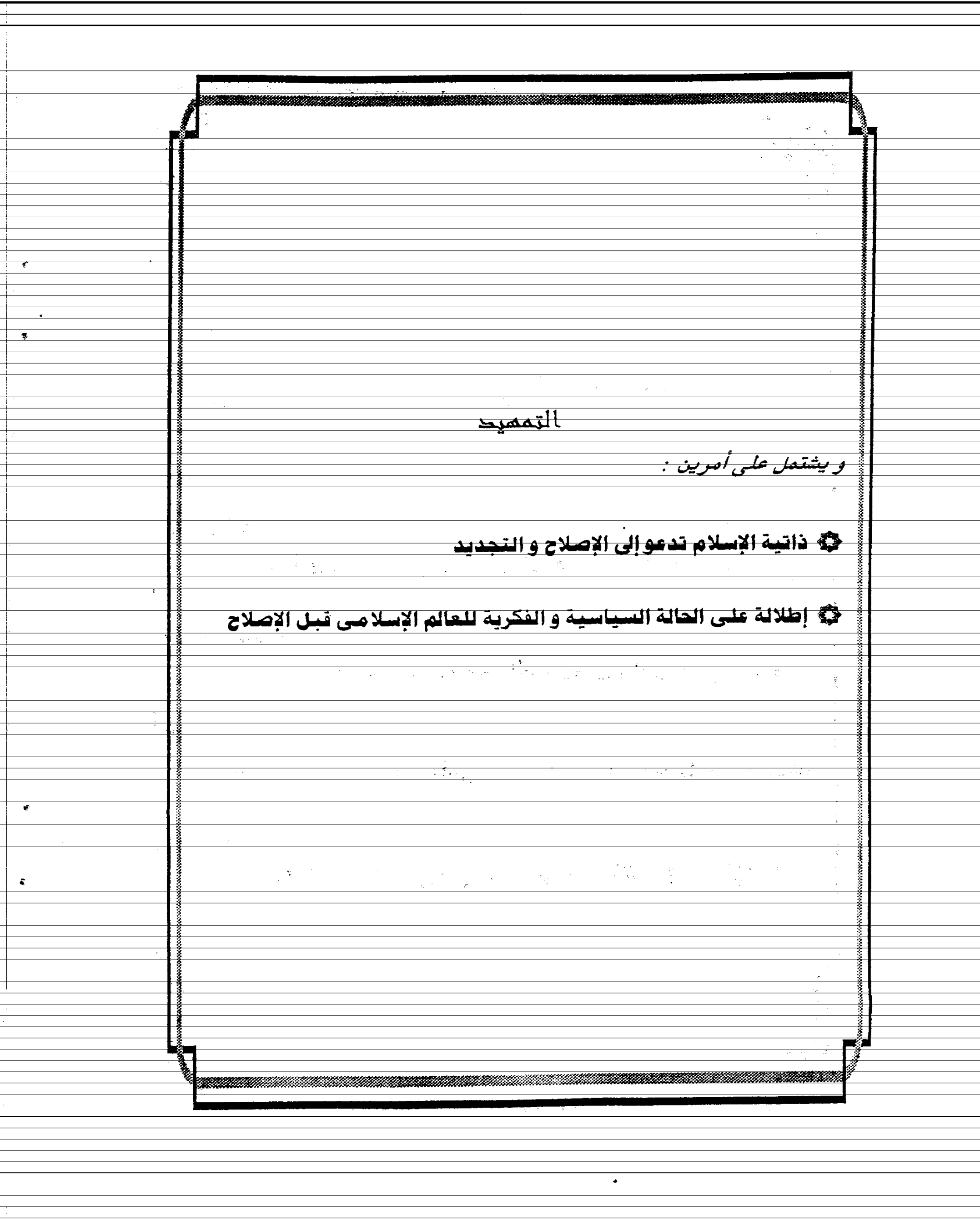
حركة الشيخ محمد بن على السنوسى و أثرها فى الإصلاح

الفصل الثالث :

حركة الحكيمين الأفغانى و محمد عبده و أثرها فى الإصلاح

الفصل الرابع :

مقارنة بين الإصلاح فى المسيحية و الإصلاح فى الإسلام



التمهيد

و يشتمل على أمرين :

- ذاتية الإسلام تدعو إلى الإصلاح و التجديد
- إطلالة على الحالة السياسية و الفكرية للعالم الإسلامى قبل الإصلاح

تمهيد :

۞ " ذاتية الإسلام تدعو إلى الإصلاح و التجديد "

قبل ختْم النبوات ، و حينما كان الفساد يعترى حياة البشر كان الله عز و جل يُرسل الأنبياء و الرسل بشريعة تناسب المكان و الزمان .

إلا أن الله تعالى ختَم النبوات و الرسالات برسالة رسوله " محمد " ﷺ ، و أودع الله تعالى فى رسالته ما يجعلها تتعايش و تتناسب مع أطوار البشرية ، و أحوالها ، إلى أن تقوم الساعة ، على الرغم من أن تلك الرسالة مؤسَّسة على عقائد ثابتة و حقائق خالدة . و قد أكملها الله عز و جل و أتمها ، يقول سبحانه :

[اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام دينا] (١)

إنها رسالة تجمع (بين الكمال الذى لا انتظار بعده لدين آخر ، و لا حاجة معه إلى رسالة جديدة . و بين الحيوية التى لا نفاد لها و النشاط الذى لا آخر له) (٢) .

و لما كان الأمر كذلك فإن الله العليم الخبير بمن خلق يعلم (أن من طباع البشر أن يضعف تأثير الوحى فى قلوبهم بطول الأمد على عهد النبوة فيفسقوا عن أمر ربهم . و يتأولوا كتابه بأهوائهم . و لهذا أنعم الله عليهم بما يحصى هداية النبوة فيهم بأن يبعث فيهم بعد عصر النبوة مجددين . و أئمة مصلحين يرثون الأنبياء بالدعوة إلى إصلاح ما أفسد الظالمون فى الأرض . و يكونون حجج الله على الخلق) (٣) .

---

(١) سورة المائدة : ٣ .

(٢) أبو الحسن على الحسنى الندوى : رجال الفكر و الدعوة فى الإسلام صـ١٤ ، ١٥ . الطبعة الرابعة – دار القلم د/ ت .

وانظر أ- أمين الخولى المجددون فى الإسلام ، الجزء الأول صـ٤٠ – ٤٨ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م .

ب- د/ أمين حسن عمر : حركتنا الإسلامية مقاصدها و خصائصها صـ١١ – ١٤ ، الطبعة الثانية . دار الفكر . الخرطوم ١٩٨٨م .

جـ- د/ يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام صـ٩٩ – ٢٤٠ . الطبعة الرابعة . مكتبة وهبة ١٩٨٩م .

(٣) السيد محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده . الجزء الأول صـ ب . الطبعة الأولى . مطبعة المنار ١٩٣١م .

و انظر أيضا : د/ أمين حسن عمر : حركتنا الإسلامية : مقاصدها و خصائصها صـ١١ .

يقول إمام المصلحين " محمد " ﷺ فيما رواه " أبو هريرة " - رضي الله عنه - : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) [١]

و قد عُرفت هذه الحقيقة بين سلف الأمة و خلفها ، و تلقتها الأمة الإسلامية بالقبول رغم ما يؤخذ على فهم بعض السلف لقضية التجديد من بعض المآخذ ، و خاصة حين قَصَروا أمر التجديد على (مجرد إحياء السنة ، و إماتة البدعة ، أو إحياء ما اندرس) [٢] إلا أن ذلك لا يَحُط من قدر تلك الحقيقة و مكانتها في نفوس سلف الأمة .

ولئن كان السلف قد فرّطوا في مفهوم التجديد . فإن بعض الخلف قد أفرطوا بل وتطرّفوا في مفهوم التجديد . و تأثروا بأقوال المستشرقين و المتغربين . فأرادوا - باسم التجديد- و انطلاقا من التطور المطلق (إسباغ بردة الإسلام على ما نشاهد و نمارس من أوضاع المعيشة في حياتنا الراهنة . و بخاصة ما طرأ عليها من أنماط السلوك و النظم الوافدة . حتى و إن كانت تخالف أصلا من أصول الإسلام) [٣]

إن التجديد الذي عناه الإسلام هو (تلك الحركة الدائمة المستمرة للكشف عن القيم الذاتية للإسلام ، و محاولة رد الاعتبار للقيم الدينية . و دحْض ما طرأ عليها مما

---

(١) الحديث رواه أبو داوود في سننه : كتاب الملاحم : باب من يذكر في قرن المائة رقم "٤٢٩١" و رجاله ثقات . و رواه الحاكم جـ٤ صـ٥٢٢ . و صححه الحافظ العراقي في عون المعبود جـ١١ صـ٣٩٦ . و العلامة " السخاوي " في " المقاصد الحسنة " صـ١٢٢ . و الألباني في سلسلة الصحيح رقم " ٥٩٩ " و قد اعتمد الأئمة هذا الحديث .

و انظر في ذلك إسماعيل العجلوني : كشف الخفا و مزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس جـ١ صـ٢٨٢ . دار التراث د/ت .

(٢) عن مفهوم التجديد لدى السلف . انظر : أمين الخولي : المجددون في الإسلام جـ١ صـ١١- ٢٢ .

(٣) المستشار طارق البشري : الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي في التاريخ المعاصر صـ١٢ . ١٣ . الطبعة الأولى دار الشروق١٩٩٦م . و انظر :

أ- ما كتبه المستشار طارق البشري عن الإصلاح الوافد الضال في كتابه : ماهية المعاصرة صـ٢٧ -٣٠ . الطبعة الأولى الشروق ١٩٩٦م .

ب- د/ يوسف القرضاوي : بينات الحل الإسلامي و شبهات العلمانيين و المتغربين جـ٣ صـ١٢٧ . الطبعة الأولى - مكتبة وهبة ١٩٨٨م .

جـ- د/ محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث و صلته بالاستعمار الغربي صـ٣٢٩ . الطبعة الثانية عشرة . مكتبة وهبة ١٩٩١م .

يتعارض مع روحها ، و مقاصدها ، بهدف حماية المجتمع من الانحـراف . و صيانتـه من الانتكاس) [١] .

و بذلك تترسخ حيوية الإسلام ، و صلاحيته لكـل زمـان و مكـان ، و مسـايرته للتقـدم الإنساني . و بهذا يؤصل الإسلام فكرة الإصلاح و التجديد ، و يجعلها سمة لازمة و علامة مميزة .

و لعل ذلك يفسر لنا حرص كل المصلحـين مـن المسـلمين علـى جعـل الإسـلام المحـور الرئيس لحركاتهم الإصلاحية ، كما يفسر أيضا سـر تفـاعل العـالم الإسـلامى مـع تلـك الحركات التى ظهرت تنادى بـالإصلاح كمـا سـيتضح مـن خـلال الحديـث عـن ثـلاث حركات إصلاحية انبعثت فى العالم الإسلامى لتزيل ما علـق بالأذهـان مـن فهـم سـيئ للإسلام . ولترد المسـلمين إلى كتـاب ربهـم و سـنة نبيهـم ، و لتصـد هجمـات الغـرب الشرسـة على الإسلام و دياره .

---

(١) انظر أ- أمين الخولى : المجددون فى الإسلام جـ١ صـ١٦ - ١٧ .

ب- د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى : حركة التجديد الإسلامى فى العالم العربى الحديث صـ١٥ . معهد البحوث و الدراسات العربية ١٩٧١م .

✪ " إطلالة على الحالة السياسية و الفكرية للعالم الإسلامى قبل الإصلاح "

لقد عاش العالم الإسلامى حقبة تاريخية عظيمة الشأن فـى كـل نواحـى الحيـاة خـلال القرون السبعة التى أعقبت ظهور الإسلام .

إذ بلغ (شأوا بعيدا فى الخلق و العلم و الحضارة ، حتى كاد يكون سيد العالم فى هذا كله)[1] . بل كان بحق أستاذا و معلما لبقية العوالم فى كل مجالات الحياة .

إلا أن العطاء الحضارى للعالم الإسلامى أخذ فى الاضمحلال فـى أواخـر "القـرن الثـانى عشر" الهجرى على وجه التقريب . و ذلك (نتيجة عوامل داخليـة و خارجيـة عاتيـة استنزفت قوى المسلمين العسكرية و الاقتصادية و البشرية . و جعلتهـم فريسـة لأطمـاع الغزاة من الشرق و الغرب)[2] .

فتدهورت لذلك أحوال العالم الإسلامى تدهورا رهيبا عم كل نواحى الحيـاة . و سـأركز على الناحيتين السياسية و الفكرية . لشدة أثرهما . و اتصالهما بقضية الإصلاح و التجديد .

أ- الحالة السياسية :

كانت هناك ثلاث دول تتزعم العالم الإسلامى فـى مشـرقه أثنـاء القـرن " الثـانى عشـر الهجـرى " " الثـامن عشـر الميـلادى " و هـى : (" الدولـة العثمانيـة " . و " الدولـة الصفوية" فى " فارس" . و " الدولة المغولية " فى " الهند ")[3] .

---

(١) أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث صـ٥ . الطبعة الثالثة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٣م .

(٢) انظر :

أ- نفس المرجع السابق صـ٦ .

ب- عباس محمود العقاد : الإسلام فى القرن العشرين " حاضرة و مستقبله " صـ٣٦ ، ٣٧ ، الطبعة الأولى . دار الكتب الحديثة ١٩٥٤م .

جـ- د/ محمد كامل ضاهر : الدعوة الوهابية و أثرها فى الفكر الإسلامى الحديث صـ١٣ ، الطبعة الأولى . دار السلام ١٩٩٣م .

(٣) د/عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر صـ٣١٤ ، مكتبة الآداب ١٩٩٩م .

أولا : الدولة العثمانية : و كانت قد وصلت إلى ذورة مجدها (في القرن " العاشر الهجرى " " السادس عشر الميلادى ") [١] .

و نظرا لأن العثمانيين لم (يكن لهم شئ من الأمر في الدولة . و إنما كان لوزرائهم ولرؤساء الانكشارية . الذين كانوا من العناصر الصقلية و الألبانية . و لم يكونوا من الأتراك . و قد عُرفوا بالجهل و الجمود على ما ألفوه من القديم) [٢]

فإن عوامل الضعف قد نالت الدولة العثمانية . و طالتها و تركتها في حالة سيئة من الضعف و الركود ، يباركها و يغذيها (انشغال السلاطين بالملذات و الشهوات ، و إهمالهم شئون الدولة . و انقطاعهم إلى حياة القصور بما فيها من متعة و مؤامرات في نفس الوقت!) [٣] .

بل إن الدولة العثمانية قد ازداد ضعفها و ظهر بشدة حينما نشبت الحروب بينها من جهة . و " النمسا " و " روسيا" و " بولونيا " و " البندقية " من جهة أخرى " ١١٠٦هـ- ١١١٥هـ " = ١٦٩٥م - ١٧٠٣م " (و قد انتهت هذه الحروب بعقد معاهدة " كارلوفتش " عام " ١١١٠ هـ = ١٦٩٩م " و انتزع بمقتضاها كثير من أملاك" الدولة العثمانية" في" أوربا") [٤] .

وحينئذٍ ظهر ما يسمى عند المؤرخين بـ" المسألة الشرقية " ويُقصد بها : تقسيم ممتلكات "الدولة العثمانية "- التي أطلق عليها الأوربيون اسم " الرجل المريض " - بين الدول الأوربية الطامعة (والاستيلاء على البلاد الإسلامية تحت ستار " الاستعمار السياسي" وإخفاء ماينطوى تحته منْ محاولة القضاء على الدين الإسلامي)

---

(١) انظر د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : تاريخ العرب الحديث و المعاصر ٧-١٠ . دار الكتاب الجامعي د/ت .

(٢) انظر :

أ- د/ فتحية النبراوى . د/ محمد نصر مهنا : تطور الفكر السياسي في الإسلام جـ٢ صـ٢٣٧ ، الطبعة الأولى . دار المعارف ١٩٨٤م .

ب- د/ عبد المتعال الصعيدى : المجددون في الإسلام ٣١٤ .

(٣) د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق صـ٣٨ .

(٤) د/ عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق صـ٣١٤ .

لأنه هو الذى يقف فى سبيل الاستعمار)[١].

ثانيا : الدولة الصفوية فى "فارس" :

(وهى التى تنسب إلى الشيخ "صفى الدين "الأردبيلى" "٦٥٠هـ-٧٣٥هـ = ١٢٥٢م - ١٣٣٤م) وهو الجد الخامس للشاه " إسماعيل الصفوى"
المؤسس الحقيقى للدولة الصفوية التى أُعلن قيامها عام ٩٠٧هـ = ١٥٠٢م)[٢].
والتى امتدت من " الخليج العربى" إلى "بحرقزوين " .

وكان الشاه " إسماعيل الصفوى " قد أعلن أن المذهب الشيعى هو المذهب الرسمى للبلاد واشتد فى فرض ذلك المذهب على الناس . وحرص على توسيع نطاق دولته (الأمر الذى أدى إلى الصدام بين "الدولة الصفوية" . و " الدولة العثمانية" فهُزم الشاه " إسماعيل" واضطربت البلاد بعد موته عام (١١٦٠هـ = ١٧٤٧م)[٣].

ثالثا : الدولة المغولية فى" الهند ":

وقد أنشأها " بابرشاه " و هو من نسل "تيمور لنك" عام (٩٠٩هـ =١٥٠٥م) وخلَفه ملوك أقوياء حتى جاء "القرن الثانى عشر " الهجرى) فاضطرب أمرها . وطمع فيها أمراء الهندوس ، وأرادوا أن يعيدوا "بلاد الهند" إلى حكمهم .وذلك بدعم من "شركة الهند الشرقية الإنكليزية " .

و استنجد بعض وزراء الدولة بـ"نادرشاه "ملك" فارس". فأنجدها وأبقى مَلِكَها "محمد شاه " على الملك تحت حمايته . وكان الأخير ضعيفاً فاسقاً .وخلفه ملوك أشد ضعفاً مما جعل البلاد مرتعاً للحروب الداخلية . الأمر الذى أدّى إلى انقسام "البلاد الهندية"

---

(١) انظر أ ـ د عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق صـ٣١٤

ب ـ د فتحية النبراوى ، د /محمد نصر مهنا : تطور الفكر السياسى فى الإسلام جـ٢ صـ٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) د ـ عبد الرحيم عبد الرحمن : تاريخ العرب الحديث والمعاصر صـ١٢

(٣) انظر أ ـ نفس المرجع السابق صـ١٢، ١٣.

ب ـ د عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق ٣١٥.

ج ـ د/ فتحية النبراوى محمد نصر مهنا : المرجع السابق صـ٢٣٦ـ ٢٤٦ .

إلى ولايات صغيرة ، مما سهل على" شركة الهند الشرقية الانكليزية"الاستيلاء عليها ولاية بعد ولاية ولم تلبث أن انتقلت سيادة هذه الولايات إلى"الحكومة الانجليزية"عام (١٢٧٤هـ = ١٨٥٦م) [١] .

هذه هى حالة العالم الإسلامى السياسية فى المشرق :ضعف داخلى ، وتصارع على الملك وانشغال عن أمور الدولة بشهوات النفس وحظوظها ، وترقب وتأهب واستعداد للانقضاض من الطامعين والغاصبين .

ولم تكن حال العالم الاسلامى السياسية فى" المغرب الاسلامى"أوعلى"حدود العالم الاسلامى' أحسن حالاً من المشرق .

(فقد كانت "تونس " و "الجزائر " تابعتين" للدولة العثمانية" و طبيعى أن ينعكس ضعفها على كل ولاياتها .

و فى " مراكش " قامت دولة " السعديين " " ٩٥٦هـ =١٥٤٩م " و كانت فى غاية الضعف تكاد تقتلها الفتن و المنازعات الداخلية) [٢]

و على حدود العالم الإسلامى كان حال المسلمين يرثى له (سواء على حدود "روسيا القيصرية " أو فى " الصين " ، أو فى " أندونيسيا ". و ما جارها من " جزر الهند الشرقية ") [٣] .

و كان لهذا السوء فى أحوال العالم الإسلامى السياسية أثر كبير فى تدهور الحالة الاقتصادية ، إذ (بارت التجارة بوارا شديدا . و أهملت الزراعة أيّما إهمال) [٤] خاصة بعد اكتشاف طريق "رأس الرجاء الصالح " .

---

(١) انظر د.عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الإسلام صـ٣١٥ - ٣١٦ .

(٢) انظر د/ عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق صـ٣١٦ .

(٣) انظر عباس محمود العقاد : الإسلام فى القرن العشرين صـ٧٨ ، ٧٩ .

(٤) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى جـ١ صـ٢٥٩ ، دار الفكر ، بدون تاريخ .

ب – الحالة الفكرية :

لا ريب أن الحالة السياسية السيئة التى عاشها العالم الإسلامى قد أثرت بصورة كبيرة على حالته الفكرية و الدينية أيضا ، إذ (هبطت النهضات العلمية على إثر الغارات التى تعاورت العالم الإسلامى عامة و الشرق الإسلامى خاصة ، و انصبّت كوارث هذه الغارات خاصة على معاهد العلم و المكتبات . فعصفت بالعشرات منها ، ما بين "بخارى" و " سمرقند " و " مرو " و " بغداد " و " دمشق " و " حمص " و سائر المدن التى اشتهرت بمعاهدها و مكتباتها فى الزمن القديم)[١].

و اكتفى المسلمون باجترار بقايا معارف المسلمين و علومهم الدينية ، و أداروا ظهورهم للعلوم الدنيوية . التى عُنى بها المسلمون الأوائل أيما عناية . و برعوا فيها أيما براعة ! بل إن كثيرا منهم (نظر إلى علوم كـ "الجغرافيا " ، و " الطبيعة " و " الكيمياء " كأنها الكفر البواح أو السحر المزيف)![٢]

واقتصر الأمر على الإفتاء (بجواز تعلم هذه العلوم مع بيان النفع من تعلمها)[٣] !!

وفُرغ الإسلام من جوهره ومضمونه .وفقد روحه . وصار مجرد شعائر ظاهرية لاتمس القلب ولاتحيى الروح . ومزّجه الناس بالخرافة . وأُغلق باب الإجتهاد (حين استقرت المذاهب الأربعة وأصبحت كتبها هى المصادر المقررة ، واعتبر كل خروج عنها بدعة !)(٤) .

وازداد الأمر سوءاً ، حينما التحق بالإسلام عناصر من أصحاب الملل الأخرى الذين أرادوا الكيد للإسلام والدس عليه . وبالتالى نشأت الفرق المختلفة . ووضع أتباع كل فرقة من الأحاديث المكذوبة ما يدعم أهواءهم . وتأثر المسلمون بأخلاق بعض الغزاة ومما

---

(١) انظر أ: عباس محمود العقاد : الإسلام فى القرن العشرين صـ٤١ .

ب– أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث صـ٧ .

(٢) عباس محمود العقاد : المرجع السابق صـ٤٣ .

(٣) أحمد أمين : المرجع السابق ص٧.

(٤) د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى : حركة التجديد الإسلامى فى العالم العربى الحديث ص١١ .

زاد الطين بلّة ، تلك العزلة التى فرضها "العثمانيون" على العالم الإسلامى ، و تركهم البلاد (ترزح تحت نير الجهل المطبق ، و الظلم الفادح ، و الفقر المدقع)[1]

و قد أصاب المستشرق الأمريكى " لوثروب ستودارد "[2] المحز حينما صور بقلمه البليغ حال العالم الإسلامى قبل الإصلاح – و إن كان مبالغا إلى حد كبير – يقول :

(فى القرن " الثامن عشر " كان العالم الإسلامى قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ ، و من التدني و الانحطاط أعمق دركة ، فاربدّ جوّه ، و طبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ، و رجا من أرجائه ، و انتشر فيه فساد الأخلاق و الآداب ، و تلاشى ما كان باقيا من آثار التهذيب العربى ، و استغرقت الأمم الإسلامية فى اتباع الأهواء والشهوات و ماتت الفضيلة فى الناس ، و ساد الجهل ، و انطفأت قبسة العلم الضئيلة .

و انقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد و فوضى و اغتيال ...... و أما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فأُلبست الوحدانية ثوبا من الخرافات و قشور الصوفية وخلت المساجد من أرباب الصلوات ، و غابت عن الناس فضائل القرآن ، فصار يُشرب الخمر فى كل مكان ، و انتشرت الرذائل و هُتكت ستر الحرمات على غير خشية و لا استحياء ....

و على الجملة فقد بُدل المسلمون غير المسلمين ، و هبطوا مهبطا بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض فى ذلك العصر و رأى ما كان يدهى الإسلام لغضب و أطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين) .

و الغريب أن تقهقر العالم الإسلامى قد جاء متزامنا مع نهضة الغرب الأوربى (الذى اكتشف من خلال صراعه المسلح معنا تراثه اليونانى ، فأضاف إليه إبداع حضارتنا فى

---

(١) انظر أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث صـ٦ .

(٢) انظر : حاضر العالم الإسلامى جـ١ صـ٢٥٩ – ٢٦٠ .

المنهج التجريبى ، و إضافاتها فى العلوم الطبيعية فبنى عليهما نهضته الحديثة العملاقة) [١] .

لقد كانت تلك الحقبة المظلمة من عمر الأمة الإسلامية قاسية ، إلا أن ما يخفف من قسوتها بعض الشئ ، أن هناك من الجهود لبعض أعلام الإسلام ما لا ينكر و لا ينسى ، و ذلك مثل جهودهم فى (كتابة التاريخ الذى حفظ للأمة ذاكرتها ، و فى تدوين الموسوعات التى جمعت علوم الحضارة و فنونها ، فحفظتها من الضياع ، و احتضان " الأزهر الشريف " ، و " جامع الزيتونة " و " جامع القرويين " و " الجامع الأموى " و مدارس " بخارى " و " سمرقند " للغة العربية و علومها ، و القرآن و الحديث و علومها) [٢] .

و إن كان ذلك كله أدنى من المستوى الطبيعى اللائق بأمة كأمتنا ، و حضارة كحضارتنا ! كما يهون من قسوة تلك الفترة أنها حملت فى أحشائها بذرة الإصلاح و التجديد ، و نبهت المسلمين إلى ضرورة الإصلاح ، و هكذا تصنع المحن و الابتلاءات بالأمة الإسلامية فتكون الصحوة و اليقظة بعد الغفلة و السكرة .

و قد تجلت تلك الصحوة و هذه اليقظة من خلال ثلاث حركات إصلاحية ، قادت مسيرة الإصلاح فى العالم الإسلامى . أتناولها على النحو التالى :

أولا : حركة الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " و أثرها فى الإصلاح .

ثانيا : حركة الشيخ " محمد بن على السنوسى " و أثرها فى الإصلاح .

ثالثا : حركة الحكيمين " الأفغانى" و " محمد عبده " و أثرها فى الإصلاح .

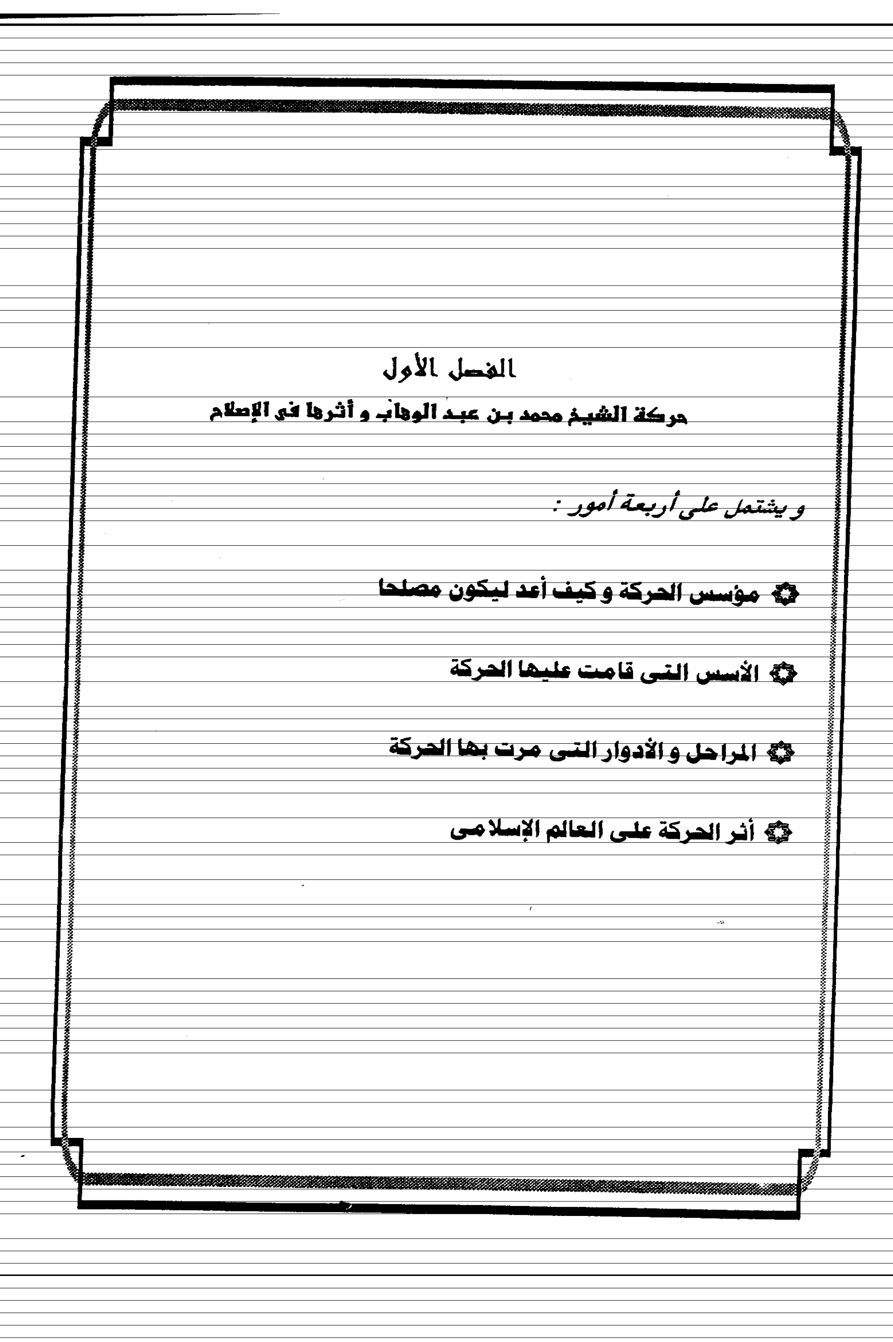
---

(١) انظر أ- د/ محمد عمارة : الطريق إلى اليقظة الإسلامية صـ١٢٩ ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، ١٩٩٠م .

ب- د/ محمد ضياء الدين الريس : تباشير النهضة فى العالم الإسلامى صـ٣٠ ، الطبعة الثالثة ، دار الأنصار د/ت .

جـ- د/ أحمد عبدالرحيم مصطفى : حركة التجديد الإسلامى فى العالم العربى الحديث صـ٢٣ .

(٢) انظر د/ محمد عمارة : الطريق إلى اليقظة الإسلامية صـ١٣٣ ، ١٣٤ .



الفصل الأول

حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب و أثرها في الإصلاح

و يشتمل على أربعة أمور :

- مؤسس الحركة و كيف أعد ليكون مصلحا
- الأسس التي قامت عليها الحركة
- المراحل و الأدوار التي مرت بها الحركة
- أثر الحركة على العالم الإسلامي

الفصل الأول

" حركة الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " و أثرها فى الإصلاح "

تمهيد :

الواقع أن الحركة الإصلاحية التى قادها الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " " ١١١٥هـ – ١٢٠٦هـ = ١٧٠٣م – ١٧٩٢ م " كانت " الصارخ " الذى دوى ليوقظ المؤمنين ، و يدعوهم إلى الإصلاح ، و ينبههم إلى خطورة بعدهم عن الإسلام الصحيح و العقيدة السليمة الخالية من البدع و الخرافات .

و كانت هذه الحركة – بحق – رائدة و قائدة لكل حركات الإصلاح فى العالم الإسلامى

و سأتناول هذه الحركة على النحو التالى :

- مؤسس الحركة و كيف أعد ليكون مصلحا .
- الأسس التى قامت عليها الحركة .
- المراحل و الأدوار التى مرت بها الحركة .
- أثر الحركة على العالم الإسلامى .

" مؤسس الحركة و كيف أعد ليكون مصلحا "

مؤسس الحركة هو الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " ولد في بلدة " العيينة " بـ" نجد " عام " ١١١٥هـ = ١٧٠٣م " و نشأ بها .

حفظ القرآن الكريم و لم يتجاوز عمره عشر سنوات ، إذ كان ذكيا فطنا ، فصيح اللفظ سريع الحفظ ، و كانت نشأته في بيئة علمية صالحة ، فجده و أبوه و عمه كانوا جميعا من علماء " نجد " .

درس الفقه على مذهب الإمام" أحمد بن حنبل " " ١٦٤هـ - ٢٤١هـ = ٧٨٠م - ٨٥٥م " . و اهتم بالاطلاع على كتب " ابن تيمية " " ٦٦٠ هـ -٧٢٨هـ " = ١٢٦٣م -١٣٢٨ م " و تلميذه " ابن القيم " " ٦٩١هـ-٧٥١هـ = ١٢٩٢م - ١٣٥٠م " . فكان لها أثر كبير على حركته الإصلاحية ، و قد طوف الشيخ " محمد بن عبد الوهاب" في كثير من بقاع العالم الإسلامي لطلب العلم ، فرحل إلى " المدينة " و مكث فيها مدة من الزمن ، ثم رحل إلى " البصرة " فأقام فيها أربع سنوات .

ثم رحل إلى "بغداد " و مكث بها خمس سنوات ، ثم رحل إلى " كردستان " فأقام بها سنة ثم رحل إلى " همذان " فأقام بها سنتين ، ثم رحل إلى " أصفهان " و درس فيها فلسفة الإشراق و التصوف ، ثم رحل إلى " قم " بـ " إيران " .

ثم عاد إلى موطنه بعد هذه الرحلة العلمية الطويلة)[1] ، التي كان لها أثر كبير في حياته ، و قد (تهيأ له بها ما لم يتهيأ لغيره ، و كانت سببا في اتساع مداركه و علومه

و هيأت له فرصة الاطلاع على أحوال العالم الإسلامي عن كثب ، و ما آل إليه أمر

---

(١) انظر أ- خير الدين الزركلي : الأعلام جـ٦ صـ٢٥٧ ، الطبعة السادسة ، دار العلم للملايين ، بيروت د/ ت .

ب- أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث صـ١٠ .

جـ- د/ عبد المتعال الصعيدي : المجددون في الإسلام صـ٣٣٠ .

د- د/ فتحية النبراوي ، و د/ محمد نصر مهنا ، تطور الفكر السياسي في الإسلام جـ٢ صـ٣٣٢ - ٣٣٣ .

الإسلام فى حياة المسلمين) [١] .

و عاد الشيخ مُحمّلا بهموم العالم الإسلامى و زاد همه حينما رأى أحوال أهل " نجد " فقد بالغوا فى (تقديس الأولياء وقصْد أضرحتهم ، و تقديم النذور لها ، و التمسح بهـا معتقدين أنها تجلب خيرا أو تدفع شرا ، فهذا قبر " زيد بن الخطاب " و " ضرار بـن الأزور " يتوجه الناس إليهما طمعا فى تفريج كُربهم ،وكشف نُوبهم) [٢] .

و لم تكن حالة نجد سياسيا أحسن منها دينيا ، (فقد كانت نيران الحـروب الأهلية متأججة فى جميع أنحاء " نجد " بين الأمراء ، فهذا أمير فى " الإحساء " و هذا أمير فى " عسير " و لا علاقة بينهما إلا علاقة الخصومة غالبا . و قد راح نتيجة حروبهم المتكررة أعداد كبيرة من المسلمين) [٣] .

ولم يكن هذا شأن (نجد) وحدها ، بل إن ما يقال فى شـأن " نجـد " يقـال أيضـا فـى "مصر " و " حضرموت " و " عدن " و " الحديدة " و " حلب " و " دمشق " و " العراق " و " بلاد الأكراد " و " البحرين " و الإحساء " إلخ) [٤] .

---

(١) انظر أ- د/ أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى و الحضارة الإسلامية جـ٧ صـ١٣٦ ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٧م .

ب- عبد الله بن سعد الرويشد : قادة الفكر الإسلامى صـ٢٠٩ ، ٢١٠ ، الطبعة الثانية ،رابطة الأدب الحديث ، القاهرة ، د/ت

(٢) انظر : أ- أحمد بن حجر بن محمد آل أبو طامى :الشيخ محمد بن عبد الوهاب صـ١٩ ،مطبوعات الجامعة الإسلامية ، المدينة المنور د/ ت .

ب- د/ محمد كامل ضاهر : الدعوة الوهابية و أثرها فى الفكر الإسلامى الحديث صـ٢٦ .

جـ- مسعود الندوى : محمد بن عبد الوهاب : مصلح مظلوم و مفترى عليه صـ٢٩ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٨٤م .

(٣) انظر أ- د/ أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى جـ٧ صـ١٣٥ ، ١٣٦ .

ب- أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث صـ١٩ .

جـ- د- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : تاريخ العرب الحديث و المعاصر صـ٦٠ ، ٦٢ .

(٤) انظر أ- د/ أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى جـ٧ صـ١٣٤ - ١٣٦ .

ب- محمد بن عبد الله السلمان : رشيد رضا و دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب صـ٣٨ : ٤١ ، الطبعة الأولى ، مكتبة المعلا ، الكويت ١٩٨٨م .

جـ- أحمد بن حجر آل أبو طامى : الشيخ محمد بن عبد الوهاب صـ١٩ .

و هكذا تضافرت مجموعة عوامل لتجعل من الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " واحداً من أولئك المصلحين الذين أرادوا بعث الإسلام فى نفوس المسلمين ، و إزالة ما اعتراه من بدع و خرافات ، فالبيت الذى نشأ فيه بيت علم و فقه ، و شخصيته الأخاذة و ما تحلّت به من فطنة ، و كثرة ترحاله لطلب العلم ، و تتلمذه على فقه الإمام " أحمد بن حنبل " و تأثره بكتب " ابن تيمية " و " ابن القيم " و أفكارهما ، ثم البيئة التى نشأ بها ، و أعنى بها إقليم " نجد " حيث انبثق نور الإسلام .

و البيئة الصحراوية (كانت دائما أصلح البيئات لظهور الدعوات الإصلاحية . وخاصة تلك التى تدعو إلى دين جديد ، أو التى تقوم على أساس من الدين ، فهذه البيئة تكون عادة بعيدة عن مؤثرات المدنية ، و عن حياة الحضر التى أفسدها الانغماس فى الترف و سكان هذه البيئة يكونون عادة لبساطتهم و بداوتهم أكثر تقبلا لمثل هذه الدعوات الإصلاحية التى تدعو إلى المثل العليا)[١] .

لقد تضافرت تلك العوامل فجعلت من الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " زعيما لحركة إصلاحية كان لها أعظم الأثر على العالم الإسلامى كله .

(١) د/ جمال الدين الشيال : محاضرات عن الحركات الإصلاحية جـ١ ص٥٥، ٥٦ ، معهد الدراسات العربية العالمية ١٩٥٧ م .

"الأسس التى قامت عليها الحركة"

مر بنا حين الحديث عن أحوال العالم الإسلامى الفكرية و الدينية ، كيف انحرف المسلمون عن جوهر الإسلام ، حتى كادت البدع التى تعلق بها الكثيرون أن تطمس أعظم ما تتميز به عقيدة الإسلام النقية .

و أتصور أنه لو كان أى مصلح مكان الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " و فى عصره ، و رأى ما شاب حياة المسلمين من ألوان البدع و الخرافات التى تسئ إلى عقيدة الإسلام لما وَسِعه إلا أن يجعل قضية إصلاح العقيدة شغله الشاغل .

و الحق أن الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " لم يأت بدين جديد ، و لم تكن دعوته مذهبا حديثا ، أو بدعة دينية ، بل كانت أصدق تعبير عن عقيدة الإسلام .

لقد أدرك أن (ضعف المسلمين و سقوط نفسيتهم ليس له سبب إلا ضعف العقيدة . فقد كانت العقيدة الإسلامية فى أول عهدها نقية ، و كانت " لا إله إلا الله " تعنى السمو بالنفس عن الأحجار و الأوثان ، و عدم الخوف من استنكار المنكر ، و الأمر بالمعروف مهما تبع ذلك من عذاب ، بهذه العقيدة وحدها غزوا ، و فتحوا ، و حكموا ، ثم ماذا؟! .

ثم لم يتغير شئ إلا فى العقيدة ، فانحرف المسلمون عنها ، و عرفت حياتهم ألوانا من البدع و الخرافات التى أساءوا بها إلى عقيدة الإسلام)[1] .

و يمكن القول بأن أهم مسألة شغلت الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " و ملأت عليه قلبه و عقله ، كانت مسألة إصلاح العقيدة ، و إعادتها إلى نقائها و صفائها ، و هذا ما يبدو من خلال مؤلفاته ، و التى يأتى على قائمتها كتاب " التوحيد الذى هو حق الله على العبيد " و قد جمع فيه الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " آيات و أحاديث فى بيان حقيقة التوحيد ، و الترغيب فيه ، و بيان الشرك و التحذير منه .

---

(١) انظر أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث صـ١٦ - ١٧ .

و يبدو أنه نظراً لتركيز الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " على قضية التوحيد باعتبارها أهم أركان الإسلام ، فقد سُمى أتباعه ،بـ" الموحدين " و هى تسمية لا تعنى أن غيرهم من المسلمين ليس على التوحيد ، بل تنطبق هذه التسمية على كل مسلم يقر لله عز و جل بالوحدانية ، و لرسوله ﷺ بالبلاغ ، إلا أنهم عُرفوا بذلك ، كما عُرفوا أيضا بالسلفيين ✿ لدعوتهم إلى العودة إلى منهج السلف فى فهم الإسلام .

و أما لقب " الوهابية " (فقد أطلقه عليهم خصومهم ، و استعمله الأوربيون ثم جرى على الألسنة)[1] .

لقد جعل الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " أساس حركته الإصلاحية ، إصلاح العقيدة و تنقيتها من البدع و الخرافات ، وصيانة عقيدة التوحيد – ركن الإسلام الركين – مما يشوبها و يكدر صفوها من الأمور التى تتنافى و التوحيد منطلقا فى ذلك من قول الله عز و جل :

[قل إن صلاتى ونسكى و محياى و مماتى لله رب العالمين لا شريك له و بذلك أمرت و أنا أول المسلمين][2] .

ولهذا ركز الشيخ محمد بن عبد الوهاب على عدة أمور :

أولاً: أمر الشفاعة :

وقد انطلق الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" فى تفسيره للشفاعة من قضية هامة مؤداها : أن الله أعطى الإنسان الإرادة والفهم والحياة . ورتّب عليه مسئولية مطلقة عن أعماله [فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره][3] .

✿ نفس المرجع السابق صـ١٠ .

(١) انظر أ- د/ أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى جـ٧ صـ١٤٣ .

ب- د/ محمد كامل ضاهر : الدعوة الوهابية و أثرها على الفكر الإسلامى الحديث صـ٢٨ .

جـ- أحمد بن حجر آل أبو طامى : الشيخ محمد بن عبد الوهاب صـ٥٠ .

(٢) سورة الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨ .

والشيخ بذلك (يعلن رفضه للجبرية . ويؤكد مسئولية الإنسان عن أعماله) [١].

وقد قسم الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " الشفاعة إلى قسمين :

شفاعة منفية وأخرى مثبتة .

أما الشفاعة المنفية : فى القرآن الكريم فهى الشفاعة للكافر والمشرك [فما تنفعهم شفاعة الشافعين] [٢].

وأما الشفاعة المثبتة : فهى لأهل التوحيد ، وهى متوقفة على إذن الله ورضاه [من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه] [٣]. [ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون] [٤].

(هذه الشفاعة لاتطلب إلامن الله . وهى ثابتة للأنبياء والملائكة والأولياء) [٥].

ثانيا :. أمر زيارة القبور والبناء عليها وكسوتها وإسراجها .

و كان ذلك منتشراً فى كثير من بقاع العالم الإسلامى . و لهذا اشتد الخلاف بين الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " و مخالفيه .

و حينما نادى الشيخ بتحريم بناء المساجد على القبور . و كسوتها ، و إسراجها . لم يكن فى ذلك مبتدعا . و إنما كان متبعا لرسول الله ﷺ الذى قال :(لعن الله اليهود و النصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) [٦] ، و لأن ذلك قد يكون ذريعة إلى تعظيم أصحاب القبور .

---

(١) د/ محمد كامل ضاهر : الدعوة الوهابية و أثرها فى الفكر الإسلامى الحديث صـ١٠٠ .

(٢) سورة المدثر : ٤٨ .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٤) سورة الأنبياء : ٢٨ .

(٥) انظر الشيخ محمد بن عبد الوهاب : التوحيد الذى هو حق الله على العبيد صـ٣٤ – ٣٦ ، وزارة الشئون الإسلامية و الأوقاف ١٩٩٨م .

(٦) الحديث متفق عليه ، أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز باب : ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور رقم ١٣٣٠ . و أخرجه مسلم فى باب النهى عن بناء المساجد على القبور رقم ٥٣٠ ، و الأحاديث فى هذا الباب كثيرة جدا .

و أما زيارة القبور ، فالشيخ " محمد بن عبد الوهاب " (يقر منهـا مـا قصد بـه الزائر تذكّر الآخرة ، و الترحّم على الميت ، و الدعاء له . و لا يقر منهـا مـا قصد بـه الزائر دعاء الله و سؤاله عند القبر ، فضلا عن دعاء صاحب القبر و النذر له أو الطواف حـول القبر)[١].

و لما كانت هذه الأمور ذريعة إلى الشرك ، فإن الشيخ " محمد بن عبد الوهـاب " أمـر بهدم مجموعة من القباب التي أقيمت في المساجد)[٢].

ثالثا : البدع الدينية :

لقد انتشرت بعض البدع بين المسلمين نتيجة احتكاكهم بغيرهم من الشعوب . و أصبـح لها طقوس و تقاليد تختلف باختلاف البلدان .

و قد حرص الشيخ على إنكار هذه البدع المحدثة في الدين (فأنكر علـى مـن يحتفلـون بالمولد النبوي . و أنكر ما كان يفعله الأتـراك مـن بدعـة المحمـل . و هـي عبـارة عـن إرسال كسوة الكعبة على جمل منصب عليه هودج . و مزيّن بأنواع الزينة . يُجعل فـي مقدمة ركب قافلة الحج . مشيّعا بالطبول حتى توهّـم العامـة أن أمـر " المحمـل " هـذا جزء من فريضة الحج ، و بالغ البعض في تعظيمه حتى كانوا يتمسحون به و يقبلونه ! !.

و أنكر الشيخ أيضا بدع الصوفية و منكراتهم لمخالفتها لهدى الرسول ﷺ)[٣].

---

(١) انظر أ- الشيخ محمد بن عبد الوهاب : المرجع السابق صـ٤١ – ٤٥ .
ب- الأستاذ مسعود الندوى : محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم و مفترى عليه صـ١٥٩ .

(٢) انظر أ- د/ عبد الكريم الخطيب : الدعوة الوهابية أو محمد بن عبد الوهاب ، دار الشروق د/ ت .
ب- محمد بن عبدا الله السلمان : رشيد رضا و دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب صـ٧٣ .

(٣) انظر أ- أحمد بن حجر آل أبو طامى : الشيخ محمد بن عبد الوهاب صـ٤٧ .
ب- د/ أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى جـ٧ صـ١٤٢ – ١٤٣ .
جـ- د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى : حركة التجديد الإسلامى فى العالم العربى الحديث صـ٣٠
د- د/ محمد كامل ضاهر : الدعوة الوهابية و أثرها فى الفكر الإسلامى الحديث صـ١٥٥ – ١٦٤ .

رابعا : تحقيق واجب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر :

و يُعتبر هذا الأمر من أهم الأسس و المبادئ التى ميّزت حركة الشيخ " محمد بن عبد الوهاب" و هو مبدأ أصّله القرآن العظيم . وسنّة الرسول الكريم ﷺ ، و طبقته بعض المجتمعات الإسلامية من خلال وظيفة " المحتسب "

(و قد نجحت الحركة فى إصلاح كثير من المفاسد فى المجتمع الإسلامى حينما تبنّت هذا المبدأ الهام و طبقته و رعته)[١] .

خامسا : وجوب الاجتهاد و محاربة التقليد :

لقد كان سدّ باب الاجتهاد نكبة على الأمة الإسلامية . أضاعت شخصيتها و جعلتها جامدة مقلدة حتى انحط شأنها و تفرقت شيعا .

و حينئذ نادى الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " بضرورة الاجتهاد . و أنكر على الذين يقلدون أحد الأئمة الأربعة ، الأمر الذى أدى إلى التعصب المذهبى . و تفريق شمل الأمة الواحدة . على الرغم من أن الأئمة أنفسهم لم يتعصبوا لآرائهم . و لم يدّع واحد منهم صحة رأيه . و خطأ آراء الآخرين .

فها هو ذا الإمام " أبو حنيفة " يقول : (هذا رأيى فمن جاء برأى خير منه قبلناه .

و الإمام " مالك " يقول : إنما أنا بشر أصيب وأخطئ فاعرضوا قولى على الكتاب و السنة .

و الإمام الشافعى يقول : إذا صح الحديث فهو مذهبى . و اضربوا بقولى عرض الحائط

و الإمام أحمد بن حنبل . يقول : من ضِيق علم العالم أن يقلد فى اعتقاده رجلا .

و يقول أيضا : لا تقلدنى و لا تقلد مالكا و لا الشافعى . و لا الثورى و خذ من حيث أخذوا)[٢] .

---

(١) انظر أ- د/ محمد كامل ضاهر : الدعوة الوهابية صـ١٦٥ . ١٦٦ .

ب- محمد بن عبد الله السلمان : رشيد رضا و دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، صـ٨٢ - ٨٥ .

(٢) د/ محمد كامل ضاهر : المرجع السابق صـ٧٩ .

و على نفس النهج سار الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " فهو و إن كان حنبلي المذهب إلا أنه لم يقلد الإمام " أحمد " في كل المسائل ، بل (خالفه في بعض المسائل الفقهية و لم يقلد الإمام " ابن تيمية " و " ابن القيم " في كل المسائل ، رغم تأثره الشديد بآرائهما ، بل إنه خالفهما في عدة مسائل) [(١)].

و بإجمال : لقد حرص الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " من خلال منهجه الإصلاحي على تنقية عقيدة التوحيد من كل شائبة ، و إفراد الله عز و جل بكل أنواع العبادة . (فالدعاء و الاستغاثة و ذبح القربان و الاستعاذة ، و النذر و الخوف و الرجاء و التوكل و الإنابة و المحبة و الخشية و الرغبة و الرهبة و التأله و الركوع و السجود و التوسل ، كل هذه العبادات لا تكون إلا لله وحده ، و من صَرَف شيئا من هذه الأمور لغير الله تعالى فقد أشرك به غيره) [(٢)].

لقد كانت حركة الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " (إصلاحية خالصة بحتة ، غرضها إصلاح الخرق ، و نسخ الشبهات ، و إبطال الأوهام ، و نقض التفاسير المختلفة ، و التعاليق المتضاربة ، التي وضعها أربابها في عصور الضعف ، و دحض البدع ، و عبادة الأولياء ، و على الجملة هي الرجوع إلى الإسلام ، و الأخذ به على أوله و أصله و لبابه و جوهره ، و الاستمساك بالوحدانية التي أوحى الله بها صافية نقية ، والائتمام بالقرآن مجردا ، و أما ما سوى ذلك فباطل و ليس في شئ من الإسلام) [(٣)].

---

(١) انظر أ- د/ محمد كامل ضاهر : الدعوة الوهابية و أثرها في الفكر الإسلامي الحديث صـ٨١ .

ب- محمد بن عبد الله السلمان ، رشيد رضا و دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب صـ٩٧ .

(٢) انظر أ- الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة جـ١ صـ١٦٧ - ١٧٠ ، الطبعة الثالثة ، دار الندوة العالمية ١٤١٨هـ .

ب- د/ محمد البهي : الفكر الإسلامي في تطوره صـ٨٢ ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، ١٩٧١م .

(٣) انظر : لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي جـ١ صـ٢٦٤ .

✿ " المراحل و الأدوار التى مرت بها الحركة "

لقد مرت حركة الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " بعدة مراحل كان لها أثر كبير فى صقلها ، و إبرازها للعالم الإسلامى فى صورة حركة إصلاحية لها دورها الرائد فى إيقاظ الأمة و بعثها من جديد ، و نستطيع أن نرتب تلك المراحل و الأدوار ، و نستقيها من خلال تسلسل حياة الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " و ذلك على النحو التالى :

المرحلة الأولى : مرحلة الدعوة .

المرحلة الثانية : مرحلة الدولة .

المرحلة الثالثة : مرحلة الجهاد لنشر الدعوة و تثبيت أركان الدولة .

أولا: مرحلة الدعوة :

و تبدأ هذه المرحلة حينما استقر المقام بالشيخ " محمد بن عبد الوهاب " فى بلدة "حريملا" بعد رحلة طويلة إلى مراكز العلم فى البلاد الإسلامية .

و فى " حريملا " شرع الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " فى دعوة الناس إلى التوحيد الخالص ، و أنكر عليهم انغماسهم فى كثير من الأمور المنافية للتوحيد ، معززا كلامه بآى القرآن الكريم ، و أقوال الرسول و أفعاله ، و سيرة أصحابه .

و ظل الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " مقيما على دعوة أهل " حريملا " إلى أن استبان له أنها لن تصلح منطلقا لدعوته ، و ذلك (بسبب انقسام الناس عليه ، و حب الزعامة بين قبائلها ، و ضيقهم ذرعا بالشيخ و دعوته التى تحول بينهم و بين ما ألفوه حتى وصل الأمر بهم إلى حد التفكير فى قتل الشيخ)[1].

و عندئذ عزم الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " على العودة إلى مسقط رأسه " العيينة" عام " ١١٥٧ هـ " و تلقاه حاكمها " عثمان بن حمد بن معمر " تلقيا حسنا ، و فتح صدره لدعوته ، و عاهده على الحماية و النصرة ، و خطت الحركة خطوة عملية على

---

(١) أحمد بن حجر آل طامى : الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية و دعوته الإصلاحية صـ٢٢ .

طريق الإصلاح (حينما هدم الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " بنفسه القبة المقامة على قبر " زيد بن الخطاب " و حينما قام بقطع الأشجار التى يُتبرك بها ، و حين أقام حد الرجم على امرأة أقرت بالزنا مِرارا) [١].

و برغم أن هذه الأمور قد ثبّتت أركان الدعوة ، إلا أنها فى نفس الوقت – أثارت حسد بعض الأمراء و غيظهم على صاحبها ، و نصيره أمير العيينة (فهدد أمير " الإحساء" الذى كان ذا نفوذ على حاكم " العيينة " هدد الأخيرَ بقطع راتبه السنوى إن لم يُخرج هذا الرجل من بلده) [٢].

و أُخرج الشيخ من " العيينة " مرغما ليهيئ الله لدعوته مكانا أفضل و أميرا أقوى و تنتقل الحركة إلى مرحلة أخرى .

ثانيا : مرحلة الدولة :

و تبدأ هذه المرحلة حينما وطئت أقدام الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " أرض " الدرعية" إذ أحسن حاكمها " محمد بن سعود " استقباله ووعده أن يَمنعه مما يمنع منه نساءه و أولاده ، و تعاهدا على نشر مبادئ الدعوة فى اتفاق تاريخى عرف بـ" اتفاق الدرعية " " ١١٥٧ هـ " الذى كان بحق نقطة تحول هامة فى تاريخ الحركة ، بل و فى تاريخ الإصلاح للعالم الإسلامى كله) [٣].

و ظل الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " فى " الدرعية " ينشر دعوته . و كان يرسل رسائله و مناظراته إلى أهل البلدان المجاورة و رؤسائهم و علمائهم ، فانتشرت الدعوة

---

(١) انظر أ– أحمد بن حجر آل أبو طامى : الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية و دعوته الإصلاحية صـ٢٣ .

ب– د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : تاريخ العرب الحديث و المعاصر صـ٧٤ – ٧٥ .

(٢) انظر أ– سنت جون فيلبى : تاريخ نجد و دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية صـ٥٦ – ٥٩ ترجمة عمر الديسراوى الطبعة الأولى – مكتبة مدبولى ١٩٩٤م .

ب– عباس محمود العقاد : الإسلام فى القرن العشرين صـ١٠٣ – ١٠٤ .

جـ– د/ أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى ، جـ٧ صـ١٣٧ – ١٣٩ .

(٣) محمد بن عبد الله السلمان : الشيخ : رشيد رضا ، و دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب صـ٤٧ .

في بلدان " نجد " و أصبحت " الدرعية " (دار هجرة – إن جاز التعبير – يؤمُّها الناس) [١].

(و بهذا دخلت الحركة في ظل حماية مادية ، و شوكة حربية تؤمن بما يؤمن به صاحب الدعوة ، و تبذل في سبيلها المهَج و الأرواح ، و تدفع العدوان بالعدوان) [٢].
ونتيجة لحسد بعض الأمراء ، و معارضتهم دعوة الشيخ (أعلن البعض تكفيره ، و استباحة دمه ، و قامت المعارك بين المؤيدين و المعارضين) [٣].

و دخلت الحركة مرحلة جديدة من مراحل حياتها ، و فُرض عليها حينئذ أن تدافع عن كيانها ، و حقها في عرض منهجها على الناس .

ثالثا : مرحلة الجهاد لنشر الدعوة و تثبيت أركان الدولة :

لقد نجحت الحركة في الانطلاق خارج حدود " نجد " التي أضحت مركزا لها .
(ففي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، تمكنت الحركة من ضم " الإحساء " و" الرياض" و " مكة " و " المدينة " و بعض مدن " الخليج " . بل إن أتباع الحركة وجهوا أنظارهم نحو " سوريا " و " العراق ") [٤].

و لا شك أن ذلك التوسع لم يَخْلُ من المواجهات العسكرية العنيفة ، الأمر الذي أحدث هزة قوية في الأوساط العثمانية .و خاصة بعد استيلاء أنصار الحركة على الحرمين

---

(١) د/ عبد الحليم الجندي : الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي صـ١٠٠ ، دار المعارف د/ ت .

(٢) د/ عبد الكريم الخطيب : الدعوة الوهابية ص٦٦ .

(٣) انظر أ- باول شمتز : الإسلام قوة الغد العالمية صـ١١٩ – ١٢٠ من الترجمة العربية للدكتور محمد شامة ، مكتبة وهبة د/ت .

ب- نبيه زكريا عبد ربه : الحركات الإسلامية ضد الصهيونية و الصليبية و الشيوعيةصـ٢٢ ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ١٩٨٦م .

جـ- أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث صـ٢٠ .

(٤) انظر أ-د/ محمد عمارة : الطريق إلى اليقظة الإسلامية صـ١٦٣ .

ب- لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي جـ١ صـ٢٦٢ .

الشريفين .

و ساور القلق الدول الأوربية التى (خشيت على أطماعها فى العالم الإسلامى حينما سمعت بقوة الحركة ، و انتشارها ، فأخذت تلك الدول تضغط على السلطنة العثمانية لكى تقضى على هذه الحركة)[(١)].

و حينئذ استعمل السلطان العثمانى كل الوسائل للقضاء على الحركة ، فأوعز إلى العلماء (بالتأليف ضد هذه الحركة ، و اتهامها بالكفر و المروق من الدين)[(٢)].

و أمر واليه فى " بغداد " بأن يشن هجوما عسكريا على الحركة ، لكنه فشل ، وكذلك حاول والى " دمشق " ففشل هو الآخر .

و عندئذ لجأ السلطان إلى واليه على " مصر " " محمد على باشا " ليقوم بهذه المهمة (فأرسل عدة حملات بقيادة ابنه " طوسون " ثم بقيادته ، و أخيرا أرسل حملة بقيادة ابنه (إبراهيم باشا " عام "١٢٣١هـ=١٨١٦ م " و تم له القضاء على تلك الحركة المتمثلة فى دولة)[(٣)].

و لئن كانت الدولة قد هزمت ، فإن الدعوة و المبادئ (لم تمت بهزيمة دولتها ، فلقد عاشت بل و عادت فى مرحلة تالية فأقامت دولتها من جديد !)[(٤)].

و رغم كل تلك المعوقات التى لقيتها حركة الشيخ "محمد عبد الوهاب"الإصلاحية ، فإن دعوتها آتت أكلها أضعافاً مضاعفة . وانتشرت مبادؤها فى أرجاء العالم الإسلامى وكان لها أكبر الأثر فى إيقاظ العالمَ الإسلامى كما ظهر أثرها أيضاً فى كثير من الحركات الإصلاحية الإسلامية التى ظهرت فيما بعد .

---

(١) أنور الجندى : محاولة لبناء منهج إسلامى متكامل جـ٣ صـ٢٠٩ - دار الأنصار د/ت .

(٢) أحمد بن حجر آل طامى : الشيخ محمد بن عبد الوهاب صـ٤٩ .

(٣) انظر أ- لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى جـ٤ صـ١٦٥ ، ١٦٦ .

ب- د/ جمال الدين الشيال : محاضرات عن الحركات الإصلاحية جـ١ صـ٦٢ ، ٦٣ .

جـ- د/ فتحية النبراوى ، د/ محمد نصر مهنا : تطور الفكر السياسى فى الإسلام جـ٢ صـ٣٣٧ .

(٤) د/محمد عمارة :تيارات الفكر الإسلامى صـ٢٥٧ - دار الشروق ١٩٩١م .

أثر الحركة على العالم الإسلامى

لقد وجه المؤرخون بعض النقد لحركة الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " و كان نقدهم موضوعيا ، فى الوقت الذى اشتط البعض الآخر فى نقده ، و كان قاسيا على الحركة و أتباعها . و الحق أن الحركة لا تخلو من سلبيات و مآخذ :

أ- مآخذ على حركة الشيخ "محمد بن عبد الوهاب ":

أولا: لقد توسّعت الحركة فى أمر البدع (حتى إن بعض أتباعها توهموا أموراً لا صلة لها بالعبادات بدعا) (١).

ثانيا : استجلبت الحركة غضب كثيرمن المسلمين ، حين اعتقد أتباعها (أن رأيهم هو الصواب الذى لا يقبل الخطأ ، و رأى غيرهم الخطأ الذى لا يقبل التصويب) (٢).

و بناء على ذلك لم تكن الحركة متسامحة مع مخالفيها فى كثيرمن الأحيان (بل إنها غالت فى فرض آرائها ، حتى وصل بها الأمر فى بعض الأحيان إلى تكفير المخالفين فى الرأى) (٣).

و هذا بلا ريب لا يتوافق و أدب الاختلاف الذى أرسى قواعده الإسلام .

ثالثا : كما أُخذ على الحركة أيضا أنها (لم تمس الحياة العقلية ، و الاجتماعية للعالم الإسلامى . و لم تعمل على ترقيتها . إلا فى دائرة التعليم الدينى ، و لم تتفاعل مع مشكلات المدنية الحديثة ، و أدارت ظهرها للمخترعات العلمية ، و قصرت عن مجاراة

---

(١) د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى : حركة التجديد الإسلامى فى العالم العربى الحديث صـ٣١ .

(٢) د/ محمد عبد العزيز داود : الجمعيات الإسلامية فى مصر و دورها فى نشر الدعوة الإسلامية صـ٤٩ . الطبعة الأولى . الزهراء للإعلام العربى ١٩٩٢م .

(٣) انظر : أ- د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى ، المرجع السابق : نفس المكان .

ب- د/ محمد البهى : الفكر الإسلامى فى تطوره صـ٨٧ .

جـ- د/ جمال الدين الشيال : محاضرات عن الحركات الإصلاحية ، جـ١ صـ٦٤ .

النهضة فى مجال الصناعة و التسليح و الحضارة)[١].

و ظل موقفها كذلك إلى أن جاء (عهد الملك " عبد العزيز آل سعود " الذى تغلب على هذا الاتجاه خطوة خطوة ، فأخذت مظاهر المدنية تعرف الطريق إلى الجزيرة العربية)[٢]

رابعا :كما أُخذ على الحركة أيضا ، إغفالها لسنة هامة من سنن الله تعالى فى التغيير ألا و هى سنة التدرج ، فمع عنفها فى التوجيه ، لم تقدّر الحركة أن فى الناس (جذوراً عميقة من موروثات و تقاليد لا يمكن أن ينفصل عنها المرء بين يوم و ليلة)[٣] و أرادت حمل الناس على الحق الذى تدعو إليه جملة و بلا مرحلية .
و لا شك أن ذلك الأسلوب الذى اتخذته الحركة قد أوغر صدور كثيرمن المسلمين عليها

خامسا :كما أخذ على الحركة أيضا محاولة انفصالها عن العالم الإسلامى ، و ذلك بخروجها على" الخلافة العثمانية "، التى كانت - رغم مرضها - رمزاً على وحدة العالم الإسلامى . فنتج عن ذلك الانفصال (مزيد من الضعف للخلافة الإسلامية)[٤] ، فى وقت كان العالم الإسلامى أحوج ما يكون إلى الوحدة .

---

(١) انظر أ- أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث صـ٢٢ .
ب- عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الإسلام صـ٣٣١ .
جـ- د/ محمد البهى : الفكر الإسلامى فى تطوره صـ٨٨ .
(٢) د/ أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى جـ٧ صـ١٥٨ .
(٣) د/ عبد الكريم الخطيب : الدعوة الوهابية صـ٩٤ .
(٤) انظر أ- د/ جمال الدين الشيال : محاضرات عن الحركات الإصلاحية جـ١ صـ٩٣ .
ب- د/ عبد الكريم الخطيب ، المرجع السابق صـ١٠٦ .

ب- إيجابيات حركة الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" :

إنه و برغم تلك المآخذ على حركة الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" لا يمكن أن نُغفل الأثر الهائل الذى أحدثته الحركة فى "العالم الإسلامى"، أو نهمل دورها .

أولا : لقد خلقت الحركة فى المجتمع الإسلامى (وعيا كان ضائعا ، و نبّهت إحساسا كان خامدا ، و فتحت بصائر كانت مغلقة) [١] .

ثانيا :كانت الحركة صوتا مدويا أيقظ الأمة الإسلامية بعد رقاد طويل و ركود مُخيِّم على القلوب و العقول فأعطت أتم و أكمل صورة للإسلام (على جبهة العقائد و الشعائر الدينية ، هى صورة الإسلام الأول فى عصر صدر الإسلام ، فى مقابل تلك الصورة المشوهة التى قدمها "العثمانيون" للإسلام المثقل بالبدع و الخرافات) [٢] .

ثالثا : أعادت الحركة للتوحيد الإسلامى صفاءه ونقاءه ، وحررته من الآراء الدخيلة (فأعادت بذلك روح التميز والإستقلال إلى البناء الحضارى لأمتنا على جبهة العقائد والشعائر الدينية) [٣] .

و لا شك أن روح التميز تلك تعتبر حجر الأساس لأى إصلاح فى العالم الإسلامى . ثم إن الحركة وجهت أفكار الأمة الإسلامية إلى البحث ومناقشة الآراء ، وقرع الحجة بالحجة، كما حملت الناس على النظر فى الكتاب الكريم وسنة الرسول ﷺ [٤] .
و ذلك بفتحها باب الإجتهاد والثورة على التقليد .

كما قاومت الحركة محاولات إضعاف "العالم الإسلامى" من خلال تلك التعاليم (المستندة

---

(١) د/ عبد الكريم الخطيب : الدعوة الوهابية صـ١٢٢.

(٢) د/ محمد عمارة : الطريق إلى اليقظة الإسلامية صـ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٣) أنظر أ- د/ محمد عمارة : السابق نفسه .

ب: أنور الجندى :محاولة لبناء منهج إسلامى متكامل جـ٣ صـ٢٠٩-٢١٠ .

(٤) أنظر أ : عبد ا لله بن سعد الرويشد : قادة الفكر الإسلامى صـ٢٢٠-٢٢١ .

ب :محمد البهى :الفكر الإسلامى فى تطوره ص٨٥-٨٦ .

إلى فكر الباطنية ، وغلاة الصوفية) [١] ورغم انشغالها بالانحرافات الداخلية ، فإنها لم تغفل مقاومة الهجوم الخارجي (الذى بدت طلائعه في ضعف الخلافة العثمانية ، تحت الضغط السياسى " الروسى " " القيصرى " المسيحى ، والإنجليزى والأوربى بوجه عام) [٢].

فدعت الحركة إلى ضرورة القيام بواجب الجهاد ، ونجحت فى إقامة دولة للإسلام تنفذ شريعته فى كل البلاد التى تخضع لها .

إضافة إلى كل ذلك ، فإن الحركة (لم تنطو على نفسها داخل صحراء "الجزيرة العربية" بل امتد تأثيرها فى شرق العالم وغربه) [٣] وما فتىء أتباع الحركة يبثون روح الحركة الدينية فى مئات الألوف من الحجيج الوافدين كل عام إلى " مكة " و " المدينة " .

وبذلك استطاع أتباع الحركة (أن يبذروا بذوراً تلاها الاختمار الشديد للثورة الدينية فى كل فج إسلامى ، حتى وصلت دعوتهم إلى أقصى المعمورة) [٤] .

ونتيجة لذلك ظهرت فى العالم الإسلامى حركات إصلاحية و تجديدية فى أواخر القرن " الثامن عشر الميلادى " وفى القرن " التاسع عشر الميلادى " كان أكثرها متأثراً بحركة الشيخ "محمد بن عبد الوهاب " سائراً على دربها ومقتفياً أثرها .

وقد بدأت بعض هذه الحركات من حيث انتهى الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" مع ملاحظة أن التحديات قد اختلفت عن ذى قبل . و كذلك مراعاة اختلاف البيئات . فقد تأثر (" اليمن " بحركة الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " ووجد مجموعة من العلماء تفاعلوا مع الحركة و تأثروا بها .

---

(١) د/ محمد البهى : الفكر الإسلامى فى تطوره صـ٦٥ .

(٢) د/محمد البهى : المرجع السابق نفسه .

(٣) باول شمتز : الإسلام قوة الغد العالمية صـ ١٢٣ .

(٤) انظر : أ- لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامى جـ١ صـ ٢٦٣ .

ب- أنور الجندى : محاولة لبناء منهج إسلامى متكامل جـ٣ صـ٢١٢ .

من أبرزهم الشيخ " محمد بن على الشوكانى " " ١١٧٢هـ - ١٢٥٠هـ " ، و فى العراق تأثر بفكر الحركة الشيخ "محمود شكرى الألوسى " "١٢٧٣هـ - ١٣٤٢هـ " و فى " الهند " و " باكستان " انتشرت الدعوة ، و أيدها السيد " أحمد خان " ١٢٧٣هـ - ١٣١٦هـ"

كما كان للحركة أثر فى " أندونيسيا " و فى إقليم " التركستان " . و فى " ليبيا " ظهر أثر الحركة فى الشيخ " محمد بن على السنوسى " " ١٢٠٢هـ - ١٢٧٦هـ .
و فى" السودان " ظهر أثرها فى الحركة المهدية ، و فى " غرب أفريقيه " تبنى أفكارها الداعية " عثمان دانفوديو " و فى " مصر " قامت حركة إصلاحية على أسس حركة الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " على يد عالمين من قادة الفكر الإسلامى فى العصر الحديث وهما السيد"جمال الدين الأفغانى " ، " والشيخ محمد عبده .") [1]

وبعد فإن لم تكن حركة الشيخ "محمد بن عبد الوهاب"(قد ولدت معظم الدعوات التى جاءت بعدها فلا أقل من أن تكون قد مهّدت لها . ودعت إليها . وقوّت عزائم القائمين بها) [2] .

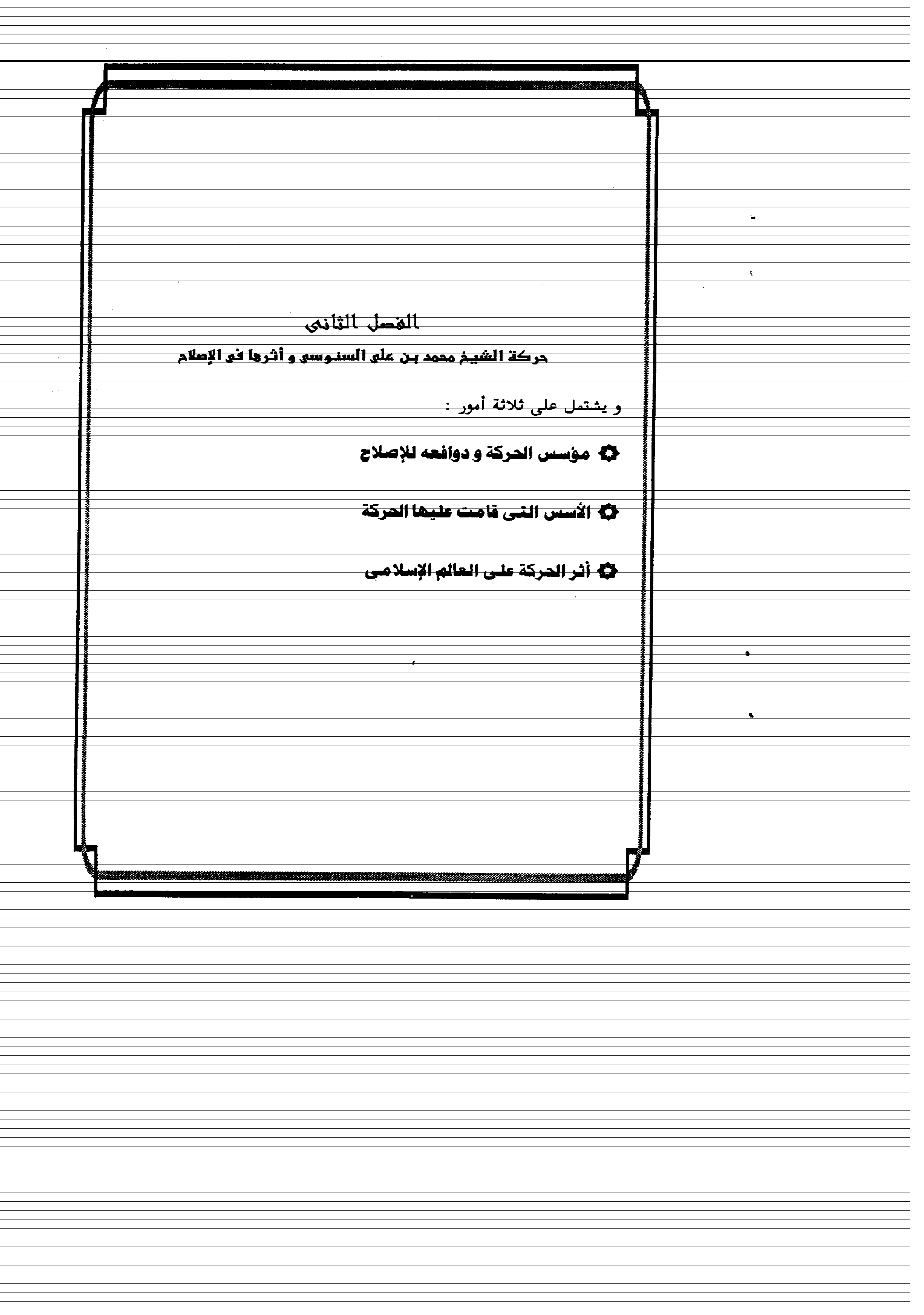
---

(١) انظر أ ـ سير/ توماس ، أرنولد : الدعوة إلى الإسلام صـ٤٦٨ من الترجمة العربية للدكتور حسن إبراهيم حسن والدكتور عبد المجيد عابدين ود / إسماعيل النحراوى الطبمه الثالثة ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠م .

ب ـ باول شمتز: الإسلام قوة الغد العالمية صـ١٢٤ .

جـ ـ د/جمال الدين الشيال : محاضرات عن الحركة الإصلاحية ص٦٦ ـ ٧١ .

(٢) د/ عبد الكريم الخطيب : الدعوة الوهابية صـ ١١٦ .



الفصل الثانى

حركة الشيخ محمد بن على السنوسى و أثرها فى الإصلاح

و يشتمل على ثلاثة أمور :

- **مؤسس الحركة و دوافعه للإصلاح**
- **الأسس التى قامت عليها الحركة**
- **أثر الحركة على العالم الإسلامى**

الفصل الثانى

"حركة الشيخ " محمد بن على السنوسى وأثرها فى الإصلاح "

تمهيد :

تعد حركة الشيخ "محمد بن على السنوسى " ١٢٠٢هـ - ١٢٧٦هـ = ١٧٨٧م - ١٨٥٩م" من الحركات الإصلاحية الهامة فى تاريخ الإصلاح فى العالم الإسلامى ، ذلك لأن أثرها كان جلياً داخل العالم الإسلامى وخارجه ولأنها استطاعت أن تحصل على وُد السلطنة العثمانية ، وأن تحظى بحمايتها وتأييدها أثناء مسيرتها الإصلاحية .

وسأتناول مسيرة حركة "السنوسى" الإصلاحية على النحو التالى :

- مؤسس الحركة ودوافعه إلى الإصلاح .
- الأسس التى قامت عليها الحركة .
- أثر الحركة على العالم الإسلامى .

"مؤسس الحركة ودوافعه إلى الإصلاح"

أما مؤسس الحركة فهو الشيخ"محمد بن على السنوسى الخطابى " (ولد فى قرية " الواسطة " بالقرب من بلدة "مستغانم" فى " الجزائر " فى بيت شريف مشهور بالعراقة والأصالة ، ومعروف بالعلم .

حفظ القرآن الكريم صغيراً ، وتلقى علومه الأولية فى بلدته ، إلاأن شغفه بالعلم دفعه لأن يسافر ويرحل فى طلبه ، فتوجه إلى جامع " القرويين " بمدينة " فاس " بـ " المغرب " ، فدرس الفقه على مذهب الامام " مالك " وظل فيها سبع سنوات بعد أن أجيز لتدريس ، ثم درس التصوف إلاآنه لم يتبع طريقة معينة ،ثم تابع الشيخ " السنوسى " مسيرته العلمية ، فتوجه إلى " تونس " ، و " ليبيا " ثم استقر به المقام فترة فى " مصر " ، و التقى بعلماء الأزهر إلا أنه لم يلق منهم قبولاً .
فتوجه إلى " مكة " ، ثم "اليمن"،ثم عاد مرة أخرى إلى " مكة " [(١)]) .
ومنها انطلقت دعوته ونبتت حركته .

و خلال تطواف الشيخ " السنوسى " فى العالم الإسلامى ، تكوّنت لديه دوافع قوية لإصلاح الأوضاع فى العالم الإسلامى .

إذ اطّلع الشيخ " السنوسى " على ما اعترى العالم الإسلامى من ضعف دينى ، وخلقى و اجتماعى وسياسى ، فليس الدين فى نظر المسلمين – وقتذاك – (إلا دعوة للتواكل و جُملة من العادات و التقاليد التى من شأنها أن تحجب الإنسان عن أداء رسالته التى كلّفه الله بها ، و أنه مذهب إمام،أو طريقة شيخ ، أو حرفة دجال أو منجم) [(٢)] .

---

(١) انظر :

أ- خير الدين الزركلى : الأعلام جـ٦ صـ٢٩٩ .

ب- محمد الطيب بن إدريس الأشهب : السنوسى الكبير صـ٧-١١ ، القاهرة د/ت .

جـ- د/ أحمد صدقى الدجانى : الحركة السنوسية نشأتها و نحوها فى القرن التاسع عشر صـ٣٤ – ٦٩ ، الطبعة الأولى ١٩٦٧م

د- د/ محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين و دولة صـ١١ ، دار الفكر العربى ١٩٤٨م .

٢) د/ محمد البهى : الفكر الإسلامى فى تطوره صـ٩٦ .

و أما أخلاقهم فقد كانت بعيدة عن أخلاق المسلمين ، إذ انعدمت ثقتهم بأنفسهم ، و ملأهم الوهن و أضحوا مفكّكين ، تسيطر عليهم روح الخصومة و الفرقة و الاستبداد الذى تمثّل فى حكوماتهم (فاستُهدفت بلاد المسلمين فى كل صقع من أصقاعهم للاحتلال الأجنبى ، فهذه " فرنسا " قد نصبت شباكها لاحتلال " الشمال الإفريقى" و هذه " بريطانيا " و قد بدت متحفزة لبسط نفوذها الاقتصادى و السياسى على كثير من بقاع العالم الإسلامى بشتى الأساليب ، و هذه " مصر " كنانة الله فى أرضه أخذت التيارات المختلفة تلعب بها ....)[١] .

لقد عظم داعى الإصلاح فى نفس الشيخ حين اطّلع على الحالة السياسية السيئة للعالم الإسلامى فرأى (ضعف السلطة " العلوية " فى " المغرب " و فردية " محمد على " فى حكم " مصر " و الحكم المفروض فى " الحجاز " و عجز الدولة " العثمانية " الواضح فى مختلف أجزائها كما أدمى قلبه احتلال " الفرنسيين " لبلاده "الجزائر ")[٢].

ومما زاد الطين بلة أن علماء المسلمين آنذاك قد تقاعسوا مع حكوماتهم عن(نشر التعليم بين الناس . وعن الأخذ بأيديهم نحوالعمل المثمر الجاد)[٣] .

و الغريب أن ذلك كله جاء متزامناً مع توثّب الدول الغربية لإلتهام (ماعتبرته نصيبها من التركة المهملة التى أصبحت فى متناول أيدى الدخلاء ، نظراً لضعف صاحب الحق الطبيعى الذى أصبح معروفاً عند الأوربيين بـ" الرجل المريض" كما تزامن أيضاً مع تغلغل المبشرين المسيحيين بدعوتهم فى " أفريقيا ")[٤]

---

(١) محمد الطيب بن إدريس الأشهب : السنوسى الكبير صـ١١ - ١٢ .

(٢) د .أحمد صدقى الدجانى : الحركة السنوسية صـ١٦٢

(٣) انظر د/ محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودوله صـ١٨ .

(٤) انظر :

أ- محمد الطيب بن إدريس الأشهب : السنوسى الكبير صـ١٢ .

ب- أنور الجندى : محاولة لبناء منهج إسلامى متكامل جـ١٠ صـ٥٠ ، ٥١ .

جـ- د/ أحمد صدقى الدجانى : الحركة السنوسية صـ١٦١ ، ١٦٢ .

و ها هو ذا الشيخ " السنوسى" يُفصح عما اعتمل فى نفسه نتيجة الأوضاع السيئة فى العالم الإسلامى ، حين سأله أحد تلامذته فيم تفكر ؟

فقال الشيخ :(أفكر فى العالم الإسلامى ، فعلى الرغم من سلاطينه وأمرائه ورؤسائه وعلمائه فهم لايزيدون عن أن يكونوا كقطيع من الغنم الذى لاراعى له ، فى كل محل من محلات الإسلام تجد المسلمين ، وعلماء الدين ، ولكنك لاتجد فى العالم الإسلامى مرشداً حقيقياً تكون غايته سوق الجميع إلى هدف واحد ، إن ديننا الحنيف دين التوحيد أسس على الإتحاد .

ولكن ، خلاف والتفرق قد ساد جميع النواحى لأن العلماء والمشايخ ليست لهم غيرة دينية حتى ينشروا العلوم والمعارف ، انظروا أحوال أهل " السودان " و " الصحراء " تجدوا أفواجاً من الشعوب يعبدون الأوثان ، ويوجد فى كل مسجد من مساجد المعمورة جماعة من العلماء غير العاملين ، ولا هم لهم غير راحة أجسادهم ، حريصين على لذاتهم ، غير قائمين لواجباتهم ، لا ضمائر تؤنبهم على إهمالهم إرشاد هؤلاء المساكين.

وقد اتصل بنا خبر العالم الإسلامى من القوافل التى تَرِد إلى بلادنا ، و أننا مغلوبون فى كل محل ، و أن المقاطعات و الخطط المعمورة تذهب من أيدى المسلمين فى كل وقت وبسرعة البرق ، فالإسلام فى حالة من التدهور المخيف و هو ما فكرت فيه) [1].

وهكذا تتضافر العوامل الداخلية ، والخارجية لتزرع فى نفس الشيخ " السنوسى" روح الإصلاح ، وتدفعه لصد أعداء الإسلام وردّهم ، فهبّ الرجل ينادى بالإصلاح .

---

(١) انظر أ- د/ يوسف فضل حسن : ندوة اتجاهات الفكر الإسلامى المعاصر صـ٣٨١ ، ٣٨٢ ، الرياض ١٩٨٧م .

ب- د/ محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين و دولة صـ١٢ ، ١٣ .

۞ "الأسس التى قامت عليها الحركة"

لقد وجد الشيخ " السنوسى" العالم الإسلامى أمام تحديات داخلية وخارجية جسام
أما التحديات الخارجية فتتمثل فى (استعمارأوربى مسلح بحضارة حديثة عملاقة)[١].

أما التحديات الداخلية ، فتتمثل فى أوضاع سيئة تردى إليها حال العالم الإسلامى دينياً ، وفكرياً ، وسياسياً ، واجتماعياً كانت نتيجة طبيعية (لسلطنة عثمانية غدت بما تمثله جمود ، وخرافة ، ومظالم قيداً يعوق الأمة عن الانطلاق ، وثغرة واسعة تُتيح للاستعمار أن يلتهم أوطان الإسلام)[٢].

فأدرك الشيخ"السنوسى"أهمية إيجاد المجتمع المسلم المتآلف من أفراد يفهمون الإسلام ويرتبطون بشريعة الله ، وأيقن أن (تحرر المسلمين التحرر السياسى يجب أن يسبقه إنتشار التجدد الروحى ، والدعوة الأخلاقية فى المسلمين)[٣].

وبذلك يستطيع هذا المجتمع أن يصد أعداء الإسلام ويرد أطماعهم ، ولهذا أسس الشيخ " السنوسى" حركته على الأسس التالية :

أولاً :- تطهير العقيدة الإسلامية مما اعتراها من البدع والخرافات ، والعودة إلى الإسلام الصحيح إسلام السلف الصالح المؤسس على القرآن والسنة (فهما الأصلان اللذان يصح الإعتماد عليهما فى فهم الإسلام ، دون الإجماع والقياس المتأخرين)[٤].

ثانياً : أنكر الشيخ "السنوسى" على أدعياء التصوف بعض أحوالهم ، ورفض شطحاتهم وتواكلهم وأعلن أنه (لابد أن نعرض ما جاء عن طريقهم على الكتاب والسنة

---

(١) د/ محمد عمارة : تيارات الفكر الإسلام صـ٢٦٢ .

(٢) د/ محمد عمارة المرجع السابق نفسه صـ٢٦٢ .

(٣) انظر أ: لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى جـ١ صـ٢٩٩ .
ب- د/ أحمد صدقى الدجانى : الحركة السنوسية صـ١٦٢ .

(٤) انظر أ- د/ جمال الدين الشيال : محاضرات عن الحركات الإصلاحية جـ١ صـ٦٩ .
ب- د/ أحمد صدقى الدجانى : الحركة السنوسية صـ١٥١ .
جـ- د/ يوسف فضل حسن : ندوة اتجاهات الفكر الإسلامى المعاصر صـ٣٨٢ .

فإذا وافقهما قبلناه ، وإلا فلا نقبله ، ونفّذ الشيخ "السنوسي" أسمى معاني التصوف الحقيقي من البساطة في التعبير ، والتعاون ، وتحقيق الأخوة ، وإطعام الفقراء) [(١)] إلى غير ذلك من تلك المعاني السامية التي أمر بها الإسلام .

ثالثاً: دعا إلى ضرورة الإجتهاد للقادرين على استنباط الأحكام ، وأنكر على من قال بأن الإجتهاد قد انقطع بالإجماع . ونعى على التقليد والمقلدين قائلاً : (لايجب انحصار التقليد في الأئمة الأربعة "رضي الله عنهم " لأنه لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله ، ولم يوجب الله ورسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الأئمة يقلده دون غيره...... هذه بدعة قبيحة حدثت في الأمة لم يقل بها أحد من أئمة الإسلام) [(٢)]

رابعاً : سعى إلى إزالة الحدود التي تُجزِّىء العالم الإسلامي وتُقسّمه حتى يعود المسلمون أمة واحدة ، وحينما نادى الشيخ "السنوسي" بضرورة الإجتهاد في إطار الكتاب والسنة إنما أراد أن يزيل الفوارق التي وضعها أتباع كل مذهب بينهم وبين غيرهم حتى يتسنى له"رضي الله عنه"(افتتاح جميع البلاد الإفريقية ثم سائر الأقطار الإسلامية ، ثم جعْل العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه مملكة واحدة ، على رأسها خليفة واحد) [(٣)] . بل إن الشيخ كان جاداً في سبيل تحسين (أسباب المعايش ، وتوفير وسائل الكسب . و شرع فعلا في إنشاء وسائل التجارة على نطاق رحب) [(٤)] .

---

(١) انظر أ- د/ محمد البهي : الفكر الإسلامي في تطوره صـ١٠١ .

ب- د/ محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين و دولة صـ٤٥ .

(٢) انظر أ- د/ يوسف فضل حسن : ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر صـ٣٨٢ .

ب- د/ محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق صـ٣٠ .

جـ- أ/أنور الجندى : محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل جـ١٠ صـ٥٤ .

(٣) انظر أ- لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي جـ١ صـ٢٩٩ .

ب- أ/أنور الجندى : محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل جـ٣ صـ٢١٧ .

(٤) انظر أ- لوثروب ستودارد : المرجع السابق نفس المكان .

ب- د/ فتحية النبراوى ، و د/ محمد نصر مهنا : تطور الفكر السياسي في الإسلام جـ٢ صـ٣٥٠ ، ٣٥٣ .

جـ- محمد الطيب بن إدريس الأشهب : السنوسي الكبير صـ٩٥ ، ٩٦ .

و لم تتوقف حركة الشيخ " السنوسى " عند حد الآراء النظرية المجردة ، بل إنها زاوجت بين النظرية ، و التطبيق العملى ، و ارتضى الشيخ " السنوسى " أن يسير فى تطبيق ما نادى به من خلال إنشاء ما عرف به " الزاوية " و التى ربى فيها الشيخ " السنوسى " أتباعه تربية إسلامية شاملة تنتظم (تربية العقول بالثقافة و الأجسام بالتربية الرياضية و العسكرية الخشنة)[1] ، فضلا عن التربية الروحية ذات المكانة العالية فى منهج الحركة .

و قد اضطلع بهذا الدور الرئيس تلك الزوايا التى أنشأتها الحركة " السنوسية " لتربية أتباعها . و نظرا لمكانة " الزاوية " لدى الحركة " السنوسية " فسأخصها بالحديث فى هذا المبحث .

الزاوية السنوسية : منهجها و رسالتها :

تحتل " الزاوية " مركزاً هاماً فى تاريخ "الحركة السنوسية" . بل و فى تاريخ الحركات الصوفية فى " بلاد المغرب " على الإطلاق .

إلا أن الشيخ " السنوسى " طوّر و عدل فى نظامها و رسالتها ، فبعد أن كانت (مجرد مكان للعبادة و الذكر و قراءة الأوراد)[2] .

غدت " الزاوية " مدرسة للتربية الإسلامية المتكاملة (تبعث وتجدد روح الرباط والمرابطة الإسلامية الأولى)[3] .

و قد كان موضع " الزاوية " يُحدَّد بدقة فائقة مبنية على اعتبارات متعددة . (إذا كان يُختار لها المكان الإستراتيجى الحصين ، وتتّبع فى إنشائها الأساليب العسكرية)[4]

---

(١) نبيه زكريا عبد ربه : الحركات الإسلامية ضد الصهيونية و الصليبية و الشيوعية صـ٢٤٠ .

(٢) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى جـ١ صـ٢٩٥ .

(٣) د/ محمد عمارة : الطريق إلى اليقظة الإسلامية صـ١٧٢ .

(٤) انظر أ ـ د/ محمد البهى : الفكر الإسلامى فى تطوره صـ١٠٣ .

ب ـ نبيه زكريا عبد ربه : الحركات الإسلاميةصـ٢٤٣ .

وكانت " الزاوية " (تدار وفق نظام دقيق ومن خلال جهاز إدارى متكامل)[١] وكــان قصْد الحركة من إنشــائها : أن تكـون صـورة مصغّـرة للمجتمـع المسلم (ففيهـا المسجد والمدرسة ، والمكتبة ، والمزرعة ، والمتجر ، ودار العلاج)[٢] حتى تُوجه المسلم إلى إصلاح شامل دينى ، ودنيوى فتثمر تلك التربية (جيلاً من المسلمين يفهم الإسلام فهماً صحيحاً ويطبقه فى واقعه)[٣] .

لقد (أحالت " الزاوية " " القرآن الكريم " إلى دستور عملى للمسلمين وجعلته مصدر تشريع وتوجيه ، وكتاب تلاوة للأذكار ، ومصدر خشية لله بما فيه من قصص ، وعبر ، وبما فيه من حديث عن الجزاء والثواب والعقاب)[٤] .

و استطاعت " الحركة " أن تنشر زواياها فى ربوع العالم الإسلامى ، حتى غدت فى مطلـع القرن العشرين (مائة و ستاً و أربعين زاوية " موزعة على " برقة " ، و " طرابلس " و " فزان " و " الكفرة " و " الجزيرة العربية " . و " مصر " . و " السودان " و " تونس ")[٥] .

---

(١) د/ محمد عماره : تيارات الفكر الإسلامى صـ٢٦٣ .

(٢)انظر أ ـ محمد الطيب بن إدريس الأشهب : السنوسى الكبير صـ٢٨ـ ٣٣ .

ب ـ د/ محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة صـ٤٨ ـ ٥٠ .

جـ ـ د/ أحمد صدقى الدجانى : الحركة السنوسية صـ٢٣٦ ـ ٢٤٤ .

ء ـ لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى جـ١ صـ ٢٩٧ .

(٣) انظر :

أ ـ د / أحمد عبد الرحيم مصطفى : حركة التجديد الإسلامى فى العالم العربى الحديث صـ٤١ .

ب ـ د/ محمد عماره : الطريق إلى اليقظة الإسلامية صـ١٧٤ .

(٤) انظر أ ـ د/ محمد البهى : الفكر الإسلامى فى تطوره صـ١٠٥ : ١٠٦ .

(٥) انظر أ ـ د/ أحمد صدقى الدجانى : الحركة السنوسية صـ٢٨٢ – ٢٨٥ .

ب ـ لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى جـ١ صـ٢٩٨ ، جـ٢ صـ٤٠٢ – ٤٠٧ .

جـ ـ د/ محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين و دولة صـ٤٨–٥٠ .

د ـ محمد الطيب بن إدريس الأشهب : السنوسى الكبير صـ٣٣ – ٤١ .

فكانت تلك الزاوية منارات يهتدى بها السائرون ، وبفضلها نجحت الحركة فى تخليص عقائد كثير من المسلمين من البدع والخرافات ، بل إنها كانت (وسيلة من أهم وسائل نشر الإسلام فى مجاهل أفريقيا بين الوثنيين) [1] ، و إنقاذهم من أيدى المبشرين المسيحين ، الذين ينشطون بدعواتهم التنصيرية فى مثل هذه المناطق .

(١) انظر : أ- لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى جـ١ صـ٣٠٠ .

ب- أنور الجندى : محاولة لبناء منهج إسلامى متكامل جـ٢ صـ٢٤٦ .

جـ-د/ محمد عمارة : تيارات الفكر الإسلامى صـ٢٦٤ .

✿ " أثر الحركة على العالم الإسلامى "

على الرغم من تأثر الشيخ " السنوسى " فكريا بالشيخ " محمد بن عبد الوهاب " كما يبدو ذلك من خلال بعض آراء الشيخ " السنوسى " و منهجه الإصلاحى ، إلا أن الحركة السنوسية استطاعت أن تتفادى كثيرا من السلبيات و المآخذ التى أُخذت على حركة " بن عبد الوهاب ✿ " إذ انتهجت الحركة السنوسية " سبيل اللين فى دعوتها و عرْضها الإسلام ، و (مزجت السلفية النصوصية بشئ من براهين العقل ، و اتخذت من التصوف سبيلا لتهذيب النفوس)[١] .

و أكدت الحركة على ضرورة التربية الإسلامية المتكاملة النظرية و العملية من خلال " الزوايا " التى أقامتها فى بقاع كثيرة من العالم الإسلامى .

ثم إن الحركة " السنوسية " تجنَّبت – بحرص و ذكاء – الاصطدام بالخلافة " العثمانية " ، و لم تفكر فى الخروج عليها . رغم محاولة الدول الأوربية – التى لم تُرحِّب بها و لا بغيرها من الحركات الإصلاحية – تأليب" السلطنة العثمانية "عليها فكانت الحركة بعيدة النظر فقد خشيت – إن هى اصطدمت بالسلطنة " العثمانية " – (أن تزيد من إضعاف الخلافة التى تُعد رمزاً يجمع المسلمين و يربطهم برباط واحد و آثرت الحركة ألا تزيد من تفكك المسلمين . و حرصت على الإبقاء على وحدتهم)[٢] وجعلت من أهدافها محاولة الأخذبيد الخلافة العثمانية " الرجل المريض " و إنهاضها من عثرتها .

✿ فى المقارنة بين حركة السنوسى و حركة بن عبد الوهاب . انظر د/ أحمد صدقى الدجانى : الحركة السنوسية صـ٢٥٧ .

(١) د/ محمد عمارة : الصحوة الإسلامية و التحدى الحضارى صـ٢٠ . الطبعة الأولى ، دار الشروق ، د/ت .

(٢) انظر أ– د/ محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين و دولة صـ٨ ـ ٩ .

ب– د/ محمد البهى : الفكر الإسلامى فى تطوره ، صـ١٠٦ .

جـ– أنور الجندى : محاولة لبناء منهج إسلامى متكامل جـ٣ صـ٢١٦ .

ء ـ د/يوسف فضل حسن: ندوة اتجاهات الفكر الاسلامى المعاصر صـ٣٨٦ .

و لاريب أن تلك الأمور تحسب في ميزان الحسنات للحركة " السنوسـية " ، و أعلت أسهمها بين الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي ، فضلا عن أنها ضاعفت من نجاح الحركة السنوسية ، رغم ما أخذه بعض المؤرخين عليها .

الحركة السنوسية مالها و ما عليها :

لقد أخذ بعض المؤرخين على الحركة السنوسية بعض المآخذ أهمها:

أولا : (وجود بعض شوائب الصوفية ، وعدم إحداثها تغييراً جذرياً في أساليب التفكير التي ورثها المسلمون عن عصور الاضمحلال) [١]

ثانيا :(وقوفها بمنأى عن التطور الصناعي ، والتقدم العلمي ، ونظرتها إليهما نظرة ارتياب) [٢] .

رغم هذه المآخذ إلا أن الحركة السنوسية كان لها أثر كبير على الاصلاح في العالم الاسلامي ، فقد حرصت على مواجهة الانحراف الناشئ في عقيدة المسلمين وتنقيتها من البدع والخرافات ، وتحريرها من جمود الجامدين .

كما نجحت في (إقامة سلطة تمسك بزمام جميع الأمور ، وتشرف على الفرد والمجتمع ، وتحقق أهداف الحركة دون ضغط أو إكراه ، كما اهتمت الحركة أيضا بإنشاء المدارس والزوايا ، وعملت على نشر العلم والكتاب) [٣]

كما أنها ساهمت في تخليص التصوف من كثيرمن الشوائب التي علقت به مثل (مفاهيم الجبر و الحلول و الاتحاد أو وحدة الوجود) [٤] ، و جعلت التصوف إيجابيا و فاعلا .

ولم تقف ثمرات الحركه عند هذا الحد و لم تستنفد طاقتها في موا جهة انحرافات

---

(١) انظر أ- د/احمد عبد الرحيم مصطفى :حركة التجديد الإسلامي صـ٤٢.
ب - نبيه زكريا عبد ربه : الحركات الإسلامية صـ٢٤١.

(٢) انظر أ- د/احمد صدقي الدجاني :الحركة السنوسية صـ٢٧٩.
ب - د/محمد عبد العزيز داوود :الجمعيات الاسلامية في مصر صـ٦١.

(٣) انظر أ- أحمد صدقي الدجاني : المرجع السابق صـ٢٧٨ .
ب- د/ محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين و دولة صـ١ .

(٤) د/ جمال الدين الشيال : محاضرات عن الحركات الإصلاحية جـ١ صـ٧٠ .

المسلمين ، و تحدياتهم الداخلية فحسب . بل إنها استثمرت النصيب الاكبر من جهدها فى نشر الاسلام و التبشير به ، بين القبائل الوثنية فى قلب" أفريقيا".

فكانت الحركة (تشترى الرقيق من النخاسين ، ثم تعتقهم ، و تأخذ فى تعليمهم ، و تفقيههم فى الدين ، ثم تتركهم يعودون إلى قبائلهم مبشرين بالإسلام)[١].

و بفضل جهود" الحركة السنوسية" فى نشر الإسلام ، وصل الإسلام إلى أماكن كثيرة فى القارة الأفريقية مثل (" واداى ، و " الباقرى " و " بوركو " و " النيجر الأدنى " و " بورنو " و " الكونغو " و " الكاميرون " و" كانم " و " الدامو " و " الداهومى " و" تشاد ")[٢] ، و غيرها من المناطق التى كانت محرومة من نور الإسلام .
و كان يُخشى على أهلها من الحملات التبشيرية التى لا تفتأ تجوب هذه البقاع تبشر بالنصرانية ، مستغلة فى ذلك جهل هؤلاء و فقرهم و مرضهم .

و لم تقتصر الحركة على نشر الإسلام فحسب فى هذه المناطق . بل إنها (أقامت معها الزوايا و الممالك و السلطنات كسلطنة " رابح " و " أحمدوا " و " ساموری ")[٣].
و لا ريب أن الجهد الهائل الذى بذلته" الحركة السنوسية" لنشر الإسلام فى تلك المناطق قد (أزعج المؤسسات التبشيرية الأوربية العاملة فى أفريقيا ، و أفسد عليها خططها و قد كانت هذه المؤسسات طلائع للمد الاستعمارى ، فاضطرت للاستغاثة بحكوماتها لتضغط على السلطان العثمانى كى يُحد من نشاط الحركة)[٤].

---

(١) د/ يوسف فضل حسن : ندوة اتجاهات الفكر الإسلامى المعاصر صـ٣٨٥ .

(٢) انظر أ- سير توماس .و. أرنولد : الدعوة إلى الإسلام صـ٣٧١ ، ٣٧٢ .

ب- باول شمتز : الإسلام قوة الغد العالمية صـ١٢٧ .

جـ- د/ أحمد صدقى الدجانى : الحركة السنوسية صـ٢٧٨ .

د- لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى جـ١ صـ٣٠١ .

(٣) د/ محمد عمارة : تيارات الفكر الإسلامى صـ٢٦٥ .

(٤) انظر أ- لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى جـ١ صـ٣٠١ ، ٣٠٢ .

ب- د/ محمد عمارة : تيارات الفكر الإسلامى صـ٢٦٥ ، ٢٦٧ .

و لا ينبغى أن نغفل الدور البطولى الذى قامت به الحركة لصد الزحف الاستعمارى الأوربى على العالم الإسلامى .

فلقد عنيت الحركة بفريضة الجهاد ، و اهتمت بتدريب أتباعها على الفروسية و القتال و دفعت بهم لمواجهة الغارة الاستعمارية على العالم الإسلامى (فحاربوا الفرنسيين فى مملكة " كانم " و مملكة " واداى " " بالسودان " قرابة الخمسة عشر عاما "١٣١٩هـ - ١٣٣٢ هـ = ١٩٠١م - ١٩١٤م "

و قاوموا الغزو الإيطالى " لليبيا " . الذى بدأ عام " ١٩١١م " و دامت مقاومتهم البطولية عشرين عاما) [١] .

و أخيرا كانت" الحركة السنوسية" رائدة لكثير من حركات الإصلاح فى العالم الإسلامى و تجلى أثرها فى فكر الإمام " محمد عبده " و الشيخ " حسن البنا " و منهجهما الإصلاحى ، و غيرهما من رواد الإصلاح فى العالم الإسلامى .

---

(١) د/ محمد عمارة : المرجع السابق صـ٢٦٥ .

الفصل الثالث

حركة الحكيمين الأفغاني و محمد عبده و أثرها في الإصلاح

و يشتمل على أربعة أمور :

- **نبذة عن الحكيمين الأفغاني و محمد عبده**
- **العصر الذى نشأ فيه الحكيمان و تحدياته**
- **الأسس التى قامت عليها الحركة**
- **أثر الحركة على العالم الإسلامى**

الفصل الثالث

" حركة الحكيمين " الأفغانى " و " محمد عبده " و أثرها فى الإصلاح "

تمهيد :

على الرغم من الأثر الكبير الذى أحدثته حركة الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " وحركة الشيخ " محمد بن على السنوسى" فى العالم الإسلامى دينيا ، و اجتماعيا وسياسيا ، إلا أن معظم المؤرخين يكادون يُجمعون على أن "الحركة الإصلاحية" التى قادها السيد " جمال الدين الأفغانى " و الإمام " محمد عبده " كان لها أعظم الأثر و أكبره على الإصلاح فى الأمة الإسلامية .

حيث جابهت هذه الحركة تحديات جساما ، فاقت بكثير تلك التحديات التى واجهت غيرها من حركات الإصلاح . و لا يُنكَر فضل حركات الإصلاح السابقة على هذه الحركة ، إلّا أن حركة التجديد و الإصلاح الإسلامى المعاصر ستبقى مدينة بالفضل لجهود الإمامين " الأفغانى " و " محمد عبده " التى قاما بها فى سبيل الإصلاح .

و سأتناول هذه الحركة على النحو التالى :

- نبذة عن الحكيمين " الأفغانى " و " محمد عبده "
- العصر الذى نشأ فيه الحكيمان و تحدياته .
- الأسس التى قامت عليها الحركة .
- أثر الحركة على العالم الإسلامى .

✿ نبذة عن الحكيمين "الأفغاني" و "محمد عبده"

أولا : السيد جمال الدين الأفغاني " ١٢٥٤هـ- ١٣١٤هـ= ١٨٣٨م - ١٨٩٧ م "

(ولد السيد " جمال الدين الأفغاني " في قرية " أسعد آباد " إحدى القرى التابعة لمدينة " كابل " بأفغانستان " و يتصل نسبة بالسيد " على الترمذى " المحدث المشهور و يرتقي إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب "رضي الله عنه") [١].

و قد زعم بعض من تناولوا سيرة " الأفغاني " أنه كان إيرانيا شيعيا ، و لم يكن أفغانيا سنيا ✿ !

و الحق أن مسألة أفغانية السيد " جمال الدين " أو إيرانيته ، لا تؤثر على جهاده و لاتحط من قدره ، أو جهوده للإصلاح ، و حسبنا أنه كان مسلما قضى حياته في نصرة الإسلام ، و الدعوة إلى نهضة المسلمين و وحدتهم ، و حسبنا أيضا ما ذكره عنه أقرب الناس إليه . و غالبية من تناولوا سيرته بالبحث من أنه (سُنى المذهب و يتبع الإمام أبا حنيفة في الفقه ، و أنه أفغاني بحت ، عربى بالسلالة النبوية التى ينتسب إليها) [٢].

وقد عني والده بتربيته و تعليمه أيما عناية . فحفظ " القرآن الكريم " في سن مبكرة .

---

(١) انظر أ- الشيخ محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام - الجزء الأول صـ٢٧ .

ب- خير الدين الزركلي : الأعلام ، الجزء السادس صـ١٦٨ ، ١٦٩ .

جـ- د/ محمود قاسم : جمال الدين الأفغاني : حياته و فلسفته صـ٩ ، مكتبة الأنجلو المصرية د/ ت .

✿ انظر ما كتبه كل من :

أ- ميرزا لطف ا لله خان : حقيقة جمال الدين الأفغاني ، الجزء الأول صـ١٠ و ما بعدها من الترجمة العربية للدكتور عبد النعيم حسنين ، الطبعة الثانية ، دار الوفاء ١٩٩٠م .

ب- د/ محمد محمد حسين : الإسلام و الحضارة الغربية صـ٦١ و ما بعدها ، مؤسسة الرسالة د/ت .

(٢) انظر ما كتبه :

أ- عبد القادر المغربي : جمال الدين الأفغاني ذكريات و أحاديث ، صـ٢٨ ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف د/ ت .

ب- السيد محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ١ صـ٢٧ ، ٣٣ .

جـ- شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلام ، الجزء الثاني صـ٢٨٩ ، دار الفكر د/ت .

د- د/ محمود قاسم : جمال الدين الأفغاني ، حياته وفلسفته صـ٩-١١ .

و مدة يسيرة ، و تلقى علوما جمة ، و برع فى جميعها :

(فتلقى **العلوم العربية** من :

" نحو " و " صرف " و " معان " و " بيان " و " كتابة " و " تاريخ عام و خـاص " ،

كما تلقى **علوم الشريعة** من : " تفسير " و" حديث " و" فقه " و" أصول فقه "

و" كلام" و" تصوف " .

و درس كذلك **العلوم الفلسفية** على اختلاف أنواعها ، و كذلك **العلوم الرياضية** ، كما درس جانبا من **العلوم الطبيعية** ، و تعلم العديد من اللغات) [1] .

و لكن ليست العبرة بكثرة التحصيل ، كما يقول الأستاذ " أحمـد أمـين " [2] (كـم مـن الناس علموا أكثر مما علم ، و قرأوا أكثر مما قـرأ . و رطنـوا أكـثر ممـا رطـن – إذا مـا الأمر؟– إلا أنه لم يكن لأحد منهم شخصية كشخصيته : ذكاء متوقد و بصيرة نافذة و توليد للأفكار و المعانى من كل ما يقع تحت سمعه و بصره ، و استقصاء للفكرة حتـى لا يدع فيها قولا لقائل ....) [3] .

يضـاف إلى قـوة شـخصيته . و كريـم صفاتـه . كـثرة تطوافـه و ترحالـه فـى "الـدول الإسلامية " و " الشرقية " و " الغربيـة " . فقـد سـافر السـيد " جمـال الديـن " إلى " الهند" و " مكة " و" مصر " و " السودان " و " العراق " و " إيران " و " تركيا " و " ألمانيا " و " روسيا " و " لندن " و " باريس ") [4] .

لقد طوف السيد " جمال الدين " بأرجاء البلاد شرقا و غربا ، و شاهد و درس و اطلع بنفسه على حقائق الأمور ، و شعر بمدى الخطر الذى يتهدد المسلمين من الداخل و الخارج على السواء ، فهب ينادى بالإصلاح .

---

(١) انظر أ– محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ١ صـ٢٧ ، ٢٨ .

ب– د/ محمود قاسم : جمال الدين الأفغانى حياته و فلسفته صـ١٢ .

(٢) زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، ٩٧ ، ٩٨ .

(٣) انظر ما كتب عن شخصية الأفغانى أخلاقه و منزلته العلمية من خلال السيد / محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ١ صـ٣٤ ، ٣٥ .

(٤) انظر د/ محمد عبد العزيز داوود الجمعيات الإسلامية في مصر صـ٥٦ .

ثانيا : الأستاذ الإمام " محمد عبده "

" ١٢٦٦هـ - ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩م - ١٩٠٥م"

ولد الشيخ "محمد عبده حسن خيرا لله" فى قرية "محلة نصر" بمركز "شبراخيت" من أعمال مديرية " البحيرة " فى أسرة تعتز بكثرة رجالها ، و مقاومتهم ظلم الحكام ، وتحملهم فى سبيل ذلك العديد من التضحيات ✿ : هجرة و سجنا و تشريدا و موتا و ضياع ثروة .

و قد علمته هذه النشأة الاعتزاز بالمجد و الأصالة ، و الضن بالاحترام على الحكام الظالمين.(تلقى الشيخ " محمد عبده " تعليمه الأولى للقراءة و الكتابة و حفظ "القرآن الكريم" بقريته فى مدة وجيزة .

ثم ذهب إلى " الجامع الأحمدى " بـ" طنطا " لتجويد "القرآن الكريم"، و دراسة العلوم الشرعية إلا أن أسلوب التدريس أصابه باليأس من التعليم ، لدرجة أنه قرر هجران الدراسة . و عاد إلى القرية ، و تزوج و عزم على العمل بالزراعة و ترك التعليم) [١] .

و أمام إصرار والده على مواصلة الحياة العلمية رضخ الشيخ " محمد عبده " و عاد إلى "الجامع الأحمدى"، و اشتدت رغبته فى التعلم (حينما التقى بخال والده الشيخ " درويش خضر " ذلك الصوفى تلميذ الزاوية السنوسية) [٢] .

فقاده إلى شئ من سلوك الصوفية مما حبب إليه العلم و زينه فى قلبه . فأقبل عليه بشغف (و انتقل من الدراسة " بالجامع الأحمدى" إلى " الجامع الأزهر " و صدمه أيضا أسلوب التدريس إلا أن ا لله أراد له الخير حينما التقى بالسيد " جمال الدين الأفغانى "

✿ انظر السيد محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ١ صـ١٣ - ١٥ .

(١) نفس المرجع صـ٢٠ ، ٢١ .

(٢) نفس المرجع صـ٢١ : ٢٣ .

الذى كان يزور مصر للمرة الثانية عام " ١٢٨٨هـ = ١٨٧١م ") [١].
و اتصل به الشيخ " محمد عبده " و لازم مجلسه . وسرت فيه روح " جمال الدين " فأيقظت فيه طاقات هائلة ، و هو لا يزال طالب علم ، أثمرت فيما بعد المصلح و الإمام الذى شارك أستاذه فى تحمل أعباء الإصلاح فى العالم الإسلامى .

ثم حصل الشيخ " محمد عبده " على شهادة العالمية عام " ١٢٩٤هـ– ١٨٧٧م " و بدأت بذلك مرحلة جديدة من مراحل حياة الأستاذ الإمام .

و هكذا جمع الشيخ " محمد عبده " فى نشأته و معرفته (بين بيئة القرية ، و بيئة المدينة . و بين المعرفة العقلية . و التهذيب الروحى الصوفى المتزن ، و بين تفكير القرون الوسطى – إن جاز التعبير – . و التفكير المعاصر فى وقته ، كما عَرف الجمود فى التفكير و الثورة فيه) [٢].

و لاشك أن تلك التربية الشاملة . و هذه المعرفة الكاملة قد أثمرت فيما بعد ثمارا طيبة تجلت من خلال فكر الشيخ " محمد عبده " و دعوته للإصلاح .

---

(١) انظر أ– محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ١ صـ٢٤ ـ ٢٥ .
ب– عباس محمود العقاد : عبقرى الإصلاح و التعليم محمد عبده ٦٩ – ٩٣ .
جـ– أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث صـ٣١٤ ، ٣١٥ .
د– خير الدين الزركلى : الأعلام جـ٦ صـ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٢) د/ محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث و صلته بالاستعمار الغربى صـ١٠٢ .

" العصر الذى نشأ فيه الحكيمان و تحدياته "

كانت الحالة الداخلية للبلاد الإسلامية عامة و الشرقية خاصة فى منتصف القرن " التاسع عشر الميلادى " بالغة منتهى السوء ، فقد (استشرى الفساد ، و تفشت الجهالة و الأمية بين المواطنين و شابت عقائدهم أباطيل و خرافات ، و استحوذ الجمود على العلماء ، واستبد الملوك و الأفراد . إذ أقاموا سلطانهم المطلق على الأهواء والشهوات) [1] .

و أما أخلاق المسلمين ، فقد كانت على خطر عظيم ، عبر عنه " الأفغانى " قائلا (إن المسلمين قد سقطت هممهم ، و نامت عزائمهم . و ماتت خواطرهم ، و قام شئ واحد فيهم و هو شهواتهم) [2] .

و كان العالم الإسلامى سياسيا ، يسيطر عليه التفكك ، و التخاذل و التقهقر الحضارى بينما العالم الغربى المعادى للإسلام و المسلمين تشمله نهضة علمية قوية . جعلته يتقدم بخطى واسعة فى طريق التطور الشامل . و الرقى المادى الواضح ، و يقف معجبا بما صنعت يداه ، و يتطلع إلى العالم الإسلامى بعيون شرهة لا ترضى بغير التهامه بديلا .

بل إن أوربا أخذت تغشى الشرق بحملاتها . فسقطت أقطاره الواحد تلو الآخر . و لم يمض غير يسير من الزمن ، حتى كانت دول أوربا قد مدت شراكها إلى أقطار العالم الإسلامى (فاستولت بريطانيا على " الهند " و " مصر " و كانت " الأفغان " مسرحا للدسائس ، و عبرت " روسيا " " القوقاز " و بسطت سلطانها على " أواسط آسيا "

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : جمال الدين الأفغانى باعث نهضة الشرق صـ١٧ ، دار المعارف د/ت .

(٢) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى جـ٢ صـ٢٩٩ .

و فتحت " فرنسا " " شمالى أفريقيا " و استولت على " الجزائر " و قُضى على كيان الدولة العثمانية ، فلم تعد بعد دولة إسلامية مستقلة استقلالا صحيحا ، و تم بذلك إخضاع العالم الإسلامى و النيل منه) [١] .

و اكتوى العالم الإسلامى بنار الاستعمار . احتلالاً لأرضه ، و استغلالاً لخيراته و ثرواته و مما زاد الأمر سوءا و ضاعف من مصيبة الاحتلال أن (روحا من الإعجاب بهؤلاء المحتلين قد أخذت تسرى بين الشعوب الإسلامية ، و أخذ جو من الشك يعم أنحاء الشرق ، و خلب بريق الحضارة المادية و مظاهرها أنظار الحيارى من أبناء العالم الإسلامى ، فظهرت دعوة قوية إلى اتباع الغربيين . و تقليدهم فى أساليب حياتهم دون نظر إلى ما كان منها صالحا أو فاسدا) [٢] .

و لم يقف أمر ذلك الانخداع عن حد العامة و المثقفين . بل امتد ليشمل بعض ولاة الأمر فى العالم الإسلامى . فطمحوا إلى جعل بلادهم قطعة من أوربا ! !

و من هنا أيقن السيد " جمال الدين " (بخطر السيطرة الغربية المنتشرة فى الشرق الإسلامى و تمثّل عواقبها فيما إذا طال عهدها . و امتدت حياتها و رسخت فى تربة الشرق . و أدرك شؤم المستقبل . و ما سينزل بساحة المسلمين من النائبة الكبرى . إذا لبث الشرق الإسلامى على حالة مثل حاله التى كان عليها) [٣] .

---

(١) انظر أ- محمود أبو رية : جمال الدين الأفغانى تاريخه و رسالته و مبادؤه صـ٥٧ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٦م .

ب- عبد الرحمن الرافعى : جمال الدين الأفغانى صـ١٦ ، ١٧ .

جـ- هاملتون جب دعوة تجديد الإسلام صـ٤٢ ، دار الوثبة ، دمشق د/ت .

د- قدرى قلعجى : جمال الدين الأفغانى حكيم الشرق صـ٥ ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ، بيروت د/ت .

(٢) د/ محمد ضياء الدين الريس : تباشير النهضة فى العالم الإسلامى صـ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٣) انظر أ- لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى جـ١ صـ٣٠٥ .

ب- محمد فهمى عبد اللطيف : جمال الدين الأفغانى و الوحدة الإسلامية صـ٢٨ ، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر ، بيروت د/ ت .

و بات واضحا بل مؤكدا أن الأمر يحتاج إلى مشروع إصلاحي يتناسب و ضخامة التحديات الداخلية و الخارجية و يصد الاحتلال الطامع في نفس الوقت الذى يزيل فيه الأوهام التى علقت بعقيدة الإسلام من جراء انحراف أفهام المسلمين ، و يرد الشاردين من المسلمين المتأثرين بتيار التغريب . و يعيد إليهم ثقتهم فى أنفسهم و دينهم و يجمع الأمة الإسلامية تحت راية التوحيد .

✿ " الأسس التى قامت عليها الحركة "

لقد ارتبط السيد " جمال الدين " و الإمام " محمد عبده " ارتباطا وثيقا منذ أن التقيا فى " مصر " عام "١٢٨٨هـ = ١٨٧١ م " و تأثر الشيخ "محمد عبده" بأستاذه "الأفغانى " تأثرا شديدا ، ووقفا معا فى خندق واحد لمواجهة التحديات الجسام التى تواجه العالم الإسلامى آنذاك .

و استمرا على ذلك إلى أن أُبعد " الأفغانى " عن " مصر " و نُفى ✿ إلى " الهند " عام "١٢٩٦هـ ١٨٧٩م " و بعد أن سُمح " للأفغانى " بالسفر إلى حيث يشاء ، قصد "باريس" و من هناك أرسل رسالة إلى الشيخ " محمد عبده " الذى كان منفيا يومئذ إلى " بيروت " لمدة ثلاث سنوات تنفيذا لأحكام المحكمة التى حاكمت زعماء الثورة العرابية "١٨٨٢م " و طلب منه أن يلحق به هناك ، و كان ذلك فى أواخر عام "١٨٨٣م " .

و من " باريس " أصدر الحكيمان جريدة " العروة الوثقى " و التى كانت (لسان حال جمعية " العروة الوثقى " السرية التى قام تنظيمها فى بلاد الشرق .
و خاصة " مصر " و " الهند " لمكافحة الاستعمار و الدعوة للتضامن الإسلامى والإصلاح)[1] .

و قد جمعت مقالات " العروة الوثقى " بين روح السيد " جمال الدين " و قلم " الشيخ محمد عبده " و كان لها أثر كبير على العالم الإسلامى إذ (بلغت من إيقاظ الشرق و هز أعصاب العالم الإسلامى ما لم تبلغه صحيفة سيارة قبلها و لا بعدها) [2] .

✿ عبد الرحمن الرافعى : جمال الدين الأفغانى صـ٤؛

(١) انظر :

أ- د/ محمود قاسم : جمال الدين الأفغانى حياته و فلسفته صـ٥٦ – ٥٨ .

ب- د/ محمد عمارة : جمال الدين الأفغانى موقظ الشرق و فيلسوف الإسلام صـ٦٨ ، الطبعة الثانية ، دار الشروق ١٩٨٨م .

جـ- د/ محمد عمارة : الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين صـ٣٤ ، الطبعة الثانية ، دار الشروق ١٩٨٨م .

(٢) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى جـ٢ صـ٢٩٢ .

زعامة الأفغانى لحركة الإصلاح :

نستطيع أن نتعرف على المعالم الرئيسة لحركة الأفغـانى ، و محمد عبده من مجموع "المقالات " و " الرسائل " و " الخطب " و " الحوارات " و " المذكرات " التى أفصح الحكيمان من خلالها عن أصول الحركة و منهجها الذى سلكته .

و رغم اختلاف بيئة المصلحين ، و ظروف نشأتهما و تباين شخصيتهما ، و انتهاج كل منهما سبيلا غير سبيل الآخر ، إلا أن الشيخ " محمـد عبـده " (لم يشذ فـى حركته الفكرية عن أن يسير فى ذات الطريق الذى سلكه "جمال الديـن الأفغـانى " و لا عن الغاية التى وضعها هدفا له . كما اعتمد على نفس السند الذى اعتمد عليه أستاذه)[١]

لقد أدرك " الأفغانى " أن نجاة المسلمين مما هم فيه لن تكون إلا بالعودة إلى الإسلام و أن أى إصلاح لا بد و أن يؤسس على الإسلام . و ذلك لماله من مزايا و حكم و آثار .

و قد ذكر الأفغانى من مزايا الإسلام و حكمه و آثاره . ما جعله علـى يقين مـن أن أى إصلاح فى العالم الإسلامى . لا بد أن يبنى على مبادئ الإسلام و أحكامه ، فيقول :

إن الإسلام (قد صقل العقول بصقال التوحيد . و طهرها من لوث الأوهـام . و الإسلام هو الذى محق امتياز الأجناس . و تفاضل الأصناف . و قرر المزايا البشرية على قـاعدة الكمال العقلى و النفسى لا غير . و فتح أبواب الشرف فى وجوه الأنفس . و أثبت لكل نفس صريح الحق فى أى فضيلة .

و الإسلام قد جعل العقيدة قائمة على الإقناع لا علـى التقليد . و اتبـاع مـا كـان عليه الآباء بل و خاطب العقل . و يكاد يكون منفردا بتقريع المعتقدين بلا دليـل ، و توبيخ المتبعين للظنون .

و الإسلام نصّب المعلم ليؤدى عمل التعليم . و أقام المؤدب الآمر بالمعروف و الناهى عن المنكر)[٢] .

---

(١) د/ محمد البهى : الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار الغربى صـ٩٨ .

(٢) انظر الشيخ / محمد عبده ، الثائر الإسلامى جمال الدين و رسالتة الرد على الدهريين صـ١٨٦ - ١٩٣ ، دار الهلال د/ت .

[و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون] [1] .

و كان " الأفغانى " على يقين من أن الأمة الإسلامية ما عزّت يوما إلا بالإسلام ، و حين أدرك أعداؤها ذلك عملوا على إفساد عقيدة المسلمين ، فزرعوا بينهم الأفكار الغريبة عن الإسلام عن طريق " الباطنية " الذين وصفهم الأفغانى " بالدهريين أو الطبيعيين ✻ .

و لهذا تركزت أسس الحركة و مبادؤها تحت قيادة " الأفغانى " فيما يلى:

أولا : العودة إلى العقيدة السليمة الصحيحة عقيدة السلف الصالح . و الانطلاق من القواعد الإسلامية الثابتة بالكتاب و السنة ، و نزْع ما رسخ فى عقول العامة من الخرافات و من فهم بعض عقائد الإسلام و مفاهيمه على غير وجهها الصحيح (كحملهم نصوص القضاء و القدر على معنى يوجب عليهم ألا يتحركوا إلى طلب مجد أو تخلص من ذل ، و مثل فهمهم لبعض الأحاديث الشريفة الدالة على فساد آخر الزمان أو قرب انتهائه فهماً يثبط هممهم عن السعى وراء الإصلاح و النجاح ، و نظير ذلك مما لا عهد للسلف الصالح به) [2] .

و أيقن " الأفغانى " بضرورة الالتفاف حول القرآن الكريم . و استكناه أسراره . و الوقوف على معانيه و حكمه . و الالتفاف كذلك حول ما آخى القرآن من الحديث المتواتر و إجماع المسلمين و أعمال النبى ﷺ المتوارثة إلى يوم الناس . فيقول : (القرآن وحده سبب الهداية . و العمدة فى الدعاية . أما ما تراكم عليه و تجمع حواليه من آراء الرجال و استنباطهم . و نظرياتهم فينبغى ألا نعول عليه كوحى . و إنما نستأنس

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٤ .

✻ انظر :

أ- الشيخ محمد عبده : المرجع السابق صـ١٦٢ - ١٦٧ .

ب- أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث صـ٨٩ .

(٢) عبد القادر المغربى : جمال الدين الأفغانى . ذكريات و أحاديث صـ١٠٢ .

به كرأى) [١].

ثانيا : فتح باب الاجتهاد ، و نبذ التعصب المذهبى ، و التقليد الأعمى لكل ما جاء به الأقدمون ، و كما يقول " المخزومى " [٢] (لقد عُرف " جمال الدين " بنفوره من التقليد و الجمود ، فكان يأخذ بالأحسن و الأيسر من الأقوال ، و يجتهد للأَولى ، و يرد الضعيف منها ، و يتناول الأقرب للصواب ، و ما يقبله العقل الصريح و يتفق مع النقل الصحيح) .

وينكر " الأفغانى " على القائلين بسد باب الاجتهاد قولهم هذا ، فيقول و قد تنفس الصعداء : (ما معنى باب الاجتهاد مسدود ؟! و بأى نص سُد باب الاجتهاد ؟! و أى إمام قال لا ينبغى لأحد من المسلمين بعدى أن يجتهد فى الدين ؟! " [و يستمر فى تقريع القائلين بذلك إلى أن يقول] : فمن كان عالما باللسان العربى ، و عاقلا ، وعارفا بسيرة السلف ، و ما كان من طريق الإجماع ، و ما كان من الأحكام مطبقا على النص مباشرة ، أو على وجه القياس ، وصحيح الحديث ، جاز له النظر فى أحكام القرآن و تمعنها و التدقيق فيها ، و استنباط الأحكام منها) [٣]

ثالثا : الالتقاء و التقارب بين أهل السنة و الشيعة من المسلمين ، و إضعاف الفوارق بينهما على أساس أن التفرقة بينهما تصب فى خانة الاستعمار ، و تضعف المسلمين و توهن صفهم ، و كان يرى أن تلك الخلافات بينهما ما أحدثتها إلا (مطامع الملوك و جهل الأمة " و كان يقول " :' أى فرق بين الأفغانيين و إخوانهم الإيرانيين؟! كل" يؤمن بالله ، و بما جاء به " محمد " ﷺ ، الجميع من أصل واحد ، و تجمعهم رابطة واحدة و هى أشرف الروابط رابطة الدين الإسلامى) [٤].

---

(١) عبد القادر المغربى : المرجع السابق صـ٦٢ .

(٢) محمد المخزومى باشا : خاطرات جمال الدين صـ١٧٧ ، المطبعة العلمية ، بيروت ١٩٣١م .

(٣) المرجع السابق نفسه .

(٤) انظر العروة الوثقى و الثورة التحررية الكبرى صـ١٠٩ ، ١٢٦ ، تحقيق صلاح الدين البستانى ، الطبعة الثالثة ، دار العرب ١٩٩٣ م .

لقد كان يريد بدعوته تلك أن يؤلف بين سلطتين قويتين فـي رقعـة العـالم الإسـلامى إذ ذاك (سلطة إيران ، و سلطة " استانبول " بعد أن ذهبت الدولة الإسلامية فى" الهند" أدراج الرياح)[١] .

رابعا : إنهاض الشرق الإسلامى ماديا و حضاريا ، و انتشاله مـن الانحطـاط و التـأخر فلم يستطع " الأفغانى " أن يتجاهل الهزة العنيفة التى أصابت العالم الإسلامى بسـبب الحضارة الغربية الواعدة التى داهم بها الاستعمار العالم الإسلامى .

و كان " الأفغانى " قد سَبَرَ غور تلك الحضارة من خـلال رحلاتـه ، و معرفتـه ببعـض لغاتها . و لهذا كان موقفه منها موقفا سليما صحيحا ليس فيه تعصـب أو انغـلاق ، أو رفض تام أو قبول تام لكل ما فيها فدعا إلى إيجـاد القـاعدة الرئيسـة القويـة التـى نقيـم عليها نهضتنا المادية و حضارتنا . و لم يرها فى غير القرآن الكريم .

يقول (إذا لم يؤسس نهوضنا و تمدننا على قواعد ديننا و قرآننـا فـلا خـير فيـه . و لا يمكن التخلص من وصمة انحطاطنا و تأخرنا إلا من هذا الطريق)[٢] . فديننـا و قرآننـا لا يتعارض مع العلم الثابت الصحيح فإذا أراد الشرق الإسلامى أن ينهض من كبوته و يصحو من غفوته .

فلا بد إذا من (بعث القرآن و بث تعاليمه الصحيحة بين الجمهـور . و شـرحها لهـم على وجهها الثابت من حيث يأخذ بهم إلى ما فيه سعادتهم دنيـا و أخـرى . و لا بـد أيضا من تهذيب علومنا و تنقيح مكتبتنا . ووضع مصنفـات فيهـا قريبـة المـأخذ سـهلة الفهم . فنستعين بتلك الكتب و العلوم التى تضمنتها على الوصول إلى الرقى و النجاح)[٣] .

---

(١) المستشار :طارق البشرى : الملامح العامة للفكر السياسى الإسلامى فى التاريخ المعاصر صـ١٤ . الطبعة الأولى . دار الشروق ١٩٩٦م .

(٢) عبد القادر المغربى : جمال الدين الأفغانى ذكريات وأحاديث صـ٩٧ .

(٣) عبد القادر المغربى : المرجع السابق صـ١٠٢ .

كما دعا " الأفغانى " إلى أخذ ما عند الغرب من حضارة و مدنية و علم . و لكن على أن يكون ذلك فى تلاؤم مع الإسلام ، مع المحافظة على الشخصية الإسلامية المستقلة . و مع ملاحظة أن يكون ذلك العلم علما حقيقيا (ينهى عن الفساد فى الأرض و سفك الدماء . أما العلم الذى لا يصون الإنسان عن هذين النقيضين فهو نقيض العلم الصحيح)[١] .

خامسا : تحرير الشعوب الإسلامية من استبداد الملوك و الولاة بشئونهم .

و قد اعتبر " الأفغانى " ذلك الاستبداد من أهم مظاهر التأخر السياسى و الاجتماعى فى البلاد الإسلامية ، و أحد الأسباب (التى جعلت بلاد الإسلام فريسة للطامعين)[٢] . بل اعتبره سببا رئيسا في ضياع حقوق المسلمين . و استمراء نفوسهم الذل . و فقدهم الأمل فى قدراتهم المادية و المعنوية .

يقول " الأفغانى " (إن طول مكث الشرقيين تحت نير استبداد المستبدين كان سببا أوجب التطاول على رعايهم ، و سلب حقوقهم بل و اقتضى التصرف فى غرائزهم وسجاياهم . و التغير فى فطرتهم الإنسانية حتى كادوا لا يميزون بين الحسن و القبيح و الضار و النافع . و أوشكوا ألا يعرفوا أنفسهم و ما انطوت عليه من القوى المقدسة والقدرة الكاملة و السلطة المطلقة على عالم الطبيعة)[٣] .

و كثيرا ما عمد " الأفغانى " إلى إثارة الشعوب الإسلامية على حكامها المستبدين القاسدين و نبههم إلى حقوقهم المسلوبة مثل قوله :(و أما أنتم يا أبناء الشرق فلا أخاطبنكم و لا أذكرنكم بواجباتكم . فإنكم قد ألفتم الذل و المسكنة و المعيشة الدنيئة

---

(١) انظر أ- محمد المخزومى باشا : خاطرات جمال الدين صـ٤٣ .

ب- محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام جـ١ صـ٣٠ . ٣١ . حيث المحاضرة التى ألقاها الأفغانى فى " استانبول " عن "وجوب الأخذ بالصناعات " .

(٢) د/ محمد ضياء الدين الريس : تباشير النهضة فى العالم الإسلامى صـ١٤٥ .

(٣) انظر محمود أبو رية : جمال الدين الأفغانى تايخه و رسالته و مبادؤه صـ١٧٨ .

و استبدلتم القوة بالتأسف و التلهف و صرتم كالعجائز ، لا تقدرون على الدرء و الإقدام و الدفع و المنع و الرفع ، فإنا لله و إنا إليه راجعون) [١]

و كقوله لأهل " مصر " (إنكم معشر المصريين قد نشأتم فى الاستعباد و ربيتم بحجر الاستبداد ، و توالت عليكم قرون منذ زمن " الملوك و الرعاة " حتى اليوم و أنتم تحملون عبء نير الفاتحين ، و تعنون لوطأة الغزاة الظالمين ، تسومكم حكوماتهم الحيف والجور و تُنزل بكم الخسف و الذل و أنتم صابرون بل راضون ! ! ..... إلى أن يقول : هبوا من غفلتكم و اصحوا من سكرتكم . و انفضوا عنكم غبار الغباوة و الخمول وعيشوا كباقى الأمم أحراراً سعداء ، أو موتوا مأجورين شهداء) [٢] .

سادسا : تحرير الشعوب الإسلامية من الحكم الاستعمارى و النفوذ الأجنبى . و لقد هيأ الله عز و جل للسيد " جمال الدين " أن يطّلع على أحوال كثير من البلاد الإسلامية . و رأى الزحف الكاسح على ممالك الشرق لاحتوائها . و إخضاعها لنيره القاسى فها هو ذا الاستعمار (يسيطر على " الهند " و معظم أطراف "الجزيرة العربية" و" السودان " سيطرة مباشرة . و كان يخطط لاستعمار " أفغانستان " و " إيران " و " مصر " و أجزاء أخرى من العالم الإسلامى) [٣]

فأدرك " الأفغانى " أن (الروح الصليبية لم تبرح كامنة فى صدور النصارى كمون النار فى الرماد . و أن روح التعصب لم تنفك حية متلجة فى قلوبهم حتى اليوم . كما كانت فى قلب " بطرس" الناسك من قبل .... و أن جميع الشعوب النصرانية مجتمعة متفقة على عداء الإسلام . و روح هذا العداء متمثلة بجهد جميع هذه الشعوب جهدا خفيا مستترا متواليا لسحق الإسلام سحقا) [٤]

---

(١) انظر أ- محمود أبو رية : المرجع السابق صـ١٨٦ .

ب- العروة الوثقى : الثورة التحررية الكبرى صـ١٠٤ .

(٢) انظر محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام . الطبعة الأولى صـ٤٦ ، ٤٧ .

(٣) د/ محسن عبد الحميد : جمال الدين الأفغانى المصلح المفترى عليه صـ٤٥ . الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م .

(٤) لوثرر ستودارد : حاضر العالم الإسلامى جـ١ صـ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

فكرس " الأفغانى " جهده لتحريك المسلمين . و دفعهم إلى طريق الجهاد ، و حب الموت في سبيل الله و لعل ما يميز " الأفغانى " عن غيره من أعداء الاستعمار ، فوق اشتراكه معهم فى العداء ، إنما هو (ثوريته فى الموقف تجاه الاستعمار)[١].

ويتجلى ذلك من خلال نداءات " العروة الوثقى " إلى جميع المسلمين لاستنهاض هممهم و إحياء عزائمهم ، كقولها (إن دينهم " الإسلام " يفرض عليهم أن لا يدينوا لسلطة من يخالفهم بل الركن الأعظم لدينهم . طرح ولاية الأجنبى عنهم . و كشفها عن ديارهم . بل منازعة كل ذى شوكة فى شوكته ، هل نسوا وعد الله لهم بأن يرثوا الأرض و هم العباد الصالحون ؟! هل غفلوا عن تكفل الله لهم بإظهار شأنهم على سائر الشئون و لو كره المجرمون ؟! هل سهوا عن أن الله اشترى منهم لإعلاء كلمته أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة ؟!)[٢].

(أنرضى و نحن المؤمنون ، و قد كانت لنا الكلمة العليا ، أن تُضرب علينا الذلة و المسكنة ؟! و أن يَستبد فى ديارنا . و أموالنا من لا يذهب مذهبنا . و لا يرد مشربنا و لايحترم شريعتنا . و لا يرقب فينا إلا و لا ذمة ؟!)[٣].

(يا قوم : تعلمون أنه ما عز قوم بالخضوع . و لا استهين شعب بالإباء . لماذ تعدون أنفسكم فى الدرجة الدنيا عمن سواكم ؟! ألستم تتشابهون فى الخلق مع أعدائكم ؟! ألستم تمتازون عنهم بالإيمان الصادق . و العقائد الصحيحة ؟! ألستم تُنسبون إلى أولئك الأبطال الذين دوخوا البلاد و سادوا العباد . ؟!

فإن قمتم بطلب حقوقكم . فهل يصيبكم أكثر مما يصيب أعداءكم ؟! إن كان الموت فهم يخشونه إن كان الخسار فهم يرهبونه . إنهم يألمون كما تألمون . و ترجون من الله ما لا يرجون)[٤].

---

(١) انظر أ- د/ محمد عمارة : جمال الدين الأفغانى موقظ الشرق و فيلسوف الإسلام صـ١٠٦ .

ب- الشيخ / مصطفى عبد الرازق : مقدمة العروة الوثقى و الثورة التحريرية الكبرى صـ٢٦ .

(٢) العروة الوثقى و الثورة التحريرية صـ٦٨ ، ٦٩ .

(٣) المرجع السابق نفسه صـ٧٨ .

(٤) العروة الوثقى و الثورة التحريرية الكبرى صـ١٥١ .

و يستمر " الأفغاني " يهدر كالبحر يطرد شبح اليأس و الاستسلام عن قلوب المسلمين و يحثهم على مقاومة الاستعمار . يملأ حديثه بالاستفهامات التعجبية تارة ، و التوبيخية تارة ، و التقريرية تارة . ترغيبا و ترهيبا ، و تذكيرا للمسلمين بأمجاد آبائهم الأوائل ✿ الأمر الذى أقلق الاستعمار ، و أقض مضاجعه فى كل مكان (فأمر بمنع دخول جريدة " العروة الوثقى " إلى العالم الإسلامى ، و أمر الحكومات التى تحت سيطرته " كالهند " و " مصر" أن تعاقب من يحملها أو يقرؤها) [١]

و رغم ذلك ، كان للعروة الوثقى أثر كبير فى تحرير البلاد الإسلامية من نير المستعمرين واستعبادهم ✿✿.

سابعا : أدرك " الأفغانى " أن أقتل أدواء المسلمين الفرقة و التنازع . فبسببهما فسدت العلاقات بينهم . و تجرأ عليهم عدوهم و تمكن منهم ، ففى نفس الوقت الذى يتنمر الغرب لأخذ الشرق الإسلامى بين أنيابه (

كان المسلمون فى تنافر . و تقاطع بين كل فئات المجتمع (حتى صح أن يقال : لا علاقة بين قوم منهم و قوم . و لا بلد و بلد إلا طفيف من الإحساس بأن بعض الشعوب على دينهم . و يعتقدون مثل اعتقادهم . و ربما يتعرفون مواقع أقطارهم بالصدفة إذا التقى بعضهم ببعض فى موسم الحج العام) [٢].

✿ انظر العروة الوثقى صـ٧١ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ٤٠٣ .

(١) د/ عبد الباسط محمد حسن : جمال الدين الأفغانى و أثره فى العالم الإسلامى الحديث صـ٥٢ ، ٥٣ . الطبعة الأولى . مكتبة وهبة ١٩٨٢م .

✿✿ انظر أ- محمد سلام مدكور : جمال الدين الأفغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق صـ٢١ الطبعة الأولى ١٩٣٧م .

ب- د/ محمود قاسم : جمال الدين الأفغانى حياته و فلسفته صـ٢٣ و ما بعدها .

جـ- محمد المخزومى باشا : خاطرات جمال الدين صـ١٠ ، ٢٤ ، ٨٠ ، ٨٦ ، ١٦٣ .

(٢) العروة الوثقى صـ٣١ - ٣٣ .

و كأنهم قد صدق فيهم قول " الأفغاني " (لقد اتفقوا على الاختلاف و اختلفوا على الاتحاد) [١] .

و قد هال " الأفغاني " أن يحدث هذا الاختلاف و تلك الفرقة بين المسلمين الذين هيأ الله لهم مؤهلات التوحد كاملة (فاتصال الأراضي ، و تجانس الوضع الجغرافي بين الأقطار الإسلامية ، و اتحاد العقيدة التي تربط القلوب ، و تؤلف النفوس و كثرة العدد وصفاتهم الموروثة ، و مآثر الرجولة الكاملة) [٢] ، إضافة إلى رابطة فريضة الحج و رابطة الخلافة التي كانت قائمة آنذاك .

أليست كل هذه المؤهلات كفيلة بالتأليف بين القلوب ، و إصلاح ذات البين ، و إذابة كل ما يعكر صفو الوحدة بين أقطار العالم الإسلامي ؟! .

يقول " الأفغاني " (إن من " أدِرْنة ✿ " إلى " بيشاور" دولا إسلامية متصلة الأراضي متحدة العقيدة يجمعهم القرآن . و لا ينقص عددهم عن خمسين مليونا ✿✿ . و هم ممتازون بين أجيال الناس بالشجاعة و البسالة . أليس لهم أن يتفقوا على الذب والإقدام كما اتفق عليه سائر الأمم) ؟!! [٣] .

هذه هي مؤهلات الوحدة التي جعلها الله عز وجل في متناول الأقطار الإسلامية و رغم ذلك فهم لا يزالون مختلفين .

---

(١) انظر محمد المخزومي باشا : خاطرات جمال الدين ٨١ ـ ٨٥ .

(٢) محمد فهمي عبد اللطيف : جمال الدين الأفغاني و الوحدة الإسلامية صـ٢٣ .

✿ أدرنة : فتح العثمانيون في عهد " مراد الأول " تلك المدينة عام " ٧٦٣ هـ = ١٣٦٢م . من الروم . و ظلت هذه المدينة العاصمة الثانية لسلاطين آل عثمان حتى بعد فتحهم القسطنطينية . انظر دائرة المعارف الإسلامية لأحمد الشنتاوي و آخرين . جـ١ صـ٥٣ : ٥٤٠ .

✿✿ يبلغ عدد المسلمين في العصر الحاضر ١٢٠٠ مليون نسمة . حسب إحصاءات ١٩٩٠م ، بزيادة سنوية تقدر بـ٣٪ . و حسب هذه الإحصائية فإن عدد المسلمين عام ٢٠٠٠ يبلغ ١٤٨٠ مليون نسمة تقريبا . انظر : عبد الرحمن عمران – خبير الأمم المتحدة – السكان في العالم الإسلامي صـ٥٧ . طبعة المركز الإسلامي الدولي للدراسات و البحوث الإسلامية طبعة ١٩٩١م .

(٣) العروة الوثقى صـ٧٢ .

و لذلك دعا " الأفغانى " إلى الوحدة الإسلامية أو الجامعة الإسلامية . تلك الوحدة التى لا سيادة فيها لدولة و لا شخص . إنما السيادة فيها للقرآن الكريم .

إنها وحدة ليست منبثقة من النظرة القُطرية الضيقة ، و ليست قائمة على أساس المصالح المادية المشتركة ، إنما هى منبثقة من قول الله تعالى :

[و أطيعوا الله و رسوله و لاتنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم و اصبروا إن الله مع الصابرين] [١] .

و قائمة على أساس من العدل و الشورى . يقول " الأفغانى " فى معرض إيضاحه لدعوته إلى الوحدة الإسلامية (لا ألتمس بقولى هذا أن يكون مالك الأمر فى الجميع شخصا واحدا ، فإن هذا ربما كان عسيرا . و لكن أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن . ووجهة وحدتهم الدين . و كل ذى ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع . فإن حياته بحياته . و بقاءه ببقائه) [٢] .

لقد كان " الأفغانى " واقعيا فى تفكيره و منهجه حين أدرك أن (الأنانية المتسلطة على نفوس أهل السلطان فى العالم الإسلامى قد لا تؤهلهم إلى إنكار ذواتهم . و نسيان أنفسهم . ولا تسمح لهم بفناء أشخاصهم فى شخص واحد من أجل مصلحة المسلمين ووحدتهم العامة) [٣] .

و حين أدرك (صعوبة الدعوة لوحدة الشعوب الإسلامية سياسيا ، رأى أن تكون وحدة حكومات معبرة عن وحدة شعوب) [٤] . و إن كانت تلك الوحدة السياسية ليست مستحيلة . و لعله أراد أن تكون تلك الوحدة الدينية مقدمة و تمهيدا للوحدة الشاملة الكاملة بين شعوب العالم الإسلامى . منتهجا فى ذلك سبيل التدرج فى دعوته .

---

(١) سورة الأنفال :٤٦ .

(٢) العروة الوثقى صـ٧٢ .

(٣) محمد فهمى عبد اللطيف : جمال الدين الأفغانى و الوحدة الإسلامية صـ٢٤ .

(٤) أنور الجندى : العالم الإسلامى و الاستعمار السياسى و الاقتصادى صـ١٧٠ نقلا عن كتاب " مصر و حركة الجامعة الإسلامية لـ نصر الدين عبد الحميد نصر صـ١١ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م .

هذه هي الأسس التي قامت عليها الحركة في مرحلتها الأولى التي تولى القيادة خلالها السيد " جمال الدين الأفغاني " و شاركه القيادة الشيخ " محمد عبده " .

و لقد سعى " الأفغاني " إلى تحقيق أهدافه تلك ، – و التي يأتي على قمتها تحقيق الوحدة الإسلامية – سعيا حثيثا ، مستفيدا من موسم الحج ، و داعيا بعض حكام المسلمين إلى تبني تلك الأفكار ، و لم يكتف بذلك ، بل سعى إلى تأليف جمعيات ينشر من خلالها هذه الأفكار ، فألف في " مكة " جمعية " أم القرى " و أسس في " باريس" جمعية " العروة الوثقى " و التي انتشرت في أقطار العالم الإسلامي .

كما التحق بالمحفل الماسوني ✿ " الاسكتلندي" . في " مصر " (لعله يستفيد بتلك الثلة من علية القوم في نشر أفكاره و آرائه) [1] ، (أو أن شعارات كالحرية ، و الإخاء و المساواة قد أغرته بالانضمام إليه) [2] .

و لما لم يجد " الأفغاني " بغيته في ذلك المحفل . استقال منه . ثم أنشأ محفلا آخر تابعا للمحفل الشرقي الفرنسي (و لعل ذلك كان هدفا من أهدافه حين التحق بالماسونية) [3] .

و استحدث " الأفغاني " لهذا المحفل . نظاما لا نظير له في المحافل الماسونية الأخرى إذ (جعل منه شُعبا متعددة ثم قسّمها على وزارات الحكومة . فجعل لكل

✿ اتخذ بعض من تناولوا سيرة " الأفغاني " التحاقه بالمحافل الماسونية ذريعة للطعن فيه و النيل منه . انظر ما كتبه د/ محمد محمد حسين : الإسلام و الحضارة الغربية صـ٦١ – ٧٣ .

و الحق أن الماسونية لم يكن معروفا عنها حينئذ ما نعرفه عنها اليوم . بل إن واجهتها كانت مقبوله . إذ كانت تدعو إلى الإخاء و الحرية و المساواة و السلام ، و القيم الفاضلة عموما . و لقد رأى الأفغاني في كل ذلك ما يدعم آراءه و يقويها .

انظر د/ محسن عبد الحميد : جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه صـ١١٦ – ١٢٢ فهو يرد على هذه الشبهة .

(١) أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث صـ٧٩ .

(٢) د/ محمد عمارة : جمال الدين الأفغاني صـ٥٧ .

(٣) جمال البنا : الدعوات الإسلامية المعاصرة مالها و ما عليها صـ٤٥ . من سلسلة رسائل استكشاف الإسلام .

وزارة شعبية خاصة تسعى فى قضاء أمور الناس بها ، و تعمل على إنصاف المظلوم فيما يختص بأعمال هذه الوزارات) [١] .

و سلك " الأفغانى " أيضا فى سبيل تفعيل دور الحركة ، مسلك كتابة المقالات ، و إنشاء الجرائد التى تحمل و تنشر فكر الحركة ، فكـان يكتب فـى جريـدة " العـروة الوثقى " التى أنشأها و الشيخ " محمد عبـده " فـى " بـاريس " و بلغت أقطار العـالم الإسلامى كله (و كتب كذلك فى صحيفة " ضياء الخافقين ") [٢] .
و كان يكتب أيضا فى جريدة " مصر " و جريدة " التجارة " تحت اسـم مسـتعار و هـو "مظهر بن وضاح ") [٣] .

و سلك " الأفغانى " كذلك سبيل الخطابة فى المحافل العامـة فكـان (خطيـب الشـرق الذى رن فى الخافقين صدى خطابه) [٤] . بالإضافة إلى نشـاطه التعليمـى المتمثـل فـى تلك (الدروس العامة التى كان يلقيها فى المحافل ، و فى بيوت من يزورهـم . و فـى مقهى " البوستة " و قد كان يحضر تلك الدروس العامة عظماء الرجال . و كان لها أثـر كبير على تلاميذه و مريديه . الذين كانوا يستمعون إليه فى دروسـه الخاصـة فـى بيتـه بالإضافة إلى التزامهم إياه فى دروسه العامة) [٥] .

و بذلك نجح " الأفغانى " فـى أن ينشـر دعوتـه و مبـادئه فـى قطـاع كبـير مـن فئـات المجتمع الإسلامى ولهذا آتت حركته أكلها ضعفين . بل أضعافا مضاعفة .
ثم استلم الراية من بعده تلميذه النجيب الشيخ " محمدعبده " الذ ى كان بشـهادة "الأفغانى " أقدر تلامذته على حمل اللواء بعده ، و مواصلـة مسيرة الإصلاح . إذ قال

---

(١) رحاب خضر عكاوى : جمال الدين الأفغانى حكيم الشرق و رسالته فى الرد على الدهريين صـ٤٩ ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، ١٩٩٣م .

(٢) عباس محمود العقاد : الإسلام فى القرن العشرين صـ١٢ .

(٣) د/ حسين مجيب المصرى : إقبال بين المصلحين الإسلاميين صـ٣٧ ، مكتبة الأنجلو المصرية د/ ت .

(٤) د/ محمد عمارة : جمال الدين الأفغانى صـ٦١ .

(٥) انظر أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث صـ٧٣ ، ٧٦ .

عنه : (تركت لكم الشيخ " محمد عبده " و كفى به فى مصر عالما) [١] .

زعامة الشيخ " محمد عبده " لحركة الإصلاح :

إن الحديث عن منهج الشيخ " محمد عبده " فى الإصلاح ليس إلا امتدادا للحديث عن منهج أستاذه " الأفغانى " ، و إن تنوعت الوسيلة و تباين الأسلوب .

لقد كانت أهدافه الإصلاحية متفقة مع أهداف أستاذه ، إلا أن الشيخ " محمد عبده " استقل بوضع خطة لتحقيق تلك الأهداف ، و اتخذ طريقا يختلف عن طريق السيد "جمال الدين " (فبدلا من تحقيق الإصلاح عن طريق الثورة السياسية التى كانت وسيلة " الأفغانى " رأى الشيخ " محمد عبده " أن يوجه جهوده إلى إصلاح الناحية الدينية و الأخلاقية و الثقافية و الاجتماعية . و يركز على جانب التربية و التعليم) [٢] .

و قد اتجه الشيخ " محمد عبده " هذا الاتجاه بعد أن طُرد " الأفغانى " من " مصر " و كانت التجارب التى مر بها ماثلة أمام عين الشيخ " محمد عبده " فرأى أن ينهج نهجا يغاير ما سلكه " الأفغانى " و يخالفه . إلا أنه ليس اختلاف تضاد . و لكنه اختلاف تنوع و تعاضد و تكامل . و يخضع لطبيعة البيئة و الزمن . و بحسبان (الفارق بين عقلية الثائر و عقلية المربّى) [٣] .

و قد بَدَا هذا الفارق المزاجى بين " الأفغانى " و " محمد عبده " بعد توقف جريدة العروة الوثقى " عن الصدور ، و انفصال الحكيمين لاختلاف وجهة نظرهما حول الوسيلة المثلى لتحقيق الإصلاح ، حيث كان الشيخ " محمد عبده قد أشار على " جمال الدين " بترك السياسة و الإقبال على تعليم و تربية المصلحين و المرشدين

---

(١) السيد : محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ١ صـ ط .

(٢) انظر أ- د / محمد ضياء الدين الريس : تباشير النهضة فى العالم الإسلامى صـ١٦٥ .

ب- د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى : حركة التجديد الإسلامى العالم العربى الحديث صـ٦٠ . ٦١ .

(٣) أنور الجندى : محاولة لبناء منهج إسلامى متكامل جـ٣ صـ٢٢٧ .

و كان يقول له : (أرى أن نترك السياسة . و نذهب إلى مجهل من مجاهل الأرض لا يعرفنا فيه أحد ، نختار من أهله عشرة غلمان أو أكثر من الأذكياء السليمي الفطرة فنربيهم على منهجنا ، و نوجه وجوههم إلى مقصدنا ، فإذا أتيح لكل واحد منا تربية عشرة آخرين ، لا تمضي بضع سنين أخرى ، إلا و لدينا مائة قائد من قواد الجهاد في سبيل الإصلاح ، و من أمثال هؤلاء يرجى الفلاح ، فقال له الأفغاني :إنما أنت مثبط نحن قد شرعنا في العمل و لابد من المضي فيه ما دمنا نرى منفذا) [1]

و قد ظل الشيخ " محمد عبده " مصمما على رأيه ، يزداد إيمانا به يوما بعد يوم ويضيف إليه من تجاربه مع الأمراء و الرؤساء كل يوم ، ما يعززه تعزيزا لا سبيل فيه إلى الشك . فخرج من تجاربه تلك بنتيجة محددة فحواها (أن الجو السياسي قد فسد من حوله . فلم يبق له أمل في إصلاح المسلمين بالوسائل السياسية . و آمن برسالته العلمية الدينية كل الإيمان ، فانصرف إليها بعزيمته كلها) [2] .

فأولى عناية كبيرة للإصلاح الداخلي . الذى اعتبره " وسيلة طرد الاستعمار ") [3]
و أيقن بضرورة أن يؤسس هذا الإصلاح على الدين . الذى بصلاحه تصلح الحياة كلها يقول الشيخ " محمد عبده " :

(إن الغرض الذى يرمي إليه جميع المصلحين من المسلمين إنما هو تصحيح الاعتقاد و إزالة ما طرأ عليه من الخطأ في فهم نصوص الدين . حتى إذا سلمت العقائد من البدع . تبعها سلامة الأعمال من الخلل و الاضطراب . و استقامت أحوال الأفراد و استضاءت بصائرهم بالعلوم الحقيقية دينية و دنيوية . و تهذّبت أخلاقهم بالملكات السليمة . و سرى الصلاح منهم إلى الأمة . و إذا كان الدين كافلا بتهذيب الأخلاق و صلاح الأعمال و حمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها . و لأهله كل الثقة فيه

---

(١) عباس محمود العقاد : عبقرى الإصلاح و التعليم الأستاذ محمدعبده صـ١٠٦ ، ١٠٧ ، مكتبة مصر د/ت .

(٢) عباس محمود العقاد : الإسلام في القرن العشرين صـ١٢٦ .

(٣) انظر أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث صـ٣٣٩ .

و هو حاضر لديهم . و العناء في إرجاعهم إليه أخف من إحداث مالا إلمام لهم بـه فلم العدول عنه إلى غيره ؟!!) [١] .

و يقول أيضا : (القرآن سر نجاح المسلمين ، و لا حيلة في تلافي أمرهـم إلا إرجـاعهم إليه و ما لم تقرع صيحته أعمـاق قلوبهـم . و تزلـزل هزتـه رواسـي طبـاعهم . فـالأمل مقطوع من هبوبهم من نومهم) [٢] .

و بذلك يحدد الشيخ " محمد عبده " طريق الإصلاح و منهجه ، و كأنه يرد على دعاوى دعاة التغريب الذين بهرتهم ، بل ذهبت بعقولهم حضارة أوربا ، فظنوا أن لا أمـل فـي الإصلاح إلا باتباع هديهم . و السير على نهجهم . و أخذ ما عندهم بخيره و شره و حلوه و مره ، ما يحمد منه و ما يذم .

و لكن أين هو الإسلام الصحيح الذى يجب أن تعود إليه مختلف الشعوب الإسلامية ؟! لقد توارى تحت غبار البدع و الخرافات التي اختلقها بعض أتباعه . حتى توقـف عـن أداء دوره أمام جمود الجامدين من المقلدين . و أضحى في أمس الحاجة لمن يزيل عنـه هذا الغبار . و يرفع من أمامه معوقات التقدم و الانطلاق .

فنهض الشيخ " محمد عبده " يدعو إلى (تحرير الفكر من قيـد التقليـد . و فهـم الديـن على طريقة سلف الأمة . قبل ظهور الخلاف . و الرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعـه الأولى . و اعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التي وضعها الله لترد من شططه . و تقلل من خلطه و خبطه . لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني) [٣]

و في إطار محاولة الشيخ " محمد عبده " العودة بالمسلمين إلى الإسلام الصحيح دعـا إلى ما يلي :

---

(١) انظر أ- أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث صـ٣٥٩ .

ب- السيد / محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ٢ صـ٤٥٩ . ٢٢٢ – ٢٣٦ .

(٢) السيد / محمد رشيد رضا : المرجع السابق جـ١ صـ٤١٤ .

(٣) السيد محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ١ صـ١١ .

أولا : لم يَنِ الشيخ " محمد عبده " عن مهاجمة التقليد الأعمى ، و لم يكف عن الدعوة إلى الاجتهاد و الاسترشاد بالعقل فى فهم النقل ، و توجيه علماء عصره إلى أن يحسنوا فهم الإسلام و عرضه ، إذ يقول (لقد أمر الكتاب بالنظر ، و استعمال العقل فيما بين أيدينا من ظواهر الكون ، و ما يمكن النفوذ إليه من دقائقه ، تحصيلا لليقين بما هدانا إليه . و نهانا عن التقليد بما حكى عن أحوال الأمم فى الأخذ بما عليه آباؤهم ... فالتقليد مضلّة يُعذر فيها " الحيوان " و لا تَجْمل بحال الإنسان) [(١)]

و كان يقول أيضا :(إن أبواب الاجتهاد لم توصد كما زعم بعض المسلمين واهمين و إنما هى مفتوحة لجميع المسائل التى تثيرها ظروف الحياة المتجددة أبدا) [(٢)].

ثانيا : هاجم الشيخ " محمد عبده " أدعياء السلطة الدينية و الدنيوية و غلاة الصوفية

حؤلاء الذين ادعوا لأنفسهم سلطانا دينيا لم يجعله الإسلام لبشر قط .

و جعلوا أنفسهم وسائط بين الله و البشر . بدعوى ما حباهم الله من مكانة دينية أو دنيوية .

يقول الشيخ " محمد عبده " (الإيمان بالله يرفع النفوس عن الخضوع و الاستعباد للرؤساء الذين استذلوا البشر بالسلطة الدينية . و هى دعوى القداسة و الوساطة عند الله و دعوى التشريع و القول على الله بدون إذن الله – أو السلطة الدنيوية . و هى سلطة الملك و الاستبداد . فإن العبودية لغير الله تهبط بالبشر إلى دركة الحيوان المسخر أو الزرع المستنبت .... و حق على الإنسان ألا يرضى لنفسه أن يكون عبدا ذليلا لبشر مثله للقب دينى أو دنيوى ، و قد أعزه الله بالإيمان ، و إنما أئمة الدين عنده مبلغون لما

---

(١) الشيخ محمد عبده رسالة التوحيد صـ٢٤ . الطبعة السابعة عشرة . مكتبة القاهرة . ١٩٦٠م .

(٢) انظر أ– د/ عثمان أمين : رائد الفكر الإسلامى الحديث الإمام محمد عبده صـ٧٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ . الطبعة الثانية . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٥ م .

ب– د/ محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث و صلته بالاستعمار الغربى صـ١٢٤.

جـ– قدرى قلعجى : محمد عبده بطل الثورة الفكرية فى الإسلام صـ١٢١ ، ١٢٢ ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٥٦ م .

شرع الله ، و أئمةالدنيا منفذون لأحكام الله . و إنما الخضوع الدينـي لله و لشرعه لا لشخوصهم و ألقابهم) [(١)] .

إن الإسلام يرفض الكهنوت الذى عرفته المسيحية لرجال الدين ، و الذى كان سببا فى تحريف الدين و الخروج به عن المسار الصحيح ، بل و ذهابه بالكلية ، و حلول الآراء الشخصية و الأهواء البشرية محله .

و لعل خشية الشيخ " محمد عبده " من أن ينتهى الأمر بالإسلام إلى تلك النهاية جعلته يشتد كذلك فى نقده لغلاة المتصوفة . الذين يبيعون الإرشاد بالأموال . و كان الأستاذ الإمام منصفا حينما برّأ التصوف من تلك الخرافات ، التى ابتدعها بعض أدعياء التصوف ، و بيّن المقصود من التصوف . و أظهر الصورة المضيئة له خلال القرون الأولى للإسلام

أما (هؤلاء اللصوص الذين رفعوا أعلاما. و رايات . و لبسوا خرقا و مرقعات ثم اقتادوا العامة إلى حيث نظموها أحزابا للأموات . فكان أن اتخذ الناس هؤلاء الأموات و سطاء إلى الله يدعونهم كى يقضوا لهم الحوائج . بل و الحوائج التى يظنون صعوبة قضائها إن هم توجهوا بالطلب مباشرة إلى الله !! و هم لذلك يشدون إلى الأضرحة الرحال . و يطوفون حولها ، بل و يقبلون منها الأعتاب و الأحجار ، و كل ذلك مما يدخل فى باب الوثنية و الشرك) [(٢)] . فهم ليسوا من التصوف بل و لا من الإسلام فى شئ .

و قد ترتب على ذلك شيوع (التواكل و ترك العمل . و انتشار عقيدة الجبر و الاتكال على شفاعة الشافعين) [(٣)] .

---

(١) د/ محمدعمارة : الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين صـ٦٠ ، ٦١ .

(٢) انظر أ- عثمان أمين : رائد الفكر المصرى الإمام محمد عبده صـ١٩٩- ٢٠٩ .

ب- السيد محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ٢ صـ١٣٣ ، ١٣٦ .

(٣) انظر أ- السيد محمد رشيد رضا : المرجع السابق جـ١ صـ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، جـ٢ صـ٢٥٩ - ٢٦٧ .

ب- د/ محمد البهى : الفكر الإسلامي الحديث و صلته بالاستعمار الغربى صـ١١٨ - ١٢٣ .

ثالثا : دعا الأستاذ الإمام إلى التوفيق بين الدين و العلم ، و تحصيل ما لدى الأوربيين من علوم دنيوية فالإسلام العظيم قد جاء (يخاطب العقول ، و يستنهض الفكر ، و يعرض نظام الأكوان و ما فيها من الإحكام و الإتقان على أنظار العقول ، و يطالبها بالإمعان فيها لتصل بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه و دعا إليه)[١].

قال تعالى :[قل انظروا ماذا فى السموات و الأرض و ما تغنى الآيات و النذر عن قوم لا يؤمنون][٢].

فالإسلام بهذا المنهج الحكيم ، لا يعتبر العلم عدوا له ، بل هو صديق له و معين ، و يأسف الأستاذ الإمام لجمود التفكير لدى المسلمين ، و تخلفهم عن ركب الحضارة بعد أن كانوا حملة مشاعل الحضارة الإنسانية كلها على مدار عدة قرون .

بل و يذكّر الأستاذ الإمام جموع المسلمين بأن الإسلام كان (السبب الرئيس فى قيام روح البحث فى أوربا فى القرن " السادس عشر " الميلادى)[٣].

و يناشدهم أخذ ما عند الغرب من علوم كانت سببا فى رقيهم الحضارى فيقول :(إننا لا نجد سبيلا لرقى الغربيين فى الثروة و القوة إلا ارتقاء المعارف و العلوم فيما بينهم فأول واجب علينا هو السعى بكل جهد و اجتهاد فى نشر هذه العلوم فى أوطاننا)[٤].

و ذلك من منطلق ديننا الحكيم الذى علمنا على لسان نبينا أن (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها)[٥].

---

(١) الشيخ / محمد عبده : رسالة التوحيد صـ٨ .

(٢) سورة يونس : ١٠١ .

(٣) انظر الشيخ محمد عبده : رسالة التوحيد صـ١٦١ .

(٤) انظر أ- عبد الجواد سليمان : الشيخ محمد عبده إمام المجددين فى الإسلام صـ٣٨ ، مطبعة حسن حسنى المنياوى د/ت .

ب- د/ عثمان أمين : رائد الفكر المصرى الإمام محمد عبده صـ١٩٦ .

جـ- د/ محمد عمارة : الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين ٨١ ، ٨٢ .

(٥) رواه الترمذى فى سننه : كتاب العلم : باب " ما جاء فى فضل الفقه على العبادة " رقم "٢٦٨٧" و رواه ابن ماجه فى سننه : كتاب الزهد : باب " الحكمة " رقم " ٤١٦٩ " و فيه ضعف .

رابعا : ركّز الإمام " محمد عبده " في منهجه الإصلاحي على التربية . و التعليم و إصلاح الأزهر ، إذ رأى أنه لايُرجي للمسلمين إصلاح إلا إذا تخلصوا من الجهل ، و نالوا قسطا وافرا من التربية و التعليم ، و كان على يقين من أن تحقيق الإصلاح على أساس من التربية الصحيحة الشاملة أفضل من تحقيقه عن طريق الثورة السياسية على الحكام . و هو في هذا مخالف لأستاذه " جمال الدين " الذي اعتبر الثورة السياسية أسرع السبل في تحقيق الإصلاح

و قد عبّر الأستاذ الإمام عن اقتناعه بتلك الوسيلة للإصلاح قائلا :(فمن يرد خير البلاد فلا يدعى إلا في إتقان التربية ، و بعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه ، إن كان طالبا حقا بدون إتعاب فكر و لا إجهاد نفس) [١]

و يقول أيضا :(إني لأعجب لجعل نبهاء المسلمين و جرائدهم كل همهم في السياسة و إهمالهم أمر التربية الذى هو كل شئ . و عليه يُبنى كل شئ ..... إن السيد " جمال الدين " كان صاحب اقتدار عجيب . لو صرفه و وجهه للتعليم و التربية . لأفاد الإسلام أكبر فائدة) [٢]

ثم صاغ الأستاذ الإمام هذه الفكرة في معادلة بسيطة خلاصتها :(أن الأمة إذا امتلكت صفوة مستنيرة من أبنائها ثم اتسع عدد هذه الصفوة . و نطاقها و نفوذها حتى غلبت الهمل و الجهلاء . فإن كل مشاكل الأمة ستأخذ طريقها للحل كثمرة نضجت . و حان لها موعد القطاف) [٣]

و حينئذ تنهض الأمة . و تمحوا الظلم ، و ترد الاستعمار .

و لهذا أفنى الأستاذ الإمام عمره في التربية و التعليم سواء في " الجامع الأزهر " أو في مدرسة " دار العلوم " أو في مدرسة " الألسن " أو في دروسه الخاصة في بيته .

---

(١) د/ عثمان أمين : دروس للشباب في سيرة الأستاذ الإمام صـ٤٤ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٤م .

(٢) السيد / محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ١ صـ٨٩٤ .

(٣) د/ محمد عمارة : تيارات الفكر الإسلامي صـ٢٩٨ .

و نادى بقوة بضرورة إصلاح مناهج التعليم ، و تخليصها من عوامل الضعف و الجمود (و قد وضع لوائح لهذا الغرض)[١] . (و اهتم بتأسيس تلك التربية على أساس من الدين)[٢] . حتى تُثمر إصلاحا حقيقيا و جوهريا .

و أدرك الأستاذ الإمام أيضا : أن فى إصلاح الأزهر – و هو أكبر مؤسس تربوية وتعليمية فى العالم الإسلامى – إصلاحاً لحال المسلمين دينيا و دنيويا ، فالأزهر كقلب الأمة إن صلح صلحت الأمة . و إن فسد فسدت الأمة .

و كان الأزهر إبان عصر الأستاذ الإمام قد وصل به الحال إلى جمود جعله لا يرى من الإسلام و لا يعرف عنه إلا بعض الحواشى و المتون التى وُضعت من قديم .

و كان كثير من علماء الأزهر مرتابين* فى كثير من علوم العصر ، كـ " علم المنطق " و " الحساب " و " الجغرافيا " و " التاريخ " ... إلخ .

و خلاصة الإصلاح الذى كان ينشده الأستاذ الإمام " محمد عبده " بشأن الأزهر أنه كان يبغى إصلاح الأزهر صوريا . و معنويا :

(فأما الصورى فهو : إقرار النظام الذى يقضى على ما كان فيه من الفوضى فى التعليم و الحياة البدنية و الاجتماعية . و توسيع دائرة العلوم و المعارف .وترقية اللغة العربية.

و أما المعنوى فهو : إصلاح العقل بالاستقلال فى العلم و الفهم . و صحة القصد فيه بما يُفضى إلى ارتقاء الأمة فى دينها و دنياها . و إصلاح الأخلاق بالصدق و الإخلاص

---

(١) انظر أ- السيد / محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ٢ صـ٥٣٧ .

ب- د/ محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث وصلته الاستعمار الغربى صـ١١٢ ، ١١٣ .

جـ- أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث صـ٣٣٩ .

(٢) د/ محمد عمارة الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين صـ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

* انظر عن حال الأزهر ماديا و معنويا

أ- محمد رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ جـ١ صـ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧ .

ب- عباس محمود العقاد : عبقرى الإصلاح و التعليم الأستاذ الإمام محمد عبده صـ١٧٠ – ١٧٤ .

جـ- د/ محمد عمارة : الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين صـ٥٥ .

و عزة النفس و السخاء و الوفاء .... إلخ ")[١] .

خامسا :اهتم الأستاذ الإمام بالإصلاح الأدبى و اللغوى ، و جعل من أهم أهدافه بَعد إزالة الخرافات و الأوهام عن عقيدة الإسلام:(إصلاح أساليب اللغة العربية فى التحرير سواء كان فى المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ، و مصالحها ، أو فيما تنشره الجرائد على الكافة منشئا أو مترجماً من لغات أخرى ، أو فى المراسلات بين الناس)[٢]

لقد سعى الأستاذ الإمام إلى أن يتخطى بدعوته هذه عصور الركاكة ، و الضعف والمحسنات الشكلية التى أثقلت كاهل لغتنا لعدة قرون ، و قد بدا ذلك واضحا من خلال لغة الصحافة و أساليبها التى عبر عن حالها الأستاذ الإمام حينئذ قائلا :

(إنك ترى أولئك العجزة الضعفاء يخترعون ألفاظا من عند أنفسهم ، يستعملونها فيما يشاءون من المعانى . و يهشّمون بها اللغة تهشيما . فلا يبالون بما يقدمون أو يؤخرون لا يرجعون فى ذلك إلى معجم ، و لا يَجْرُون على قاعدة ، فيزيدون اللغة ضعفا على ضعفها . و يصكون وجه الفصاحة ، و يصفعون قفا البلاغة ، و ما ظنك بأمة تهان فيها ملكة العلوم ، و هى البلاغة ؟!)[٣] .

فطالب الأستاذ الإمام بتجديد أساليب الكتابة العربية ، و ترقيتها ، و تخليصها من ركاكة العصور الغابرة .

سادسا :سعى الأستاذ الإمام إلى إصلاح أحوال المسلمين الاجتماعية ، و تهذيبها على أساس من الإسلام ، فدعا إلى ضرورة التكافل بين أبناء الأمة و الشعور بروح الجماعة

---

(١) السيد / محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ١ صـ٥٦٧ .

و انظر أ- عبد الجواد سليمان : الشيخ محمد عبده إمام المجددين فى الإسلام ٢٨ - ٣٠ .

ب- د/ عثمان أمين : رائد الفكر المصرى الإمام محمد عبده صـ٢١١ ، ٢١٣ .

جـ- د/ عبد الحليم الجندى : الإمام محمد عبده صـ٧٦ - ٧٨ .

د- قدرى قلعجى : محمد عبده بطل الثورة الفكرية فى الإسلام صـ٩١ - ١٠٨ .

(٢) السيد محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ١ صـ١١ .

(٣) د/ محمد عمارة : الإمام محمد عبده بتجديد الدين صـ٢٥٨ .

و نبذ الأنانية ، و حب الذات . و كثيرا ما صرخ فى وجـوه الأغنيـاء البخـلاء ، الذيـن يُدعون إلى بذل القليل من أموالهم . للقيام على أمـر التربيـة و التعليـم ، إلا أنهـم ، لا يحفلون بوعد الله للمنفقين فى سبيله ، و لا وعيده للباخلين بفضله ، و يؤثرون كنزها.

عن هؤلاء يقول الأستاذ الإمام :

(إن أمثال هؤلاء لا يستحقون أن يكونوا من المسلمين ، لأنه لا يوجد فى نفس الواحـد منهم عرق ينبض فى التألم لمصائب الإسلام و أهله)[1]

و أبدى الأستاذ الإمام حرصـا شـديدا على إظهـار عنايـة الإسـلام و اهتمامـه بالجـانب الاجتماعى . حينما كرم المرأة و ضمن لها كافة الحقوق المشروعة . و حينما وضع أصول الأسـرة المسلمة (و أعلن أنه لن تصلح أحوال الأمة . إلا بصلاح أحوال الأسـرة . إذ أن كل المشكلات التى تهدد الأسرة . إنما هى فى الحقيقة تهدد الأمة بأكملها)[2]

سابعا : لم يغفل الأستاذ الإمام الجانب السياسـى فى منهجـه الإصلاحـى . و إن كـان قد جعله الهدف الثالث من أهدافه . و قدم عليه : تحرير الفكر من قيد التقليد . و العودة بالإسلام إلى أصوله الأولى . كما قدم عليه أيضا:إصلاح أساليب اللغة العربية .

و كأن الأستاذ الإمام يريد أن يقول : إن الإصلاح السياسى لن يتم . و لن تُجنى ثمرتـه إلا إذا قام على أساس سليم . متمثل فى أمة تديـن بالإسـلام الصحيـح . و تنعـم بحـظ وافر من التربية و التعليم و الأخلاق و الاستقرار الاجتماعى. حينئذ يثمر هذا الإصلاح الفكرى و اللغوى و الأخلاقى و الاجتماعى الثمرة المرجوة . و يتحقق الإصلاح السياسـى فى العالم الإسلامى ، يقول الأستاذ الإمام :

---

(١) انظر أ- المرجع السابق نفسه صـ١٥٧ .

ب- د/ محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى صـ١٠٨ ، ١١١ .

(٢) انظر أ- عبد الجواد سليمان : الشيخ محمد عبده إمام المجددين فى الإسلام صـ١٢ : ١٤ .

ب-د/ محمد عمارة ، الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين صـ٢٣٩ : ٢٥٣ .

جـ- د/ عثمان أمين : رائد الفكر المصرى الإمام محمد عبده صـ٢٢٨ : ٢٣٣ .

(و هناك أمر آخر كنتُ من دعاته . و الناس جميعا فى عمى عنه ، و بُعد عن تعقله و لكنه هو الركن الذى تقوم عليه حياتهم الاجتماعية ، و ما أصابهم الوهن وا لضعف و الذل إلا بخلو مجتمعهم منه ، و ذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، و ما للشعب من حق العدالة على الحكومة .

نعم دعونا الأمة إلى الاعتقاد بأن الحاكم – و إن وجبت طاعته – هو من البشر الذين يخطئون . و تغلبهم شهواتهم ، و أنه لا يرده عن خطئه ، و لا يوقف طغيان شهوته إلا نصح الأمة له بالقول و بالفعل ، جهرنا بهذا القول ، و الاستبداد فى عنفوانه و الظلم قابض على صولجانه ، و يد الظالم من حديد ، و الناس كلهم عبيد له أىّ عبيد ....)[١]

لقد كان الشيخ " محمد عبده " حريصا على تهيئة أفراد الأمة بالتربية ، وتأهيلها لأن تشارك الحكومة فى إدارة شئونها ، و كان على قناعة بأن ذلك لا يتم بالثورة السياسية أو القوة العسكرية . و إنما بالإصلاح الهادئ المتدرج . و لعل ذلك كان أحد أسباب الخلاف بينه و بين " زعماء الثورة العرابية " . كما يتجلى ذلك فى حديثه معهم حيث يقول مخاطبا أحدهم :

(إن الأمة لو كانت مستعدة لأن تشارك الحكومة فى إدارة شئونها . لما كان لطلب ذلك بالقوة العسكرية معنى . لأنه لو تحقق و نالت البلاد مجلس شورى لما كان ذلك تصويرا لاستعداد الأمة . و لا تحقيقا لمطالبها ، فلا يلبث أن ينهدم و يزول . و أخشى أن يجر هذا الشغَب على البلاد احتلالاً أجنبيا يُسجل على مُسببه اللعنة إلى يوم القيامة ! !)[٢]

و كان هذا موقف الأستاذ الإمام من الإصلاح عن طريق الثورة منذ أن بدأ حياته كمصلح و مجدد . إلى أن قضى نحبه و إن لم يكن ذلك جليا أثناء فترة مرافقته السيد " جمال

---

(١) السيد / محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ١ صـ١١ ، ١٢ .

(٢) انظر نفس المرجع صـ١٤٧ ، ١٧٥ ، ٢١٧ .

الدين الأفغانى " و أما انضمامه إلى " الثورة العرابية " فلأنه ما كان يسوغ له أن يشق وحدة الأمة حينئذ ، و قد أجمع الشعب كله على أمر الثورة ✿ .

إلا أنه بعد انتهائها ، و الحكم عليه بالنفى ، قرر مواصلة مسيرته الإصلاحية التى أجملها فى (الإصلاح الدينى و الفكرى و التربوى و اللغوى ، و أن يتعهد هذا الغراس حتى يثمر تلقائيا – كما كان يعتقد – صلاح حال السياسة العليا و تبدل المظالم التى تكتنف علاقة الحاكم بالمحكوم) (١) .

و قد اتخذ الأستاذ الإمام موقفا معارضا للسياسة وأهلها ، و غدا على يقين من أن السياسة (ما دخلت فى شئ إلا و أفسدته . و استعاذ بالله منها ، و من لفظها و من معناها و حروفها !!) (٢) .

كما ندد بالحكم الاستبدادى ، و دعا إلى (تحقيق العدل بين أفراد الأمة و احترام القوانين و المؤامة بينها و بين الشريعة) (٣) (و تحقيق الشورى بين الأمة) (٤) .

كما نادى بضرورة المحافظة على "الخلافة العثمانية". و اعتبرها (ثالثة العقائد بعد الإيمان بالله و رسوله . إذ أنها وحدها الحافظة لسلطان الدين الكافلة ببقاء حوزته و ليس للدين سلطان فى سواها) (٥) .

كما عمل الأستاذ الإمام على إخراج الإنجليز من " مصر " عن طريق تثقيف الأمة و تربيتها و الصبر على ذلك . مع اليقين من تحقيق الهدف (فالإصلاح الداخلى – كما يرى الأستاذ الإمام – هو الوسيلة لمقاومة الاحتلال) (٦) .

✿ انظر : أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث صـ٣٢٦ .

(١) انظر د / محمد عمارة : الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين صـ١٩٩ .

(٢) السيد محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ١ صـ٨٩١ .

(٣) انظر د/ عثمان أمين : دروس للشباب فى سيرة الأستاذ الإمام صـ٤٤ ، ٤٥ .

(٤) انظر السيد محمد رشيد رضا : المرجع السابق جـ٢ صـ١٩٩ : ٢٠٤ .

(٥) المرجع السابق : جـ١ صـ٩٠٩ .

(٦) انظر أ- د/ عثمان أمين : رائد الفكر المصرى الإمام محمد عبده صـ٢١٧ : ٢٢٧ .

ب- عبد الجواد سليمان : الشيخ محمد عبده إمام المجددين فى الإسلام صـ١٠ ، ١١ .

۞ " أثر الحركة على العالم الإسلامى "

لقد تكاملت حركة الإصلاح التى قادها السيد " جمال الدين " و الشيخ " محمد عبده " تكاملا بديعا ، حينما أودع الله تعالى فى كل من الحكيمين مواهب و ملكات لم تكن فى الآخر .

فما قد يؤخذ على منهج " الأفغانى " و أسلوبه من قصور ، أكمله و سدده " محمد عبده" ، و العكس صحيح .

حركة الحكيمين فى الميزان :

لئن أُخذ على " الأفغانى " (أنه لم يكن صاحب منهج كامل أو نظرية شاملة للفكر الإسلامى ، أو فلسفة مترابطة ، أو أنه كان يرى استحالة تحقيق الوحدة الإسلامية من الناحية السياسية ، و اقتصر على مجرد الوحدة الدينية ، و قنع بأن تكون وحدة روحية – إن جاز التعبير – بحيث يتخذ الجميع سلطانهم القرآن ، أو أنه قصر عمله طوال حياته على إصلاح بعض الجوانب ، و جعل السياسة شغله الشاغل ، أو أنه ربط تحقيق أهدافه بالثورة السياسية ، و لم يكن قادرا على تكوين منهج تربوى عملى طويل المدى)[1]

مع ملاحظة أنه (لو كرس طاقته الهائلة بتمامها فى سبيل الإسلام ، باعتباره نظاما للمعتقدات و السلوك الإنسانى ، عوضا عن بعثرته فى مجالات أخرى ، لو فعل ذلك لارتكز الإسلام على دعائم أكثر متانة ورسوخا فى الميدان الفكرى)[2] ؛

أقول : لئن عدت هذه المآخذ على " الأفغانى " و منهجه – رغم أنه قد يكون لها ما يبررها – فإن الشيخ " محمد عبده " كان بمنهجه الإصلاحى التربوى – الذى اتضح من خلال استعراض سابق لمنهج الإمام و الذى تميز برصانة ، و إدراك لحاجة المجتمع و صبرفى تطبيق هذا المنهج – قد جبر ما قد يكون فى منهج " الأفغانى " من قصور

---

(1) انظر أ– أنور الجندى : محاولة لبناء منهج إسلامى متكامل جـ ١٠ صـ٦٢ .

ب– د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى : حركة التجديد الإسلامى فى العالم العربى الحديث صـ٥٨ ، ٦٠ .

(2) هاملتون جب : دعوة تجديد الإسلام صـ٤٣ .

فقد (أوضح الأستاذ الإمام آراء أستاذه . و نظمها و سجلها . و طورها في بعض المواضع)[١] .

و كأن " الأفغاني " بذر البذرة في تربة صالحة ، فأثمرت ـ و تولى الأستاذ الإمام تلميذه رعايتها .

و لئن كان الأستاذ الإمام " محمد عبده " قد أفرط في تقدير أهمية الجانب التربوى في الإصلاح على حساب الجانب السياسي - الذى كان من الأهمية بمكان في وقت تكالبت فيه قوى الاستعمار على العالم الإسلامي وقتذاك - فإن منهج السيد " جمال الدين " قد رأب هذا الصدع في المنهج الإصلاحي للشيخ " محمد عبده " .

و إذا كان يؤخذ على منهج " الأفغاني " الإفراط السياسي على حساب المنهج التربوى ويؤخذ على منهج " الأستاذ الإمام " الإفراط في تقدير المنهج التربوى على حساب السياسة . فإن هي إلا محاولة لإدراك الكمال في منهج الحكيمين . إذ أن الوسطية منهج الإسلام في كل شئونه . كما أن حاجة التربية للسياسة . و السياسة للتربية لا تخفى على متتبع للإصلاح و حركاته في تاريخ البشرية .

و بذلك تتضافر جهود الحكيمين " الأفغاني " و " محمد عبده " في وضع منهج متكامل للإصلاح في العالم الإسلامي . يبدأ بالإصلاح الفكرى . و يدعو إلى الانطلاق في الإصلاح من قاعدة الدين الذى تمثل السياسة و التربية لُحمته و سداه . إذ لا إصلاح بدونهما . و يزيح عن الإسلام ما التصق به من أباطيل و أوهام خلفت المسلمين عن ركب الحضارة الراكض . و قدمت مفاهيم الإسلام خالصة . و أنزلت العقل منزلته اللائقة به . تمشيا مع موقف الإسلام منه .

فكانت الحركة بحق (سلفية . عقلية متميزة عن مواقف " السلفيين " الذين اكتفوا بالموقف " السلفي " و عن " العقلانيين" الذين انطلقوا من

---

(١) د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى : حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث صـ٦٠ .

منطلق العقل فقط) [١] .

كما أن الحركة وقفت بالمرصاد لمحاولات تشويه الإسلام ، و تصدت لكتابات أشياع المستشرقين و أذنابهم . الذين أرادوا ترويج أفكارهم ، فردّت الحركة على " الدهريين " في " الهند " الذين لبسوا ثوب الإسلام ، و راحوا يطعنون فيه من الخلف ، فتصدى لهم " جمال الدين " و فنّد آراءهم ، و دحضها من خلال رسالته الشهيرة :
" الرد على الدهريين " ، و التى أوضح فيها ثلاثة أمور :

(أ- ثبت ضرورة الدين للمجتمع .
ب- بين خطر انتشار المذهب الطبيعى على المجتمع .
جـ- أفصح عن مزية الإسلام كعقيدة و دين على الأديان الأخرى) [٢] .

كما رد " الأفغانى " أيضا على الفيلسوف الفرنسى " أرنست رينان " الذى زعم أن (إنتاج الأمم غير العربية أكثر من إنتاج الأمم العربية ! و أن التمدن أكثره من إنتاج "الفرس " و غيرهم دون" العرب " .

كما زعم أن الإسلام لا يشجع على العلم و الفلسفة والبحث الحر ! و أن من اشتغل بالفلسفة من المسلمين اضطهد أو أُحرقت كتبه ! !) [٣]

فرد عليه " الأفغانى " ردا مفحما . انتزع به الثناء من فم " رينان " حين قال عنه :
(كنت أتمثل أمامى عندما كنت أخاطبه " ابن سينا " أو " ابن رشد " أو أحدا من أساطين الحكمة الشرقيين) [٤] .

---

(١) د/ محمد عمارة : الإمام محمد عبده : مجدد الدنيا بتجديد الدين صـ٨٧ .
(٢) انظر أ- د/ محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى صـ٦٩ .
ب- د/ محمود قاسم : جمال الدين الأفغاني حياته و فلسفته صـ٥٤ .
(٣) رحاب خضر عكاوى : جمال الدين الأفغانى حكيم الشرق ١٠٩ ، ١١٠ .
(٤) انظر أ- محمود أبو رية : جمال الدين الأفغانى تاريخه و رسالته و مبادئه صـ١٢٨ .
ب- عبد الرحمن الرافعى : جمال الدين الأفغانى صـ١٢٨ .

كما تصدت الحركة أيضا لـ (" دارون " صاحب نظرية النشوء و الارتقاء)* .

كما ردت على وزير خارجية " فرنسا " زعيم الاستشراق فى أوربا " هانوتو " حينما كتب مقالته " الإسلام و المسألة الإسلامية " و تحرش فيها ببعض عقائد الإسلام وقضاياه ، كـ " التوحيد " ، و " القضاء و القدر " ، و تصدى للرد عليه " الأفغانى " و " محمد عبده " فكان ردهما مفحما ** .

و حينما كتب " فرح أنطون " مقالا فى مجلة " الجامعة " عن " ابن رشد " و ذكر فيه (أن المسيحية كانت أوسع صدرا و أكثر تسامحا للعلم و الفلسفة من الإسلام . و أن المسلمين يشايعون مذهب الجبرية . و ينكرون حرية الإرادة)[١] .

رد عليه الأستاذ الإمام – بمجموعة من المقالات فى " المنار " *** ، و جُمعت بعد ذلك فى كتاب بعنوان " الإسلام و النصرانية بين العلم و المدنية " – ردا قويا مفحما أذاع شهرته فى العالم الإسلامى . و جعله أقدر المُحْدَثين فى الدفاع عن الإسْلام)[٢] .

كما تصدت الحركة لفضح دعاوى السيد " أحمد خان " فى " الهند " . و كان قد كتب كتابا (أثبت فيه أن التوراة و الإنجيل ليسا محرفَين . و لا مبدلَين . بل إنه جهر بالدعوة لترك الأديان كافة)[٣] .

إلا أن " الأفغانى " فنّد آراءه تلك من خلال مقالات العروة الوثقى . و ألقمه حجرا .

---

* انظر أ- الشيخ محمد عبده : الثائر الإسلامى جمال الدين الأفغانى ورسالة الرد على الدهريين صـ١٢٥ – ١٣٢ .

ب- د/ محمود قاسم : جمال الدين الأفغانى حياته و فلسفته صـ٢٠٤ .

** انظر أ- الشيخان الأفغانى و محمد عبده يردان افتراءات المستشرقين على الإسلام و المسلمين ، تقديم و تعليق أبو بكر عبد الرازق صـ٣٣ – ٦٩ . مكتبة مصر د/ت .

ب- محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ١ صـ٧٩٩ .

جـ- الشيخ محمد عبده : الإسلام بين العلم و المدنية صـ٥١ – ٩٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب د/ت .

(١) انظر أ- أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث صـ٣٦٠ .

ب- د/ عثمان أمين : رائد الفكر المصرى الإمام محمد عبده صـ٥٥ .

*** انظر : محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ١ صـ٨٠ .

(٢) د/ عثمان أمين : رائد الفكر المصرى الإمام محمد عبده صـ٥٥ .

(٣) د/ محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث و صلته بالاستعمار الغربى صـ٣٥ .

إذاً لا ريب أن حركة " الأفغاني " و " محمد عبده " قد أحدثت أثرا كبيرا في حياة المسلمين العلمية و العقلية و الأدبية و الاجتماعية و السياسية ، و قبل ذلك الدينية و أسهمت في خلق تيار تاريخي (يحرك العواطف بالأمل ، و يثير النفوس باليقظة و يربط روح الأمة الإسلامية و وجدانها بتاريخها العريق ، وماضيها المجيد) [1] .

و قد امتد أثر الحركة إلى معظم دول العالم الإسلامي . فكانت الأب الروحي - إن جاز التعبير - لمعظم الدعوات و الحركات الإسلامية الإصلاحية :

(فظهر أثرها في " مصر " من خلال المدرسة السلفية و الشيخ " رشيد رضا " و " حركة الإخوان المسلمين " .

و في " الجزائر " ظهر أثرها في جمعية علماء " الجزائر " و " عبد الحميد بن باديس"

و ظهر أثرها في " أندونيسيا " من خلال حركة تجديد " المنار " .

و في "الهند" في "جماعة أهل الحديث" . و من خلال "ندوة العلماء" لمؤسسها " محمد شبل النعماني" .

و لا ينكر أثر الحركة أيضا في " إيران " و " العراق ") [2] .

كما أثمرت الحركة أيضا عددا هائلا من الأتباع ✿ الذين تبنوا آراءها . و اعتنقوا أفكارها . فتولوا نشرها و الدعوة إليها في أرجاء العالم الإسلامي .

فكانت الحركة بذلك من أهم حركات الإصلاح في تاريخ الأمة الإسلامية .

---

(1) محمد فهمي عبد اللطيف : جمال الدين الأفغاني و الوحدة الإسلامية صـ٦ .

(2) انظر أ- محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث و صلته بالاستعمار الغربي صـ٩٠ .

ب- جمال البنا : الدعوات الإسلامية المعاصرة ما لها و ما عليها صـ٤٧ .

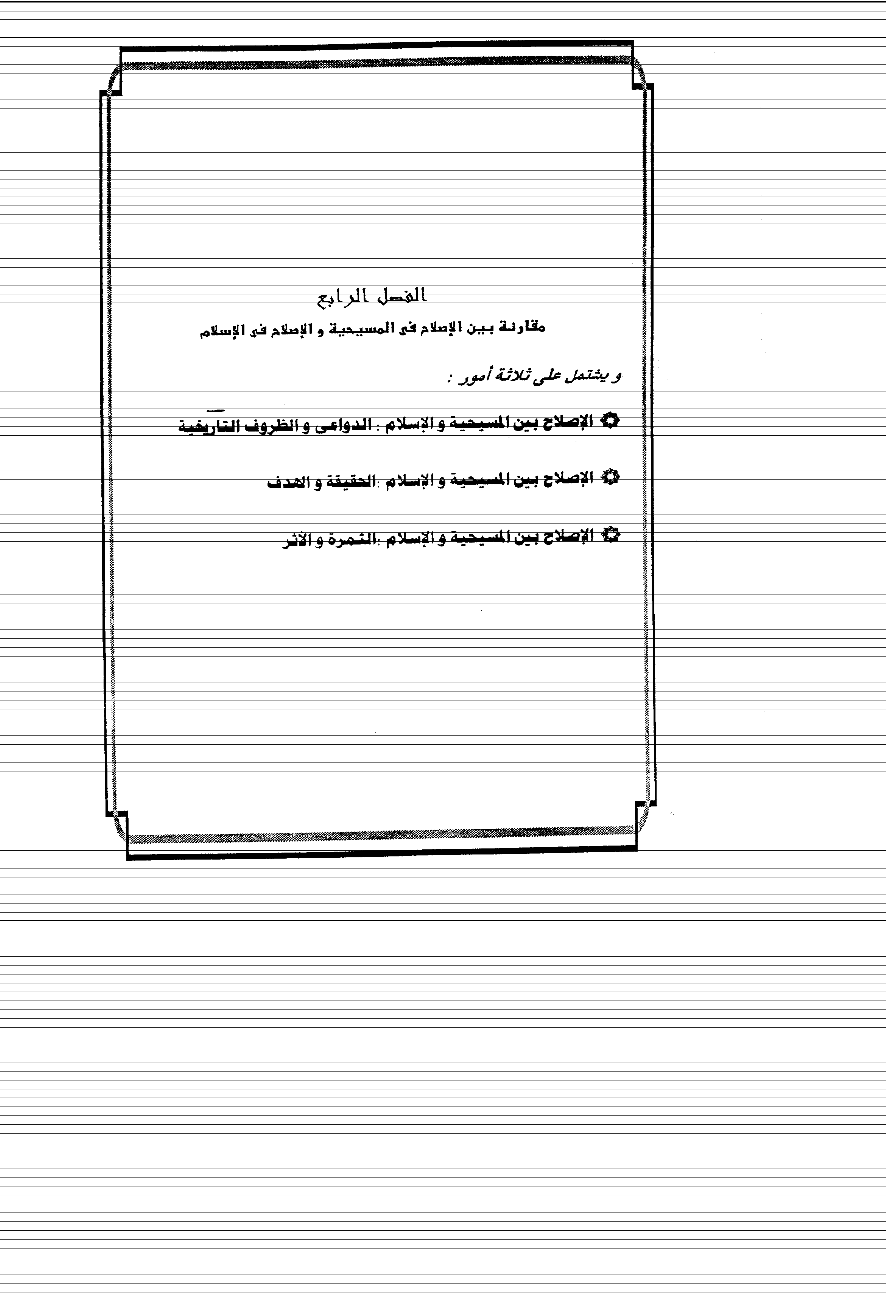
جـ-د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى : حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث صـ٦٨ .

د- أنور الجندى : محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل جـ٣ صـ٢٣٠ - ٢٣٤ .

✿ انظر أ- د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى ، المرجع السابق صـ٦٨ .

ب- د عثمان أمين : رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده صـ٢٥٣ - ٢٦٣ .

جـ- أنور الجندى : محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل جـ٣ صـ٢٢٧ .



الفصل الرابع

مقارنة بين الإصلاح فى المسيحية و الإصلاح فى الإسلام

و يشتمل على ثلاثة أمور :

- **الإصلاح بين المسيحية و الإسلام : الدواعى و الظروف التاريخية**
- **الإصلاح بين المسيحية و الإسلام :الحقيقة و الهدف**
- **الإصلاح بين المسيحية و الإسلام :الثمرة و الأثر**

الفصل الرابع

" مقارنة بين الإصلاح فى المسيحية و الإصلاح فى الإسلام "

تمهيد :

بعد أن تعرفنا على نماذج لبعض حركات الإصلاح الديني فيالمسيحية ، وأخرى لبعض حركات الإصلاح والتجديد فى العالم الإسلامى ، يبدو لنا أن ثمة فروقا جوهرية بين الإصلاح هنا وهناك ، ينبغى أن نبرزها من خلال هذا الفصل ، حتى نخلص إلى وضع حقائق ثابتة عن الإصلاح وحركاته بين المسيحية والإسلام

و ستتضح تلك الحقائق على النحو التالي :-

ـ الإصلاح بين المسيحية والإسلام ، الدواعى والظروف التاريخية .

ـ الإصلاح بين المسيحية والإسلام ،الحقيقة والهدف .

ـ الإصلاح بين المسيحية والإسلام ،الثمرة والأثر .

۞" الإصلاح بين المسيحية والإسلام، الدواعي والظروف التاريخية "

لقد اتضح لنا من خلال الحديث عن أسباب الإصلاح المسيحي ودواعيه ، أن مجموعة من العوامل كانت – في الغالب – أسباباً رئيسة لتصدى المصلحين للإصلاح

حيث كانت الكنيسة – المتحدثة باسم المسيحية – تنعم بالعيش في جو ديني صنعته الأهواء ، وأضفت عليه قدسية مزعومة ، فأضحى جواً فاسداً ، فالعقيدة لا تصلح أن تكون حلقة الوصل بين العبد وربه ، فقد غدت فكراً بشرياً صرفاً إلا ما ندر منها ! ، إذ الإله فيها ليس واحداً بل ثلاثة ، والعبادة لا تُؤدى له مباشرة ، بل لابد من وسيط بين العبد والرب وهو البابا ، ومؤسسته الدينية !

ولا عجب ، فالبابا يدّعى لنفسه من الحقوق ما لا يملكه بشر ، فهو يغفر الذنوب ويثيب ويعاقب ! ، ويحل ويحرم ! ولو لم تسعفه النصوص المقدسة ! ، إذ أنه ليس في حاجة إليها ، وذلك لأنه يملك من قرارات المجامع المقدسة ما يفوق نصوص الكتاب المقدس قداسة ، واحتراماً !!.

وكما أحكم البابا وكنيسته القبضة على شئون الآخرة ، فقد أحكماها أيضاً على شئون الدنيا ، فكان الاستبداد والطغيان سمة لازمة لتلك المؤسسة الدينية ، مارسته مع الملوك والأمراء ومع العقل ، والعلم ، وأهليهما !

والعجيب أن هذه المؤسسة الدينية التي نِيط بها حماية الدين ، وإعطاء المثل الكامل في كل شيء ، كانت منغمسة إلى أذنيها في كنز المال ، وممارسة الرذائل فاصطدمت بالملوك والأمراء والعلماء ، فكانت النتيجة أن فقدت دنياها بعد أن فقدت دينها .

هذه هى الدواعى والظروف التاريخية التى واكبت الإصلاح المسيحى بإجمال ،إلا أن الأمر فى الإسلام يختلف – عنه تماما – فى المسيحية المحرفة .

فحينما نقارن بين دواعى الإصلاح وظروفه فى المسيحية والإسلام نجد البون شاسعا والفارق كبيرا ، فعقيدة الإسلام هى عقيدة الفطرة النقية التى لم تتدنس بوثنية أو شرك إنها عقيدة التوحيد الخالص ، وليس فى الإسلام عبادة تؤدى لوجه غير وجه الله وإلا فهى باطلة ومردودة على صاحبها ، فلا عبادة لتماثيل ، أو صور أو كهّان وليس فى الإسلام تعويل على معبد ، أو وسيط ، فالمسلم (حدة كاملة فى أمر دينه يصلى حيث يشاء ولا تتوقف له نجاة على مشيئة أحد ن البشر) [١] .

يقول سبحانه [وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون] [٢] .

وليس فى الإسلام سلطة دينية استبدادية كتلك التى وجدت فى المسيحية المحرفة (تحتكر الدين وتتحكم فى الضمائر ، وتغلق عن الناس باب الله إلا عن طريقها .

عنها تصدر قرارات الحرمان ، أو صكوك الغفران ، إنما كل الناس فى الإسلام رجال لدينهم ، و لا يحتاج المرء فيه إلى واسطة بينه وبين ربه فهو أقرب إليه من حبل الوريد) [٣] .

وإذا كان من دواعى الإصلاح فى المسيحية ، فساد " رجال الدين " ، فإن ذلك (لا يحصل فى أمة إسلامية فسد فيها علماؤها ، فما من مسلم يذهب إلى إمام فى

---

(١) عباس محمود العقاد – الإسلام فى القرن العشرين – ص ٢٤ .

(٢) سورة البقرة – الآية (١٨٦) .

(٣) د/ يوسف القرضاوي – الإسلام و العلمانية وجها لوجه – ص ٤٢ .

مسجده ليقول له : خذ دينك إليك فإنني لا أومن به لأنني لا أومن بك ، ولا أرى في مسيرتك مصدِّقاً لأوامرك و نواهيك أو أوامره ونواهيه) [١]

مثل ذلك لا يحدث في الإسلام وما علماء الدين إلا (خبراء في اختصاصهم ، يُرجع إليهم كما يُرجع إلى كل ذي علم في علمه) [٢]

وليس في الإسلام خطيئة موروثة في الإنسان قبل ولادته ، فضلاً عن أن يحتاج في التوبة منها إلى كفارة من غيره !

فالله تعالى يقول [ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى] [٣]

فكل مسلم مرتهن بعمله ، و الإسلام يوازن بين الإيمان بقضاء الله وقدره ، وبين الإيمان بالتبعة والحرية الإنسانية .

والإسلام أيضاً لا يقسم المسلم قسمين بين الدنيا و الآخرة ، و لا يقسم الحياة بين الله وبين قيصر ، كما تصنع الكنيسة ذات المسيحية المحرفة ، فقد (أبت عقيدة الإسلام على الرجل أن يطيع الحاكم بجزء منه ، ويطيع الله بغيره ، وأبت على المرأة أن تعطى بدنها في الزواج لصاحبها ، وتنأى عنه بروحها وسريرتها) [٤] .

فالإسلام ينظم شئون الدنيا والآخرة ، و لا يطغى فيه جانب على آخر ، فهو عقيدة وشريعة ، دين ودولة .

كما أن الإسلام لم يقف يوما في وجه العلم ، أو يتنكر للعقل ، بل إنه دعا إلى الاعتماد عليهما في فهم الدين وعمارة الدنيا ، وقاوم التقليد والجمود ، وحث

---

(١) عباس محمود العقاد – الإسلام في القرن العشرين – ص ٢٥ .

(٢) د / يوسف القرضاوي : المرجع السابق – ص ٤٢ .

(٣) سورة فاطر – الآية (١٨) .

(٤) عباس محمود العقاد – الإسلام في القرن العشرين – ص ٢٧ ، ٢٨ .

على التفكير والاجتهاد ، والتجديد ، ورحب بكل اكتشاف علمى ثابت صحيح وكرم العلماء وأعلى منزلتهم حين قال سبحانه :

[قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون] [١] .

وحين قال أيضا :

[يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات] [٢] .

هذا على العكس من الكنيسة التى تنكرت للعقل ، وحاربت العلم وأهله ، ونستطيع أن نقول فى جملة مختصرة : إن تاريخ الكنيسة – ممثلة المسيحية المحرفه – ومسيرتها يختلفان تماما عن تاريخ الإسلام و مسيرته ، ومن هنا لم تكن دواعى الإصلاح فى المسيحية نفس دواعيه فى الإسلام ، و لهذا اختلفت حقيقتهما ، وتباينت أهدافهما .

---

(١) سورة الزمر – الآية (٩)

(٢) سورة المجادلة الآية (١١) .

✿ "الإصلاح بين المسيحية و الإسلام :الحقيقة والهدف "

يُصر بعض من تحدثوا عن الحركات الإصلاحية المسيحية والإسلامية على أن هناك تطابقا تاما بينهما من جميع الوجوه ✿

والحق أنه قد يكون هناك تشابه في بعض شكليات الإصلاح ومظاهره ، ويتجلى ذلك في بعض مطالب الإصلاح ، كجعل " الكتاب المقدس " المصدر الوحيد للمعرفة ، والالتزام بالدين ، و رفض السلطة الكنسية ، سواء كانت ممثلة في البابا أم في " المجامع المقدسة " ، و إلغاء الوسائط بين الله والناس ، و اعتبار الخلاص و النجاة بالإيمان وحده .

كل هذا قد يكون صحيحا ، ولكن مع ملاحظة أن ما تصدى المصلحون المسيحيون لإصلاحه ، وتغييره كان يُمارَس من قبل" الكنيسة الكاثوليكية" باسم الدين، و" المسيح" و لَوْ زوراً ! .

وهناك ملاحظة أخرى جديرة بالانتباه إليها ، ألا و هي الفارق الكبير بين " الكتاب المقدس " الذى دعا المصلحون المسيحيون إلى العودة إليه ، وبين " القرآن الكريم " الذى تعهد الله عز وجل بحفظه من التحريف والتغيير ، فلقد داخل كتابهم المقدس التغيير و اعتراه التحريف .

وهناك أيضا ملاحظة ثالثة ، مؤداها أن الخلل كان في العقيدة ذاتها بالنسبة لإصلاح المسيحية .

أما المصلحون المسلمون ، فقد تصدوا للمفاهيم الخاطئة ، ولإصلاح الخلل في فهم بعض المسلمين للإسلام ، والعودة بهؤلاء المنحرفين عن طريق الإسلام السوى إلى صراط الله المستقيم .

✿ انظر ما كتبه د/ محمد عبد السلام الشاذلى : تطور الفكر العربى جـ١ صـ٧٧ : ٩٣ .

وقد يكون هناك تشابه بين حركات الإصلاح المسيحية والإسلامية ، من حيث سعْى كلٍ منهما لإصلاح الناحية السياسية و الاجتماعية والفكرية .
و من حيث تَعَرُّض بعض المصلحين هنا وهناك للمصادمات مع الحكام المستبدين فكل هذا لا يُنكر و لا يُجحد ، إلا أنه لا تزال الفوارق والاختلافات كبيرة بين حقيقة كل من الإصلاحين وغايته التى يرمى إليها ، وهذا ما يتضح من خلال هذين الأمرين :ـ

الأمر الأول :ـ

لم تكن حركات الإصلاح المسيحية محاولة لإصلاح العقيدة ، بقدر ما كانت محاولة لإصلاح "الكنيسة الكاثوليكية"، والقضاء على سلطان " المجامع المقدسة " ولعل نظرة عاجلة على ما نادى به " لوثر " والمصلحون من قبله و من بعده — إذا استثنى منهم هؤلاء الذين نادوا بالتوحيد المجرد ورفض ألوهية المسيح — تدلنا على حقيقة الإصلاح المسيحى وطبيعته وغايته .
فقد نادى المصلحون المسيحيون (بإصلاح محدود و قاصر ينحصر فى مسائل جزئية وعارضوا بضع عقائد ألحّت عليها "الكنيسة الكاثوليكية") [١] .

و لم يتطرقوا إلى بعض الأمور التى تعد أولى المسائل بالإصلاح (كمسألة التثليث ، ومدى سلامة قرارات المجامع السابقة فى العقيدة ، و مسألة أكل لحم المسيح ، وشرب دمه أو ما يعرف بـ " العشاء الربانى" ، ومسألة صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر ، والبحث عن إنجيل المسيح نفسه ، واستبعاد التعاليم الدخيلة على المسيحية ، وخصوصا ما تعلق منها بالعقيدة) [٢] .

---

(١) أبو الحسن الندوى – رجال الفكر والدعوة فى الإسلام – ص ٢٠ .
(٢) انظر المستشار محمد عزت الطهطاوى – النصرانية والإسلام – ص ١٤٤ .

إن ما يبدو من تاريخ تلك الحركات الإصلاحية المسيحية ، يثبت أنه حتى المصلحين أنفسهم لم يطبقوا ما نادوا به من آراء ومبادئ ، فلو أنهم قرأوا كتابهم المقدس و تجردوا للحق ، و تدبروا ما جاء فيه ، لأدركوا التناقض الرهيب بين النص والعقل بل بين النص والنص ، ولأيقنوا أن كتابهم المقدس – بحالته تلك– لا يرقى لمستوى كلام الله رب العالمين .

بل إن من يُمعن النظر فى مسيرة الإصلاح الدينى المسيحى ، وخاصة إصلاح "البروتستانت" يتضح له بجلاء أن هؤلاء المصلحين قد اتخذوا الدين ستارا يُخفون تحته أهدافهم وأغراضهم ، و التى ربما كان منها :

محاولة الوقوف فى وجه الزحف الإسلامى ، والحيلولة دون ترسيخ أقدامه فى قلب أوروبا ، خاصة وأن المصلحين المسيحيين أدركوا أن مبادئ الإسلام التى – تتوافق مع الفطرة البشرية – ستضع الكنيسة و عقيدتها الملفقة فى موقف حرج قد تفقد معه الكنيسة ذاتهاودينها و أتباعها .

بل ربما كانت بعض تلك الحركات – و بالتحديد – " الحركة البروتستانتية " مدفوعة من قبل اليهود ، الذين سعوا إلى اختراق المسيحية (بهدف – القضاء على الكنيسة التى تضم جميع المسيحيين)[١] .

أو على الأقل تمزيقها وتفتيت وحدتها ، التى تمثل خطرا عظيما على اليهود وأطماعهم أو بهدف إعادة طرح فكرة معينة مؤداها :
(أن اليهود هم الأمة المفضلة ، وأن عودتهم إلى أرض فلسطين تحقق وعد الله ، و أن هذه العودة ضرورية لعودة " المسيح " وقيام مملكته مدة ألف عام)[٢] .

---

(١) أنور الجندي – الإسلام والغرب – ص ١١٤

(٢) محمد السماك – الأصولية الإنجيلية – ص ٣٧ وانظر : غريس هالسل : النبوءة والسياسة – ص ١٣٥–١٤٥. من الترجمة العربية لمحمد السماك .

خاصة و أن "الكنيسة الكاثوليكية" تبنّت فكرة مغايرة مفادها : (أن ما يسمى بالأمة اليهودية قد انتهى ، وأن الله طرد اليهود من" فلسطين" إلى " بابل " عقابا لهم على صلب المسيح) [١] .

أما المصلحون المسلمون فلم يكن تصديهم مجرد رد فعل على بعض المساوئ فى العالم الإسلامى ، و إنما قاموا بذلك استجابة لعقيدتهم التى جعلت هذا الأمر جزءا من واجبهم الأساس ، نحو الأمة ،وهدفا من أهداف تمكينهم فى الأرض ، يقول سبحانه :

[الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتَوا الزكاة و أمروا بالمعروف ونَهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور] [٢] .

إن العقيدة الإسلامية الحية فى نفس المسلم لا تدعه ينعم براحة أو استقرار فى الوقت الذى ينحرف فيه المجتمع أو يعتريه الفساد ، أو البعد عن منهج الله ، والمسلم حينما يقوم بدوره نحو مجتمعه إنما يتفاعل مع سنة الله فى خلقه :

[ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين] [٣] .

ولئن كان اليهود قد نجحوا فى تسخير بعض حركات الإصلاح المسيحية لتنفيذ أغراضهم ، فإن حركات الإصلاح الإسلامية ، قد استعصت على أن تكون عصاً فى يد محارب لله عز وجل ، ولا عبرة بتلك الحركات المأجورة ، التى تزيّا أتباعها بزى الإسلام ، وأضمروا فى صدورهم الكيد له ، و زعموا أنهم ينشُدون الإصلاح ، ولا بتلك التى فُتنت ببريق الحضارة المادية الزائف ، ودَعت إلى تقليد

---

(١) محمد السماك – السابق نفسه .

(٢) سورة الحج – الآية (٤١) .

(٣) سورة البقرة – الآية (٢٥١) .

أصحابها تقليدا أعمى ، فكل هؤلاء قد استبان أمرهم ، وظهر فى لحن أقوالهم ما يُنبئ عما تُكِنّ صدورهم و كفى الله المؤمنين شرهم .

الأمر الثانى :-

يُعتبر الإصلاح المسيحى مرحلة من مراحل تطور العقيدة المسيحية ، إذْ كانت حركاته سببا مباشرا فى خلق مذهب جديد ، يختلف عن مذهب "الكنيسة الكاثوليكية" بل ويبتعد بصورة كبيرة عن "المسيحية" ، التى جاء بها " المسيح " " عليه السلام " ، مما ترتب عليه تفاقم الصراعات بين أتباع كل مذهب حتى وقتنا الحاضر كل يدعى أنه على العقيدة الصحيحة وهم فى الحقيقة أبعد ما يكون عنها !.

بل إن أتباع المذهب الواحد كانوا مختلفين فى أهم المسائل الاعتقادية مثل اختلاف " لوثر " و " زونجلى " و " كلفن " فى مسألة القربان* ! فضلا عن غيرها من الأمور بينما كانت حركات الإصلاح الإسلامية عاملا مهما من عوامل الحفاظ على العقيدة الإسلامية والشريعة الإلهية ، فلم تختلف العقيدة الإسلامية أو تتطور باختلاف المصلحين وحركاتهم .

بل كانت تلك الحركات أبلغ دليل علمى شمول الإسلام وصلاحيته لكل عصر ومصر ولم تكن اختلافات المصلحين فى بعض المسائل الفرعية القابلة للاجتهاد . وتباين وجهات النظر ، إلا تعبيرا بليغا عن سعة شريعة الإسلام ومرونتها ، وعدم جمودها إضافة إلى دلالتها على أن فهْم الإسلام ونصوصه ليس وقْفا على فئة معينة من الناس بل يحق ذلك لأى أحد مادام أهلاً للنظر والاجتهاد .

و هكذا تتباين حقيقة الإصلاح وأهدافه بين الحركات الإصلاحية المسيحية و الإسلامية .

---

* أنظر ص ١٦٦، ١٦٧ من الرسالة .

۞ " الإصلاح بين المسيحية والإسلام ، الثمرة والأثر "

لقد تباينت آراء من تحدثوا عن مدى نجاح حركات الإصلاح المسيحية أو فشلها ، والحقيقة التى تبدو من تاريخ الإصلاح المسيحى ، تُظهر أن تلك الحركات – باستثناء حركات الموحدين – كانت جناية على الدين والدنيا ، ونستطيع تجليتها فيما يلى :-

أ- الجناية على الدين :

أما جنايتها على الدين فتتمثل فى إضاعتها لفرصة أكيدة لإصلاح العقيدة المسيحية المحرفة و الإبقاء على عقائد باطلة ، بإقرارها والخضوع لها مثل "عقيدة التثليث" ،
و "الصلب" ، و " الخطيئة الموروثة " ، و " العشاء الربانى " ، وغيرها .

فأوهمت الناس أنها تُصلح العقيدة بينما هى تجهز عليها ، ولم تتوقف تلك الحركات عند حد الإبقاء على تلك العقيدة الباطلة ، بل شرعت تضع قواعد لإصلاحها الذى قامت لأجله ، فدعت إلى اعتبار " الكتاب المقدس " السلطة النهائية .
وقامت بترجمته إلى لغة الشعب ، و اهتمت بإبراز (الفردية الدينية التى كانت قد فُقدت خلال " العصور الوسطى " بسبب الرأى القائل بأن الإنسان لا يجد نفسه إلا من خلال الكنيسة الجامعة ، أما الآن فالإنسان الفرد يمكن أن يكون له اتصال مباشر مع الله)[1] .
كما حرصت تلك الحركات على التأكيد على عقيدة أخرى ، يُعبِّر عنها بعقيدة

---

(١) إيرل كيرنز – المسيحية – عبر العصور – ص ٤١٣ .

(كهنوت جميع المؤمنين) [١] . أى أن الإنسان كاهنٌ نفسه ، و ليس فى حاجة لوسيط بينه و بين الله .

و الحق أن تلك الإصلاحات التى أقرَّتها حركات الإصلاح المسيحية ظاهرها الرحمة ، و باطنها العذاب ، فلو كان قصْد هؤلاء المصلحين من دعوتهم إلى التعويل على "الكتاب المقدس " - فقط - صادقا ، إذا لأدركوا قبل عامة الناس أن أسس و أركان عقيدتهم ، ليس لها نصوص تؤيدها من كتابهم المقدس ، و إنما هى قائمة على قرارات المجامع المقدسة ، و بالتالى فأين أصول العقيدة التى جاء بها المسيح ؟!

و يبدو أن هدفهم لم يكن إلا التخلص التام من تلك الكنيسة الجاثمة على قلوب الناس و عقولهم ، حتى تُتاح الفرصة كاملة لكل من أراد أن يعتنق أى عقيدة أن يفعل !

و أما دعوتهم إلى عقيدة كهنوت جميع المؤمنين ، و إبراز الفردية الدينية ، فلم تكن إلا إيذانا بجعل الالتزام بقواعد الدين مسألة فردية و حرية شخصية . فترتب على ذلك أن أضحى الدين (شيئا منعزلاً لا روحا تملأ الحياة بكاملها . و أصبح الكثيرون لا يذكرونه إلا فى صلاة يوم الأحد) [٢] .

بل إذا أراد الإنسان أن يعيش بلا دين و لاعقيدة فلا حرج !!فهذا ما توحى به مطالب " دعاة الإصلاح المسيحيين " !.

إن كل هذ المقدمات تُسلمنا إلى نتيجة واحدة خلاصتها :

---

(١) نفس المرجع - صـ٤١٣ .

(٢) زكريا فايد العلمانية النشأة و الأثر فى الشرق و الغرب صـ٢٠ ، ٢١ .

أن حركات الإصلاح المسيحية ، لم تُثمر إلا الفشل الذريع على الصعيد الدينى ، و هذا ما يؤكده الواقع من خلال تلك المادية الطاغية التى يغرق فيها العالم المسيحى الآن .

(لقد اختفت ألوهية المسيح لتحل محلّها ألوهية الإنسان) [١] ، (و استُبدلت الديانة " البولسية " بالديانة المادية ، وعبادة "المسيح" بعبادة المال) [٢] ، كما استُبدلت سيطرة الكنيسة " الكاثوليكية " بسيطرة " الكنيسة الإنجيلية " داعمة للملوك والأمراء .

وكأنّ الأمر مجرد تبادل للمواقع فحسب ! ،ففسر دعاة الإصلاح كتابهم المقدس بما يتلائم مع وجهات نظرهم ، و أنكروا على مخالفيهم ، بل و عدُّوهم من الهراطقة .

و لم يتورع دعاةُ الإصلاح المسيحى عن التنكيل بمخالفيهم فى العقيدة فهذا " لوثر " أعظم دعاة الإصلاح المسيحى ، الذى احتجّ فى يوم من الأيام على كبح الآراء ، وإحراق الملحدين ، ها هو ذا نفسه حينما قَوِى مركزه ، وتوطّد نفوذه (يوجب على الدولة أن تفرض ما يبدو لها رأياً سليماً ، وأن تستأصل الهرطقة لأنها رجس من عمل الشيطان ...بل إنه جاهر بإعدام طائفة "منكرى التعميد"✿ بالسيف بعد انسلاخها عنه) [٣] !!

و ها هو ذا " كلفن " أحد زعماء الإصلاح البارزين ، الذى عرف بشدة تعصبه

---

(١) د / عبد الغنى عبود – المسيح والمسيحية والإسلام – ص ١٤٦ .

(٢) أنظر – أبو الحسن الندوى – ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – ص ٢٥٧ – ٢٦٨ .

✿ منكرو التعميد أو المطالبون بإعادة التعميد هم طائفة ظهرت فى جنوبى ألمانيا وامتدت لتشمل أنحاء شتى من أملاك الإمبراطورية ، وطالبت عام ١٥٢٥م بإعادت تعميد الأطفال إذا بلغوا الحلم إذ أن تعميدهم قبل ذلك لا يتمشى مع تعاليم الإنجيل ولهم آراء أخرى وقد قضى عليهم عام ١٥٣٥م . انظر فى تاريخهم د / عبد العزيز الشناوي : أوربا فى مطلع العصور الحديثة – جـ١ ، ص٣٩٠،٣٩١ .

(٣) د / توفيق الطويل : قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام ص ١٠١ .

و ضيقه بآراء مخالفيه ، و تنكيله ببعضهم نفيا و حرقا و إعداما .

(ولعل موقفه من " ميشيل سرفيتوس " ✿ أصدق دليل على ذلك فحينما هاجم هذا الرجل عقيدة التثليث ، وأعلن وحدانية الله ، وصاغ أفكاره تلك في كتاب بعنوان : " إصلاح المسيحية " كان جزاؤه أن أُعدم بإحراقه حيا عام (١٥٥٣م) بأمر من " كلفن ") [١] .

و هكذا جنت حركات الإصلاح المسيحية على الدين والعقيدة ، وقضت بذلك على أي أمل لإصلاح العقيدة عن طريق أتباعها ، حين بدا – كذبا وزوراً – أنها أعادت العقيدة إلى أصولها الصحيحة .

ب – الجناية على الدنيا :

وأما جنايتها على الدنيا ، فنراها واضحة في موقف تلك الحركات من العقل والعلم وأهليهما ، إذ كان من المنتظر أن يتغير الموقف الديني من العقل ، وأن تتاح الفرصة للعلماء ليتخذوا مواقعهم الطبيعية في المجتمع ، ربما حدث ذلك فترة من الزمن ، إلا أن الأمر لم يدم طويلا ، إذ أقرت تلك الحركات وخاصة " البروتستانتية " عقوبة الإعدام قانونا يخضع له كل من أتى باكتشاف جديد يخالف عقيدتهم !

(وقد وصف " لوثر " نفسه " أرسطو " [الذى كان يلقب عند " المسلمين " بـ" المعلم الأول "] بالخنزير الدنس الكذاب ! ، وقال عن " كوبرنيكوس " – أول رائد عرفه تاريخ علم الفلك الحديث – إنه أول منجم مأفون مصاب بمس ! ! ولم يكن الزعيم الثاني " كلفن " بأرحب صدرا من صاحبه ، فقد قاوم حرية الضمير

✿ عن هذا المصلح الذى دعا إلى التوحيد – انظر ص ٧٢، ٨٤ من الرسالة .

(١) د / عبد العزيز الشناوى – أوروبا فى مطلع العصور الحديثة – جـ١ ، ص ٥٠٩، ٥١٠ .

والنظر العقلي ، ونكّل بمن وقع في يده من أهلها شر تنكيل ، وأعلن تكفير كل من أنكر القول بأن الأرض – لا الشمس – مركز الكون! [١]

ولئن عرفت أوروبا شيئا من حرية النظر والفكر والبحث ، فقد كان ذلك على كره من زعماء الإصلاح الذين أيدوها عن غير قصد حين دعوا إلى رفع احتكار الكنيسة لتفسير " الكتاب المقدس " ، فقد كان ذلك موقفها إلى أن قويت شوكة دعاة الإصلاح فوقفوا من تلك القضية نفس موقف "الكنيسة الكاثوليكية" ، مع فارق شكلي يتمثل في إلغاء " محكمة التفتيش " التي زال اسمها ، وبقي عملها. يضاف إلى جناية حركات الإصلاح المسيحية على الدنيا ذلك التفكك الذي حدث في أوروبا بسببها إذ (تمزقت وحدة أوروبا ، وتقلصت حدود المجتمع من الإمبراطورية العالمية إلى الدول القومية ذات الحدود الجغرافية المعيَّنة .) [٢] فكان ذلك التمزق (مقدمة لتحول أوروبا عن المسيحية كلية، وعودتها مرة أخرى إلى الوثنية اليونانية ، والعبودية الرومانية ، وكأن عصر النهضة علامة هذا التحول)[٣] .

بل إن تمزق هذا الجسد الأوربي أدى – بعد تحطيم الكنيسة التي كانت تربط بين أجزائه – (إلى قيام سلسلة من الحروب هددت أمن الأوربيين جميعا) [٤] .
و لا أنكر أن بعض المؤرخين يرى أن تلك القوميات التي نشأت عن تفكك أوربا كانت واحدة من حسنات الإصلاح المسيحي وحركاته .

---

(١) أنظر د/ توفيق الطويل – قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام – ص ١١٢ .

(٢) زكريا فايد – العلمانية النشأة والأثر في الشرق والغرب – ص٢٢ .

(٣) أنور الجندي – الإسلام والغرب – ص ١١٣ .

(٤) د/ عبد الغني عبود – المسيح والمسيحية والإسلام – ص ١٤٧ .

و إذا أردنا أن نُجمل ثمرة الإصلاح المسيحى وأثره ، فإنه يتبين لنا أن تلك الحركات لم تستطع أن تحقق شيئا على طريق إصلاح العقيدة المسيحية ، بل على العكس زادتها تحريفا وَبُعدا عن عقيدة "المسيح" — هذا مع ملاحظة ما قامت به بعض الحركات التى نادت بالتوحيد ، و التى لم يكتب لها هى الأخرى البقاء و الاستمرار وتزعّم إصلاح المسيحية .

كما لم تستطع تلك الحركات أن تُصلح من أحوال الكنيسة إلا بقدر ضئيل جدا ولم تستطع التغلب على البابا وأفكاره وأتباعه :

(ولكن قنعت بإنشاء كنائس لها تظهر فيها المبادئ الإصلاحية ، التى اعتنقتها و تركت آلاف الكنائس الأخرى تسير على النحو الذى كانت تسير عليه من قبل)[1]

ومن الإنصاف لهذه الحركات الإصلاحية المسيحية ، أن أذكر أنها – بلا شك – تمخضت عن بعض الفوائد بالنسبة للمجتمع الغربى تبدو فيما يلى :-

أولا : نجحت تلك الحركات فى الحد من سطوة البابوية ، وسيطرتها إلى حد كبير .

ثانيا : لفتت أنظار الناس إلى الفساد الرهيب الضارب بجذوره فى قلب الكنيسة "الرومانية" ، و إلى الثراء الفاحش الذى يرفُل فيه رجالها .

ثالثا : أحدثت انتفاضة اجتماعية تمثلت فى عدة ثورات قام بها الفلاحون ، والفرسان وغيرهم .

رابعا: أحدثت انتفاضة سياسية على الملوك المستبدين والإقطاعيين .

خامسا : بَعثت روحا من النهضة الثقافية ، تمثلت فى إنشاء المدارس .

---

(١) د/ أحمد شلبى – المسيحية – ص ٢١٩ .

و العناية بالتعليم ، ولكن أين الأهم من كل ذلك ؟! أين إصلاح العقيدة ؟ !

وأما حركات الإصلاح الإسلامية التى تصدت لإصلاح أحوال العالم الإسلامى ، والتى ذكرت نماذج لبعضها ، فقد أثمرت ثمارا طيبة ، وأثرت تأثيرا عظيما فى شتى نواحى الحياة وذلك على النحو التالى :ـ

أولا : أسهمت تلك الحركات الإصلاحية الإسلامية فى الحفاظ على عقيدة الإسلام صافية نقية ، وتخليصها من كل فكر بشرى دخيل .

ثاني : أزاحت عن عقيدة التوحيد كل ما يتنافى مع الإقرار لله وحده بالعبودية وما ذلك إلا لأن هذه الحركات لم تأت بدين غير الدين الصحيح ؛ بل إنها استقت كل مبادئها و أفكارها من المصدرين الرئيسين فى الإسلام ، القرآن والسنة .

ثالثا :عملت هذه الحركات على الإبقاء على التراث الإسلامى والحفاظ عليه بتنقيته من كل ما يتنافى وعقيدة الإسلام .

رابعا : حرصت على إبراز الصورة الحقيقية المشرقة للإسلام الشامل الكامل التام الذى يهتدى به المسلم فى كل مكان وزمان ، مما كان سببا فى انتشار الإسلام فى كثير من بقاع العالم ، بل و فى اعتناق كثير من أهل الملل الأخرى عقيدة الإسلام .

خامسا : كان لتلك الحركات فضل كبير فى رد عدوان المعتدين ، وهجماتهم الشرسة على الإسلام و أهله أيا كان نوع الاعتداء و شكل الغزو .

ولم يقتصر أثر تلك الحركات على الناحية الدينية ، بل امتد ليشمل الناحية العقلية والفكرية ، والاجتماعية . والسياسية ، والاقتصادية . إذ أن طريق الإصلاح الشامل يبدأ بحماية العقيدة . فإذا صلحت للأمة عقيدتها ؛ وسلم لها دينها ، تبع ذلك صلاح دنياها . وسلامة مجتمعاتها .

و قد ذكرتُ أثناء البحث شيئاً عن أثر كل حركة من حركات الإصلاح في العالم الإسلامي .

و قد كان قصدي في هذا البحث أن أذكر نماذج لحركات الإصلاح الإسلامية ، دون إحاطة بجميعها ، و ذلك لأسباب عدة لا تخفى على المهتمين بدراسة تلك الحركات .

و قد كان بودي أن أضم إلى تلك الحركات – التي تناولتها بالدراسة – بعض حركات الإصلاح الأخرى ، التي كان لها دور عظيم في إصلاح أوضاع العالم الإسلامي لا يقل بحال من الأحوال عن دور الحركات التي وردت في ثنايا البحث ، إلا أن خشيتي أن يطول البحث إطالة مملة ، جعلتني أقتصر في بحثي على تلك الحركات الإصلاحية الثلاث التي تعد من أهم الحركات الإصلاحية و التجديدية في العالم الإسلامي .

و أستطيع القول بأن حركات الإصلاح الإسلامية قد نجحت في تحقيق ما قامت لأجله و تكاملت فيما بينها و تساندت . و تعاضدت . متناسبة مع ظروف العصر و تحدياته لتعطي في النهاية صورة مشرقة و مشرفة عن الإصلاح الذي ينشده الإسلام و يدعو إليه .

الخـــاتمـــة

و تشتمل على أمرين :

- **نتائج البحث**
- **التوصيات و المقترحات**

الخاتمة

لقد امتُحنت المسيحية فى عهدها الباكر بتحريف لا يوجد له نظير فى تاريخ الديانات فى عهدها الأول ، فانتقلت من ديانة بسيطة توحيدية ، إلى ديانة وثنية وذلك على يد داعيها الكبير وبطلها العظيم (بولس ١٠ق. م – ٦٥م) .

و كان الإسلام – من أول عهده – هدفا لهجمات عنيفة قاسية لا تعرف الهوادة ولا الرفق ولا ترضى إلا بالإفناء ، ومُنى فى سيره الطويل بمؤامرات و ثورات ، وكان عرضة لتحريف الغالين ، و انتحال المبطلين .

ويبدو أن تلك الابتلاءات التى تعرضت لها رسالات السماء ، تعتبر أمرا ضروريا يثبت أن الأديان لا تعيش ، ولا تزدهر ، ولا تعود إلى شبابها و نشاطها ، بعد ضعفها فى القلوب ، و لا تتلائم مع روح العصر ، إلا عن طريق المصلحين النوابغ ، الذين يظهرون فيها حينا بعد حين ، و قد أخفق دعاة الإصلاح المسيحى فى إصلاح الخلل الرهيب الذى أصاب عقيدتهم و كتابهم المقدس ، بل لقد اتسع الخرق على الراقع كما يقال !

و ذلك على العكس من الإسلام الذى استطاع المصلحون من أبنائه أن يدفعوا عنه تلك الهجمات الشرسة ، و أن يردوها على أعقابها لتبقى عقيدة الإسلام محتفظة بالمسحة الإلهية والنور الربانى .

نتائج البحث

لقد اتضح لنا من خلال البحث فى تاريخ الإصلاح - الذى رفعت لواءه بعض الحركات فى المسيحية والإسلام - بعض النتائج التى أجملها على النحو التالى:-

أولا : أن قياس الإصلاح الإسلامى ، وحركاته على الإصلاح المسيحى و حركاته قياس مع الفارق ؛ حيث اتضح من خلال البحث اختلاف الدواعى والظروف التاريخية والأهداف والغايات والنتائج .

ثانيا : سلامة المنهج الإسلامى فى الإصلاح وأصالته ، إذ ينشد إصلاحا حقيقيا يشمل الظاهر والباطن ، بخلاف المنهج الذى سلكه المصلحون المسيحيون ، الذين شغلوا أنفسهم بأمور شكلية ، لا تسمن ولا تغنى من جوع ، وغفلوا عن الإصلاح الحقيقى ، أو أغفلوه .

ثالثا : لم يستطع المصلحون المسيحيون أن يُبطلوا أصلا من الأصول التى أقام عليها " بولس " مسيحيته الثانية ، واهتموا فقط بإصلاح أحوال الكنيسة ولم يُفلحوا فى ذلك .

رابعا : كُلّما كثر المصلحون المسلمون ، كلما انتعش الإسلام فى قلوب المسلمين وظهرت أصالته ، وعظمته ، بخلاف المسيحية التى كلما كثر مصلحوها كلما ازداد انحرافها وضلالها ، وتشعبت مذاهبها .

خامسا : أن أحق دعاة الإصلاح من المسيحيين بوصف المصلحين ، إنما هم هؤلاء الذين سعوا إلى إصلاح المسيحية إصلاحا حقيقيا ، وإعادتها إلى أصولها الأولى ، إنهم الذين عرفوا بالموحدين ، الذين ذاقوا العنت فى سبيل دعوتهم ، رغم فشل مساعيهم فيما كانوا يهدفون إليه .

سادسا : لئن كان المستفيد الأكبر من حركات الإصلاح المسيحية ، إنما هم هؤلاء الملوك والأمراء ، الذين كانوا يخضعون لسيطرة الكنيسة والبابا ، فإن كل فئات المجتمع الإسلامي قد استفادت من حركات الإصلاح الإسلامية ، وشعرت بروحها تسري في دمائها .

سابعا : لقد كانت مبادئ الإسلام وقيمه أحد أهم العوامل التي أثمرت النهضة في أوربا ، كما كانت أحد روافد الإصلاح المسيحي ، بل وسببا من أسباب قيام الإصلاح المسيحي ، إما بدافع الاستفادة مما عند الآخرين ، أو بهدف الوقوف في وجه الإسلام الزاحف لفتح أوربا و غيرها ، وسد الثغرات أمام دعاته ومصلحيه .

ثامنا : لئن كانت حركات الإصلاح المسيحي قد أثمرت إقامة مصالحة بين الإنسان الأوربي وعقله ، وبين الإنسان والعلم ، و بالتالي أثمر ذلك كله تلك الحضارة المادية الهائلة ؛ فلقد كان ذلك كله على حساب العقيدة المسيحية ذاتها إذ أضحت على هامش الحياة ، بل إن الإنسان الأوربي لم يحسن الاستفادة من حضارته التي أقامها فكانت في كثير من الأحيان وبالا عليه ، وشرا يجني ثماره السيئة ، يوماً بعد يوم .

تاسعا : إن السبب الرئيس في فشل الحركات الإصلاحية المسيحية في إصلاح عقيدتها ، إنما هو غياب المرجعية الدينية الصحيحة ، فإلى أي شيء يحتكمون إذا اختلفوا في أمر من أمور العقيدة ؟!

إلى كتاب نُسبت إليه القداسة من قبل البشر ؟!!

أم إلى مجامع يُحتكم فيها إلى أهواء البشر ؟!

لقد ضاع مصدر الدين وحل محله فكر الإنسان وعقله .

عاشرا : إذا كان المصلحون المسيحيون قد فشلوا فى إصلاح دينهم ، بل وحاربوا الداعين إلى التوحيد ، والبحث عن مصدر الدين الإلهى الصحيح ، فكيف السبيل إلى إصلاح المسيحية ؟!

لقد أرسل الله عز وجل من يحقق ذلك ، حين ختم النبوة برسالة الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ ، وجعلها الله سبحانه وتعالى النموذج الأكمل والأتم لإصلاح المسيحية والعودة بها إلى التوحيد الذي أرسل الله به " عيسى " بن " مريم " " عليهما السلام "

التوصيات والمقترحات

و فى ختام هذا البحث أضع هذه التوصيات وتلك المقترحات التى يفرضها البحث فى تاريخ الإصلاح وحركاته بين المسيحية والإسلام وهى كما يلى :-

أولا : أقترح على الباحثين المتخصصين فى علم دراسة الأديان و مقارنتها أن يهتموا بدراسة الحركات الإصلاحية التى عرفتها الأديان ، وأن يحرصوا على إبراز الوجه الحقيقى لها من خلال أهدافها وغاياتها بحيدة وموضوعية .

ثانيا : كما أوصى باستقصاء تاريخ الحركات الإصلاحية ، التى قامت فى المسيحية منادية بالتوحيد ، ورفض ألوهية المسيح ، وتقديمها لكل باحث عن الحقيقة بصدق وموضوعية .

ثالثا : أقترح بأن تدرج الحركات الإصلاحية الإسلامية الحديثة ضمن المناهج الدراسية المتخصصة ، و أن تحظى بمثل ما تحظى به الفرق الإسلامية القديمة من الاهتمام وذلك من باب الاهتمام بقضايا زماننا ، ومشكلات عصرنا .

رابعا : و أوصي بضرورة ترشيد الصحوة الإسلامية التي نشعر بها تنمو يوما بعد يوم ومحاولة الأخذ بيد تلاميذها نحو الفهم الصحيح الرشيد ، دون ضيق بها أو ضجر منها ودون إفراط أو تفريط ، حتى تستفيد الأمة الإسلامية من جهودها ، و ينقطع رجاءُ أعدائها وأملُهم في النيل منها أو توجيهها ضد الأمة وأبنائها ، ومصالحها .

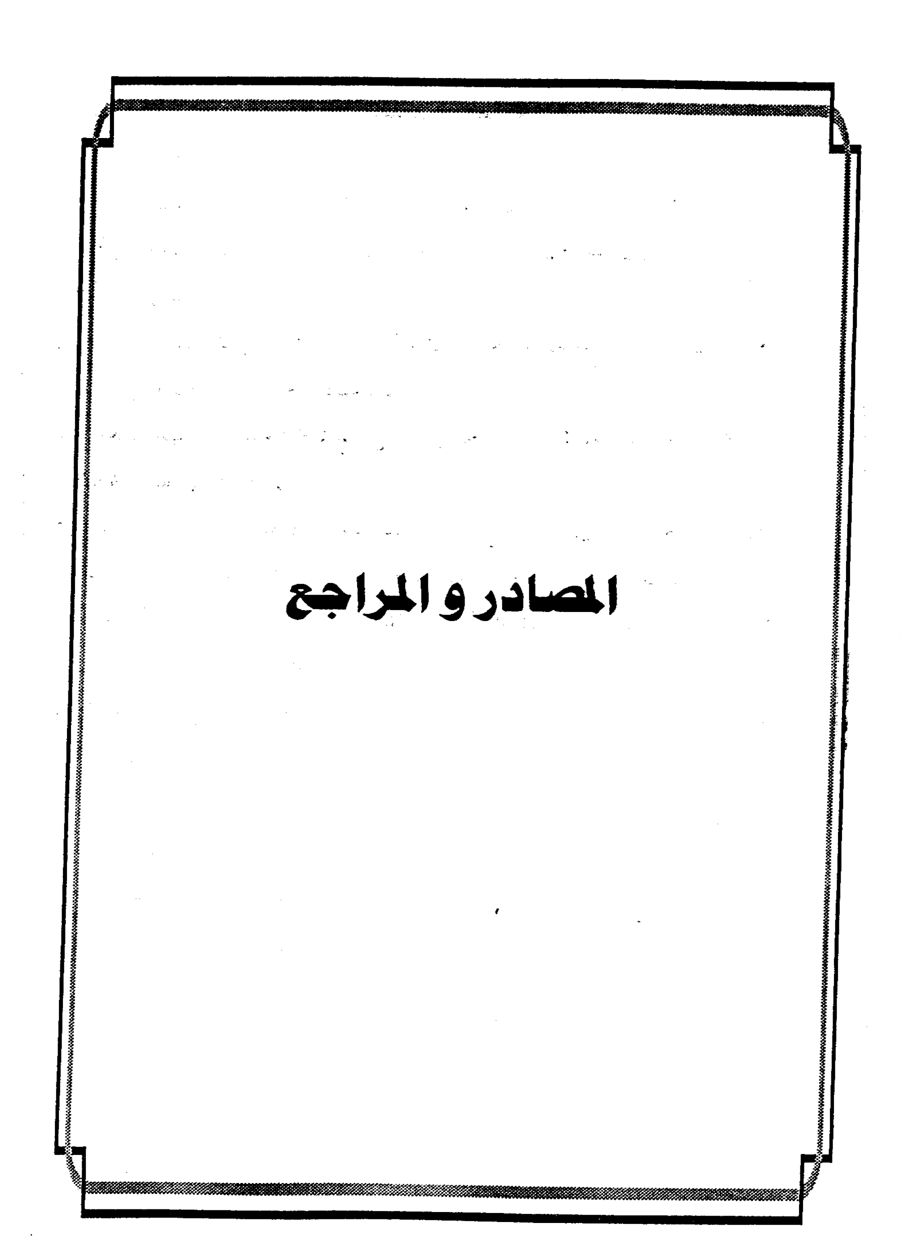
و بعد ، فهذه رسالتي أضعها بين يدي أساتذتي الفضلاء ، و كل ما أرجوه أن يتقبل الله عز وجل هذا الجهد المتواضع خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع بهذه المحاولة من يسلك نفس السبيل .

ويشهد الله أنني بذلت في هذا البحث قصارى جهدي ، ولم أبخل عليه بوقت أو جهد أو مال ، فإن كنت أصبت فالحمد كله لله ، وإن كنت قد أخطأت فمن نفسي وحسبي أنني بشر يصيب ويخطئ ، و ها أنا ذا في قمة الإصغاء لأساتذتي الفضلاء يصححون لي ما أخطأت في تبيانه ، و يصوبون ما زل به القلم ، ولهم التقدير والاحترام والدعاء .

و إنني إذ أشكر الله تعالى على توفيقه ومنّه لأشكر من بعده فضيلة الأستاذ المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور " على محمد عبد الوهاب " على ما منحني من توجيهات وإرشادات كان لها أثر كبير في خروج الرسالة بهذا الجوهر ، وذاك المظهر ، كما أتقدم بخالص الشكر ، لكل من أسهم بجهده المشكور في شيء من الرسالة .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين


المصادر و المراجع

﴿ المصادر و المراجع ﴾

١) القرآن الكريم

٢)أ/ أبو الحسن الندوى – ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – مكتبة السنة ١٩٩٠ .

٣)أ/ أبو الحسن الندوى – رجال الفكر و الدعوة فى الإسلام – الطبعة الرابعة – دار القلم-بدون تاريخ .

٤)أ/ أبو بكر عبد الرازق – الشيخان الأفغانى و محمدعبده يردان افتراءات المستشرقين على الإسلام و المسلمين – مكتبة مصر د/ت .

٥) أ/أحمد أمين – زعماء الإصلاح فى العصر الحديث – الطبعة الثالثة – مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٣م .

٦) أحمد بن حجر بن محمد آل أبو طامى – الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية و دعوته الإصلاحية – من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة د/ت

٧) د/أحمد شلبى – موسوعة التاريخ الإسلامى و الحضارة الإسلامية – الطبعة الأولى مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٧م .

٨)د/ أحمد شلبى – مقارنة الأديان " المسيحية " الطبعة العاشرة – مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٣م .

٩)د/ أحمد صدقى الدجانى – الحركة السنوسية نشأتها و نموها فى القرن التاسع عشر الطبعة الأولى ١٩٦٧م .

١٠)د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى – حركة التجديد الإسلامى فى العالم العربى الحديث معهد البحوث و الدراسات العربية ١٩٧١ م .

١١)أ/ أحمد عبد الوهاب – حقيقة التبشير بين الماضى و الحاضر– مكتبة وهبة د/ت .

١٢)أ/ أحمد عبد الوهاب – طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون – الطبعة الأولى مكتبة وهبة – ١٩٨٠م .

١٣) أ موريسون – حياة لوثر – ترجمة القس / باقى صدقة – الطبعة الثانية – دار الثقافة – بدون تاريخ .

١٤)أ/ أمين الخولى: المجددون فى الإسلام – الجزء الأول – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م .

١٥)أ/ أمين الخولى – صلة الإسلام بإصلاح المسيحية – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م .

١٦)د/ أمين حسن عمر : حركتنا الإسلامية مقاصدها و خصائصها – الطبعة الثانية – دار الفكر – الخرطوم ١٩٨٨م .

١٧) أندريه كرسون – المشكلة الأخلاقية و الفلاسفة – ترجمة د/ عبد الحليم محمود و لأستاذ أبو بكر زكرى – الطبعة الثانية – دار الكتب الحديثة د/ت .

١٨)أ/ أنور الجندى – محاولة لبناء منهج إسلامى متكامل – دار الأنصار د/ت .

١٩)أ/ أنور الجندى : الإسلام و الغرب – دار الاعتصام د/ت .

٢٠)أ/ أنور الجندى – اليقظة الإسلامية فى مواجهة الاستعمار – دار الاعتصام د/ت .

٢١) أ.هـ.بردوبنت – الكنيسة المتغربة – ترجمة وليم وهبة – الطبعة الثانية – مطبعة الحضارة العربية بالفجالة ١٩٧٣م .

٢٢)د/ اسحاق عبيد– محاكم التفتيش نشأتها و نشاطها – الطبعة الأولى - دار المعارف ١٩٧٨م

٢٣)د/ اسحاق عبيد – محاضرات فى تاريخ أوربا و العصور الوسطى ١٩٨٩م – ١٩٩٠م

٢٤) اسحاق مسعد – نشأة الطوائف المسيحية للكنيسة الأسقفية د/ت .

٢٥) اسماعيل بن محمد العجلونى– كشف الخفا و مزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس – دار التراث د/ت .

٢٦)الموسوعة الميسرة فى الأديان و المذاهب المعاصرة – الطبعة الثالثة – دار الندوة العالمية – ١٤١٨هـ .

٢٧) ايرل كيرنز – المسيحية عبر العصور – ترجمة عاطف سامى برنابا – دار نوبار للطباعة ١٩٩٢م .

٢٨) باول شمتز – الإسلام قوة الغد العالمية – ترجمة د/ محمد شامة – مكتبة وهبة بدون تاريخ .

٢٩) برتراندرسل – تاريخ الفلسفة الغربية " الكتاب الثانى " ترجمة د/ زكى نجيب محمود – لجنة التأليف و النشر ١٩٥٦م .

٣٠)القس/ بيتر دى روزا – التاريخ الأسود للكنيسة ترجمة آسر حطيبة – الطبعة الأولى – الدار المصرية للنشر و التوزيع .

٣١)القس/ بيتر.ف . وينز – من لوثر إلى هتلر – ضوء جديد على التاريخ الألمانى بقلم رمزى يسى – طبعة مكتبة العالم العربى د/ت .

٣٢)د/ توفيق الطويل – قصة النزاع بين الدين و الفلسفة – الطبعة الثانية – مكتبة مصر بدون تاريخ .

٣٣)د/ توفيق الطويل: قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية و الإسلام – الطبعة الأولى – الزهراء للإعلام العربى ١٩٩١م .

٣٤) سير /توماس .و.أرنولد –الدعوة إلى الإسلام ترجمة د/ حسن إبراهيم حسن ، و د/ عبد المجيد عابدين ، و د/ إسماعيل النحراوى – الطبعة الثالثة مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠م .

٣٥) جاد المنفلوطى – تاريخ المسيحية " المسيحية فى العصور الوسطى " دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية د/ت .

٣٦) جرين برنتن– أفكار و رجال " قصة الفكر الغربى ترجمة محمود محمود ١٩٦٥م .

٣٧)د/ جلال يحيى – تاريخ أوربا فى مطلع العصر الحديث – مطبعة كرموز الإسكندرية بدون تاريخ .

٣٨)د/ جلال يحيى – عصر النهضة و العالم الحديث – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م .

٣٩)أ/ جمال البنا– الدعوات الإسلامية المعاصرة ما لها و ما عليها – من سلسلة رسائل استكشاف الإسلام .

٤٠)د/ جمال الدين الشيال – محاضرات عن الحركات الإصلاحية و مراكز الثقافة فى الشرق الإسلامى الحديث ، الجزء الأولى – معهد الدراسات العربية العالمية ١٩٥٧م

٤١) جون لوريمر – تاريخ الكنيسة – ترجمة القس عزرا مرجان – دارا لثقافة د/ت .

٤٢)د/ حسن عثمان – سافونا رولا الراهب الثائر – دار الكاتب المصرى ١٩٤٧م .
٤٣)د/ حسنى يوسف الأطير – عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام و المسيحية – الطبعة الأولى دار الأنصار ١٩٨٥م .
٤٤)د/ حسين مجيب المصرى – إقبال بين المصلحين الإسلاميين – مكتبة الأنجلو المصرية بدون تاريخ .
٤٥)القس/ حنا جرجس الخضرى – تاريخ الفكر المسيحى " يسوع عبر الأجيال " دار الثقافة بدون تاريخ .
٤٦)القس/ حنا جرجس الخضرى – المصلح مارتن لوثر حياته و تعاليمه – دار الثقافة د/ت .
٤٧)القس/ حنا جرجس الخضرى – جون كلفن دراسة تاريخية عقائدية – الطبعة الأولى دار الثقافة د/ت .
٤٨) خالد بن فوزى بن عبد الحميد آل حمزة – محمد رشيد رضا طود و إصلاح دعوة و داعية " رسالة ماجستير " .
٤٩) خير الدين الزركلى – الأعلام – الجزء السادس – دار العلم للملايين – الطبعة السادسة – بيروت – لبنان د/ت .
٥٠)د/ رحاب خضر عكاوى– جمال الدين الأفغانى حكيم الشرق و رسالته فى الرد على الدهريين – الطبعة الأولى دار الفكر ١٩٩٣م .
٥١)الشيخ/ رحمة الله خليل الرحمن الهندى – إظهار الحق – مكتبة الثقافة د/ت .
٥٢) رولاند بينتون –الكنيسة من البدء إلى القرن العشرين – ترجمة القس عبد النور ميخائيل – دار الثقافة المسيحية د/ ت
٥٣) رياض غبريال السنورسى – الدرة النفيسة فى مجمل تاريخ الكنيسة – الطبعة الأولى – مطبعة المحيط بالفجالة ١٩٢٧م .
٥٤) زكريا فايد – العلمانية النشأة و الأثر فى الشرق و الغرب – الطبعة الأولى – الزهراء للإعلام العربى – ١٩٨٨م .

٥٥)د/ سعيد عبد الفتاح عاشور – أوربا العصور الوسطى – الجزء الأول – الطبعة الثانية مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦١م .

٥٦)د/ سعيد عبد الفتاح عاشور – أوربا العصور الوسطى – الجزء الثانى – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٦م .

٥٧)د/ سفر بن عبد الرحمن الحوالى – العلمانية نشأتها و تطورها و آثارها فى الحياة الإسلامية المعاصرة " رسالة ماجستير " الطبعة الأولى – دار مكة ١٩٨٢م .

٥٨) سلامة موسى – حرية الفكر و أبطالها فى التاريخ – الهيئة المصرية العامة للكتاب بدون تاريخ .

٥٩) سنت جون فيلبى – تاريخ نجد و دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية – الطبعة الأولى – مكتبة مدبولى ١٩٩٤م د/ت .

٦٠)الإمام/ السيد محسن الأمين – السيد جمال الدين الأفغانى

٦١)أ/ صلاح الدين البستانى – العروة الوثقى و الثورة التحريرية الكبرى – الطبعة الثالثة دار العرب ١٩٩٣م .

٦٢) صموئيل مشرقى – البروتستانتية عقيدة و نظاما – القاهرة ١٩٧٧م .

٦٣)المستشار طارق البشرى – الملامح العامة للفكر السياسى الإسلامى فى التاريخ المعاصر – دار الشروق ١٩٩٦م .

٦٤)المستشار طارق البشرى – ماهية المعاصرة – الطبعة الأولى ١٩٩٦م .

٦٥) طاهر الطناحى – مذكرات الإمام محمد عبده – دار الهلال د/ت .

٦٦)أ/ عباس محمود العقاد – الإسلام فى القرن العشرين حاضره و مستقبله – الطبعة الأولى – دار الكتب الحديثة ١٩٥٤م .

٦٧)أ/ عباس محمود العقاد – عبقرى الإصلاح و التعليم الأستاذ محمد عبده – مكتبة مصر بدون تاريخ .

٦٨)د/ عبد الباسط محمد حسن – جمال الدين الأفغانى و أثره فى العالم الإسلامى الحديث – الطبعة الأولى – مكتبة وهبة ١٩٨٢م .

٦٩)الشيخ/ عبد الجواد سليمان – الشيخ محمد عبده إمام المجددين فى الإسلام – مطبعة حسن حسنى المنياوى د/ت .

٧٠)د/ عبد الحليم الجندى – الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفى – دار المعارف د/ت .

٧١)د/ عبد الحليم الجندى – الإمام محمد عبده – الطبعة الثانية – دار المعارف د/ت .

٧٢)د/ عبد الحميد البطريق ود/عبد العزيز نوار – التاريخ الأوربى الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر – دار الفكر العربى ١٩٩٥م .

٧٣)أ/ عبد الرحمن الرافعى –جمال الدين الأفغانى باعث نهضة الشرق – دار المعارف بدون تاريخ .

٧٤)د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم – تاريخ العرب الحديث و المعاصر – دار الكتاب الجامعى د/ت .

٧٥)د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم – محاضرات فى معالم التاريخ الأوربى الحديث و المعاصر – مطبعة الجبلاوى ١٩٧٨م .

٧٦) عبد الستار الهوارى – فيلسوف الشرق العظيم جمال الدين الأفغانى لجنة الثقافة و النشر – القاهرة – د/ت .

٧٧)د/ عبد العزيز الرفاعى – الحضارة الأوربية الحديثة – الطبعة الأولى ١٩٥٩م .

٧٨)د/ عبد العزيز الشناوى – أوربا فى مطلع العصور الحديثة – الجزء الأول – الطبعة الخامسة – مكتبة الأنجلو ١٩٨٥م .

٧٩)د/ عبد الغنى عبود – المسيح و المسيحية والاسلام ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ١٩٨٤م

٨٠)د/ عبد الفتاح أبو عليه– و د/ إسماعيل ياغى – تاريخ أوربا الحديث و المعاصر – الطبعة الثالثة – دار المريخ د/ت .

٨١)أ/ عبد القادر المغربى ـ جمال الدين الأفغانى – ذكريات وأحاديث – الطبعة الثالثة دار المعارف د/ت .

٨٢)د/ عبد الكريم الخطيب – الدعوة الوهابية أو محمد عبد الوهاب – دار الشروق د/ت.

٨٣)عبد الله بن سعد الرويشد – قادة الفكر الإسلامي – الطبعة الثانية – رابطة الأدب الحديث – القاهرة د/ت .

٨٤)د/ عبد المتعال الصعيدى – المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر مكتبة الآداب ١٩٩٦م .

٨٥) د/عبدالرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم – تاريخ العرب الحديث و المعاصر –دار الكتاب الجامعي – د/ت .

٨٦)د/ عثمان أمين – رائد الفكر المصرى الإمام محمد عبده – الطبعة الثانية – مكتبة الأنجلو مصرية – ١٩٦٥م .

٨٧)د/ عثمان أمين : دروس للشباب فى سيرة الأستاذ الإمام – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٤م .

٨٨)أ/ عزت زكى – تاريخ المسيحية " المسيحية فى عصر الإصلاح " دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية د/ت .

٨٩)د/ على شلش – جمال الدين الأفغانى بين دارسيه – الطبعة الأولى – دار الشروق ١٩٨٧ م .

٩٠)د/ عمر الإسكندرى و د/سليم حسن – تاريخ أوربا الحديث و آثار حضارتها – الجزء الأول – الطبعة الثالثة – دار المعارف ١٩٢٣م .

٩١) غريس هالسل – النبوءة و السياسة – ترجمة محمد السماك – الطبعة الثانية – جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ١٩٩٠م .

٩٢)د/ فاروق عثمان أباظة –دراسات فى تاريخ أوربا الحديث و المعاصر – دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ١٩٩٥م .

٩٣)القس / فايز فارس – أضواء على الإصلاح الإنجيلى – دار الثقافة – د/ت .

٩٤)د/ فتحية النبراوى – و د/محمد نصر مهنا – تطور الفكر السياسى فى الإسلام – الجزء الثانى – الطبعة الأولى – دار المعارف ١٩٨٤م .

٩٥)أ/ قدرى قلعجى – جمال الدين الأفغانى حكيم الشرق – الطبعة الثالثة – دار العلم للملايين – بيروت د/ت .

٩٦)أ/ قدرى قلعجى – محمد عبده بطل الثورة الفكرية فى الإسلام – الطبعة الثانية – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٥٦م .

٩٧) كرستوفردوس – تكوين أوربا – ترجمة و مراجعة د/ سعيد عبد الفتاح عاشور و د/محمد مصطفى زيادة – مطابع سجل العرب ١٩٦٧م .

٩٨)القس/ لبيب مشرقى – حديث مع جون كلفن – دار نوبار للطباعة د/ت .

٩٩) لوثرو ب ستودارد – حاضر العالم الإسلامى بقلم شكيب أرسلان – دار الفكر د/ت.

١٠٠)د/ محسن عبد الحميد– جمال الدين الأفغانى المصلح المفترى عليه – الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م .

١٠١)الشيخ/ محمد أبو زهرة – محاضرات فى النصرانية – الطبعة الثالثة – دار الفكر العربى بدون تاريخ .

١٠٢)د/ محمد البهى – الفكر الإسلامى فى تطوره – الطبعة الأولى – دار الفكر ١٩٧١م

١٠٣)د/ محمد البهى – الفكر الإسلامى الحديث و صلته بالاستعمار الغربى – الطبعة الثانية عشرة – مكتبة وهبة – ١٩٩١ .

١٠٤)أ/ محمد السماك – الأصولية الإنجيلية – الطبعة الأولى – مركز دراسات العالم الإسلامى – ١٩٩١م .

١٠٥) محمد الطيب بن إدريس الأشهب – السنوسى الكبير عرض و تحليل لدعم حركة الإصلاح السنوسية – القاهرة – د/ت .

١٠٦)الشيخ/ محمد الغزالى–التعصب و التسامح بين المسيحية و الإسلام – الطبعة الثانية – دار التوزيع و النشر الإسلامية – ١٩٦٣م .

١٠٧) محمد المخزومى باشا – خاطرات جمال الدين – المطبعة العلمية – بيروت ١٩٣١م .

١٠٨)الإمام/ محمد بن عبد الرحمن السخاوى – المقاصد الحسنة فى بيان كثيرمن الأحاديث المشتهرة على الألسنة – الطبعة الأولى – بيروت ١٩٧٩م .

١٠٩) محمد بن عبد الله السلمان – رشيد رضا و دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – الطبعة الأولى – مكتبة المعلا – الكويت ١٩٨٨م

١١٠)السيد/ محمد رشيد رضا – تاريخ الأستاذ الإمام – الطبعة الأولى – مطبعة المنار ١٩٣١م .

١١١)د/ محمد رفعت و د/ محمد أحمد حسونة – تاريخ العصور الوسطى – الطبعة الأولى ١٩٢٤م .

١١٢) محمد سعيد عبد المجيد – نابغة الشرق السيد جمال الدين الأفغانى د/ت .

١١٣) محمد سلام مدكور – جمال الدين الأفغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق – الطبعة الأولى – ١٩٣٧ م .

١١٤) محمد صبيح – محمد عبده – دار إحياء الكتب العربية د/ت .

١١٥)د/ محمد ضياء الدين الريس – تباشير النهضة فى العالم الإسلامى – الطبعة الثالثة دار الأنصار د/ت .

١١٦) محمد طاهر الجبلاوى – قصة جمال الدين الأفغانى " قصة مجاهد كبير – مكتبة الأنجلو المصرية – د/ت .

١١٧)د/ محمد عبد السلام الشاذلى – تطور الفكر العربى – الجزء الأول – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٣م .

١١٨)د/ محمد عبد العزيز داوود – الجمعيات الإسلامية فى مصر و دورها فى نشر الدعوة الإسلامية – الطبعة الأولى – الزهراء للإعلام العربى ١٩٩٢م .

١١٩)الإمام/ محمد عبده – الثائر الإسلامى جمال الدين و رسالة الرد على الدهريين – دار الهلال د/ت .

١٢٠)الإمام / محمد عبده – رسالة التوحيد – الطبعة السابعة عشرة – مكتبة القاهرة ١٩٦٠م.

١٢١)الإمام/ محمد عبده – الإسلام بين العلم و المدنية – الهيئة المصرية العامة للكتاب د/ت.

١٢٢)د/ محمد عزت الطهطاوى – النصرانية و الإسلام – الطبعة الثانية – مكتبة النور ١٩٨٧ م .

١٢٣)د/ محمد على حلة و د/ محمد صابر عرب – دراسة فى تاريخ أوربا الحديث – المطبعة الفيصلية د/ت .

١٢٤)د/ محمد عمارة – الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده – الطبعة الأولى – دار الشروق ١٩٩٣م .

١٢٥)د/ محمد عمارة – الطريق إلى اليقظة الإسلامية -الطبعة الأولى – دار الشروق ١٩٩٠م

١٢٦)د/ محمد عمارة – تيارات الفكر الإسلامى – دار الشروق ١٩٩١م .

١٢٧)د/ محمد عمارة – الصحوة الإسلامية و التحدى الحضارى – الطبعة الأولى – دار الشروق – د/ت .

١٢٨)د/ محمد عمارة – جمال الدين الأفغانى موقظ الشرق و فيلسوف الإسلام – الطبعة الثانية – دار الشروق ١٩٨٨م .

١٢٩)د/ محمد عمارة –الإمام محمد عبده – مجدد الدنيا بتجديد الدين – الطبعة الثانية دار الشروق ١٩٨٨م .

١٣٠)د/ محمد فؤاد شكرى – و د/ محمد أنيس – أوربا فى العصور الحديثة – الجزء الأول – الطبعة الأولى – مكتبة الأنجلو – ١٩٥٧م .

١٣١)د/ محمد فؤاد شكرى – السنوسية دين و دولة – دار الفكر العربى ١٩٨٤م .

١٣٢) محمد فهمى عبد اللطيف – جمال الدين الأفغانى و الوحدة الإسلامية – مؤسسة المعارف – بيروت د/ت .

١٣٣)د/ محمد قاسم و د/ حسين حسنى – تاريخ أوربا الحديث – الطبعة الأولى – لجنة التأليف و الترجمة والنشر ١٩٣٤ .

١٣٤)د/ محمد كامل ضاهر – الدعوة الوهابية و أثرها فى الفكر الإسلامى الحديث – الطبعة الأولى – دار السلام ١٩٩٣م .

١٣٥)د/ محمد كمال الدسوقى – تاريخ ألمانيا – دار المعارف – د/ت .

١٣٦)د/ محمد محمد حسين – الإسلام و الحضارة الغربية – مؤسسة الرسالة د/ت .

١٣٧)د/ محمد محمد حسين – الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر – الجزء الأول والثانى مكتبة الآداب د/ت .

١٣٨) الشيخ/ محمد ناصر الدين الألبانى – سلسلة الأحاديث الصحيحة – المكتبة الإسلامية بدون تاريخ .

١٣٩)الشيخ / محمدبن عبد الوهاب – التوحيد الذى هو حق ا لله على العبيد – وزارة الشئون الإسلامية و الأوقاف ١٩٩٨م .

١٤٠)د/ محمود قاسم – جمال الدين الأفغانى حياته و فلسفته – مكتبة الأنجلو المصرية بدون تاريخ .

١٤١)د/ محمود أبو رية – جمال الدين الأفغانى تاريخه و رسالته – و مبادؤه – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – ١٩٦٦م .

١٤٢)محمود سعيد عمران – حضارة أوربا فى العصور الوسطى – دار النهضة العربية ١٩٩١م .

١٤٣)محمود عوض – جمال الدين الأفغانى مصلح الشرق – الطبعة الثانية – دار المعارف – د/ت .

١٤٤) مختار القاضى – أثر المدنية الإسلامية فى الحضارة الغربية – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – د/ت .

١٤٥)أ/مسعود الندوى – محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم و مفترى عليه – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – ١٩٨٤م .

١٤٦) ميرزا لطف ا لله خان – حقيقة جمال الدين الأفغانى – ترجمة د/عبد النعيم حسنين – الطبعة الثانية ١٩٩٠م .

١٤٧) ميرل دوبيناه – تاريخ الإصلاح فى القرن السادس عشر – المجلد الأول – بيروت ١٨٧٨ م .

١٤٨) نبيه زكريا عبدربه – الحركات الإسلامية ضد الصهيونية و الصليبية و الشيوعية الطبعة الأولى – دار الثقافة ١٩٨٦م .

١٤٩) نصر الدين عبد الحميد نصر –مصر و حركة الجامعة الإسلامية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٤م .

١٥٠) د/نوح الغزالى – فلسفة التبشير أو إفلاس الكنيسة – الطبعة الأولى – ١٩٨٧م .

١٥١) نورمان.ف.كانتور – التاريخ الوسيط " قصة حضارة " البداية و النهاية – ترجمة و تعليق د/ قاسم عبده قاسم – الطبعة الثانية – دار المعارف ١٩٨١م .

١٥٢) هـ . ج . ويلز – معالم تاريخ الإنسانية – ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد – المجلد الثالث – الطبعة الرابعة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م .

١٥٣) هـ .أ.فيشر – تاريخ أوربا –العصور الوسطى " القسم الثانى " ترجمة د/ محمد مصطفى زيادة ، و السيد الباز العرينى و إبراهيم أحمد العدوى – الطبعة الثالثة – دار المعارف – ١٩٦٦م .

١٥٤) هارى إيبرتس – مصلح فى المنفى "جون كلفن " موجز عن حياته و مبادئه – ترجمة وليم وهبة بباوى – دارا لثقافة – د/ت .

١٥٥) هاملتون جيب – دعوة تجديد الإسلام – دار الوثبة – دمشق – د/ت .

١٥٦) هربرت فيشر – أصول التاريخ الأوربى الحديث – ترجمة د/ زينب عصمت راشد و د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى ، و مراجعة د/ أحمد عزت عبد الكريم – الطبعة الثالثة – دار المعارف د/ت .

١٥٧) و .س بلنت – الأفغانى و محمدعبده – ترجمة د/ على شلش – دار الهلال – بدون تاريخ .

١٥٨) ول ديورانت – قصة الحضارة – ترجمة د/ عبد الحميد يونس ، و مراجعة د/ على أدهم – لجنة التأليف و النشر .

١٥٩) يوسابيوس القيصرى – تاريخ الكنيسة – ترجمة القس مرقس داوود – دار الكرنك للنشر و الطبع و التوزيع – ١٩٦٠م .

١٦٠)د/ يوسف القرضاوى – الخصائص العامة للإسلام – الطبعة الرابعة – مكتبة وهبة ١٩٨٩م .

١٦١)د/ يوسف القرضاوى – بينات الحل الإسلامى و شبهات العلمانيين و المتغربين – الطبعة الأولى – مكتبة وهبة – ١٩٨٨م .

١٦٢)د/ يوسف القرضاوى – الإسلام و العلمانية وجها لوجه – الطبعة الأولى – دار الصحوة – ١٩٨٧م .

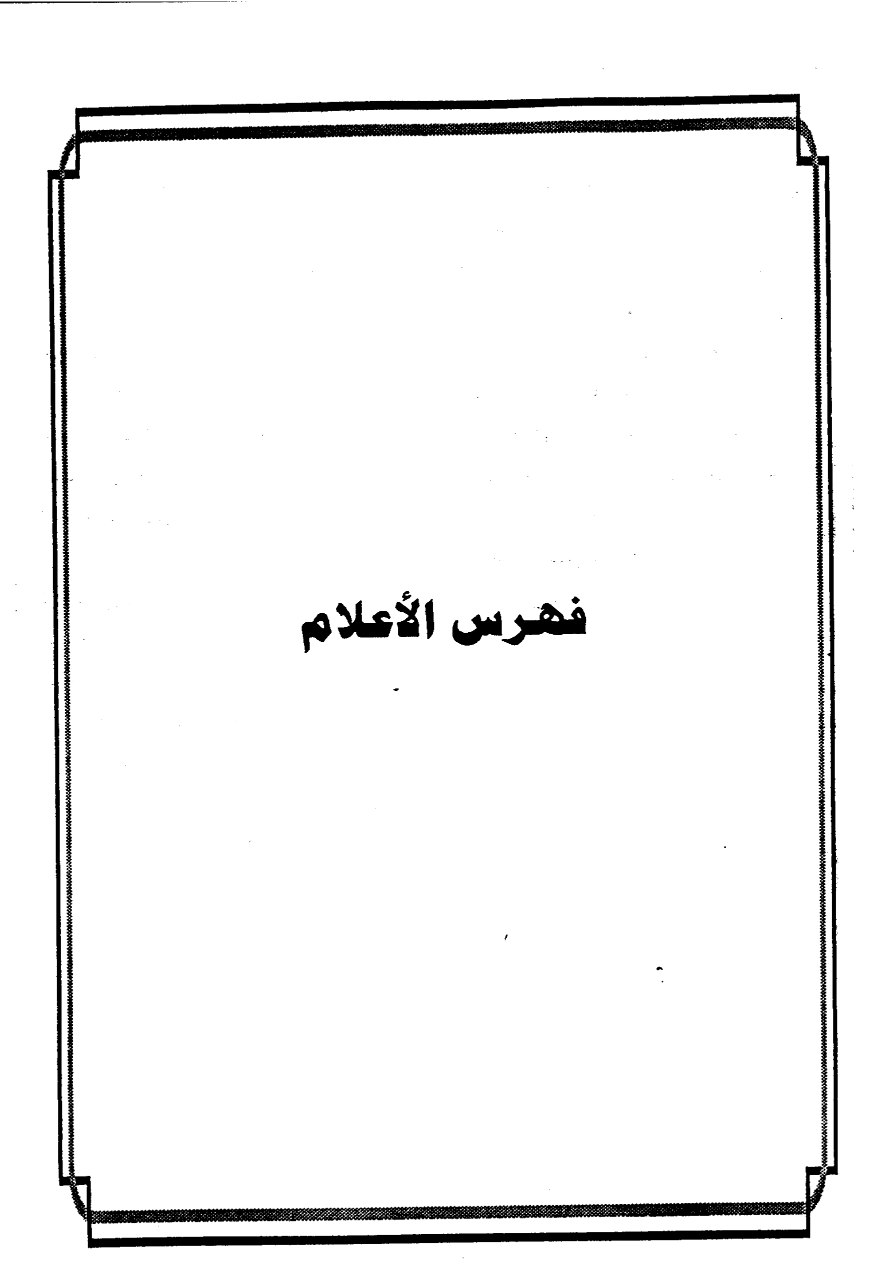
١٦٣)د/ يوسف فضل حسن – ندوة اتجاهات الفكر الإسلامى المعاصر – الرياض – ١٩٨٧م .

١٦٤) قصة مارتن لوثر " مجهول المؤلف " طبع فى " فالتة " ١٨٤٠م – موجود بدار الكتب المصرية .

١٦٥) ذكرى البروتستانت " مجهول المؤلف " و ليس له تاريخ أو مكان طبع – موجود بدار الكتب المصرية .

١٦٦) دائرة المعارف الإسلامية – يصدرها باللغة العربية د/أحمد الشنتناوى و د/إبراهيم زكى خورشيد و د/عبد الحميد يونس – المجلد الأول .

١٦٧) العهد الجديد .



فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

هـ

و

ي

فهرس الأماكن

فهرس الأماكن

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

